مدير المجلة ورئيس التحرير
أحمد حسن الزيات
العنوان
إدارة الجامع الأزهر
بالقاهرة
ت : ٤٦٢١٤

مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تصدر عن مشيخة الأزهر في أول كل شهر عربي

يشترك في تحريرها
عباس محمود العقاد

سكرتير التحرير
محمود الشرقاوي

بدل الاشتراك ٤٠

الجزء السابع — رجب سنة ١٣٨٠هـ — ديسمبر ١٩٦٠م — المجلد الثاني والثلاثون

بسم الله الرحمن الرحيم

مكان الأزهر في إفريقيا الجديدة

بقلم : أحمد حسن الزيات

أفريقيا التي غاب معظمها عن الوجود الإنساني في ظلام الجاهلية والوثنية والاستعمار والرق منذ دحا الله الأرض أخذت تنبعث وتنتعش وتتحرر . وكان هذا الانبعاث وما تلاه استجابة لنفخة الصور التي صدرت عن الثورة الناصرية في مصر فدوى صداها في أرجاء الشرق كله فأيقظ الراقد ونبه الغفلان .

وكان الإسلام من قبل ذلك قد أرسل بصيصا من نوره في خلال هذه الظلمة الغاشية على أيدي المتاجرين من العرب والمهاجرين من المسلمين ، فرأى من هداهم به الله من الأفريقيين أن فوق الأرض التي يخيم عليها الظلام سماء ينبثق منها النور ، وأن للإنسان الذي استضعف واستغل إلها قاهراً فوق عباده يجعلهم إخوة بالإيمان وسواسية بالعدل ، فربأوا بإنسانيتهم عن الذل ، وضنوا بكرامتهم على الهون . إلا أن هذا البصيص ظل خابيا في قلوبهم لا يشع ولا يشيع لانقطاعه عن مشرق الوحي ، فلم يصله به سبب من لغة الكتاب ،

ولا مائة من حديث الرسول ، فهم يحفظون بعض الآيات عن تلقين لا عن فهم ، ويؤدون كل الشعائر عن تقليد لا عن فقه ، ومع ذلك نفذت أشعة الإسلام من بين أطباق هذا الغمام إلى قلوب الوثنيين الآخرين فى سرعة الدعوة المستجابة ، لأنه دين الفطرة فلا تعقيد فيه ولا عسر ، ولأنه مظهر الوحدانية فلا وساطة فيه ولا سر ، فدان به فى الحبشة ثلاثة ملايين ومائتان وخمسة وأربعون ألفا وثلثمائة وتسعون . وفى أوغندة ثلاثمائة وستون ألفا . وفى الصومال الشمالى والشرقى والأوسط مليون وسبعمائة وستة وأربعون ألفا وثلثمائة وواحد وأربعون ، وفى زنجبار ثلاثمائة ألف . وفى كينيا مائتا ألف . وفى تنجانيقا مليون ونصف . وفى روديسيا ونياسالاند مائة وثمانية وثلاثون ألفاً . وفى موزنبيق ستمائة وخمسون ألفاً . وفى جنوب أفريقيا ثمانية وثمانون ألفا . وفى أفريقيا الغربية الفرنسية سبعة ملايين ونصف . وفى نيجيريا ثلاثة وعشرون مليونا . وفى توجولند ثلاثون ألفا . وفى غانا مائة وخمسون ألفا . وفى غمبيا مائة وعشرون ألفا . وفى ليبريا نصف مليون . وفى الكمرون نصف مليون . وفى الكونغو أربعمائة ألف . وذلك إحصاء أتت عليه عشر سنين . فمن الطبيعى أن يكون قد ازداد بالدخول فى الإسلام وبالولادة من المسلمين .

ولقد دهش لهذه الجاذبية فى الإسلام دعاة المسيحية ورواد الاستعمار من مبشرى الانجليز والفرنسيين والبلجيكيين والطليان والأمريكان وتساءلوا فيما بينهم : كيف عجزوا عن تنصير الوثنيين بالطرق المؤدبة والوسائل المغرية من تعليم وتطبيب وتمدين وإغراء بالمال وإيحاء بالقوة ، حيث استطاع الإسلام الصامت الأعزل أن يتسلل ويتغلغل وينتشر من غير حكومات تسنده ولا جمعيات ترفده ولا مغريات تجذب إليه . ثم حاول المتخصصون منهم والمتفلسفون فيهم أن يجيبوا عن هذا السؤال وأن يكشفوا عن هذه الحال بالدرس والتحليل فلم يستطيعوا . فسلموا بالأمر الواقع وقالوا لا حيلة إلا أن نستغل هذه القوة الكامنة فى الإسلام فى إخراج الوثنيين البدائيين من الظلام إلى النور ، حتى إذا فتحوا أعينهم على أضواء مدنيتنا تهافتوا عليها تهافت الفراش . قال أحد مؤرخى الكنيسة وقد صار كردينالا ما ترجمته : « إن الإسلام قنطرة للشعوب الأفريقية يعبرون عليها من ضفة الوثنية إلى ضفة المسيحية . فمن حقه أن نعامله بالمياسرة والحسنى . ومن واجبنا أن نساعده على اتساع نطاقه وامتداد أفقه ، بإجراء الأرزاق على المساجد ، وتوفير الأموال للمعاهد ، ليكون رائدا لمدنية فرنسا فتفتح على يديه البلاد » .

هـذه هى قوة الإسلام فى رأى المبشر . وذلك هو أثره فى رأى المستعمر . فكيف نعوق هذه القوة ونضعف ذلك الأثر بتركهما إلى الطبيعة ينفذان من الحواجز والسدود كما ينفذ الماء اللين السلس بين جلاميد الصخر! سيخرق الماء الحجر على طول الزمن ولا شك فيتدفق الشلال ويفيض النهر وتخصب الحياة . ولـكننا لو نسفنا الحجارة من طريقه ، وكشفنا الركام عن منبعه ، اختصرنا الزمن وقربنا المسافة . والأداة التى تنسف وتكشف وتخط وترود هى الأزهر . والأزهر فى القاهرة والكعبة فى مكة هما الـكلمتان اللتان تجمعان معنى الإسلام فى ذهن الأفريقى المسلم . يتجه إلى المسجد الحرام فى معنى عقيدته ، كما يتجه إلى الأزهر الشريف فى معنى شريعته . ولم يقصر الأزهر فى مد القارة المظلمة بالنور على قدر طاقته وفى حدود إمكانه . فأرسل نفرا من فقهائه ووعاظه إلى الصومال والحبشة وبعض جهات أخرى . ثم رأى أن يكون هؤلاء الدعاة والهداة من أهل تلك الشعوب استرشادا بقول الله عزت حكمته : « وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم » فأنشأ مدينة البعوث وآوى إليها طلاب العلم من شباب أفريقيا وآسيا وكفل لهم الغذاء والكساء والمسكن وأخذ يعرب ألسنتهم ويفقه أفئدتهم ، ويزودهم بوسائل الدعوة ليجلوا كلمة الله فى أذهان [illegible] العجمة والجهالة . وإن عدد [illegible] الأغراب ليربى اليوم على ثلاثة [illegible] .

ولـكنه عدد لايزال أقل مما يتطلبه الجهاد الروحى فى أفريقيا الجديدة : فإن تراجع الاستعمار عن أكثرها يفتح الأبواب ويهىء الأسباب للمجاهدين فى سبيل الدين واللغة . فلابد إذن من تمكين الدولة للأزهر فى هذه الأرض البكر بأن تمده بالمال وتسنده بالنفوذ ليحقق لها عن طريق الخير والحق ما كانت ترجوه فرنسا منه عن طريق الشر والباطل .

* * *

إن بذل المال والجهد فى معونة الأزهر يحرر أفريقيا الوثنية من عبودية الروح والعقل والجسد . وهو كسب سياسى ضخم حاول المستعمرون طويلا أن ينالوه بالدهاء والاغراء والدماء والزمن فما استطاعوا . ثم كانت عاقبتهم أن اجتثوا من فوق الأرض الطيبة كما يجتث النبات الطفيلى السام من حقول الحنطة ! ذلك بأنهم استعلوا على أصحاب الأرض . فتميزوا عليهم بالقوة ، واستأثروا دونهم بالثروة ، وتركوهم للعرى والجوع والمرض والجهل والمشقة .

أما الإسلام فسيدخل فيهم دخول النور فى العين والسرور فى القلب والبرء فى السقم والصلاح فى الفساد والنظام فى الفوضى ،

فلا يجدون فى مجتمعه سيدا لأنه أبيض ، ولا مسودا لأنه أسود ، وإنما يجدون الناس فيه أحرارا كما ولدوا ، متساوين أينما وجدوا ، يتقاسمون بينهم طيبات الرزق وفرص العيش ، لا يتسخط فاقد على واجد ، ولا يتسلط قوى على ضعيف .

فإذا استبطنوه بالفهم الصحيح ، واستيقنوه بالإيمان الخالص رفعهم إلى أفق الإنسانية الحرة والإسلامية الكريمة ، حيث لا يتميز لون على لون ، ولا يسيطر عنصر على عنصر ، وإنما يكون فيه أبو بكر وعمر وعثمان ، بجانب بلال وصهيب وسلمان !

إن الأزهر هو الشكنة المحمدية لجند الله أسلحتها المصاحف لا القذائف ، ووسيلتها الحياة لا الموت ، وغايتها التعمير لا التدمير ، وغنيمتها الخير للناس والسلام على الأرض ، فإذا كان أولياء الأمر منا وأصحاب الرأى فينا حراصا على أن يكونوا كما جعلهم الله قوادا لحرية الشعوب ، وروادا لسكينة العالم ، فليضموا إلى ثكنات القوى العسكرية ، ثكنة القوة الأزهرية ، ليجمعوا بين أسلحة المادة وسلاح الروح ، ويوائموا بين مادية العلم وروحية الدين ، ويقيموا فوق أسواق الرقيق التى أقامها الاستعمار فى إفريقيا المكروبة المنكوبة مآذن للحق ومنائر للهدى وملاجئ للحرية .

إن الفرصة متاحة للعمل ، وإن الأرض مهيأة للزرع ، وإن الأزهر مستعد للبذر ، فما على الدولة إلا أن تسوق السحاب إلى النفوس الظمأى فتروى ، وإلى البلاد الميتة فتحيا ، ويومئذ تلد أفريقيا الرجال ، وتستغل الاستقلال ، وتبرهن لأوربا البيضاء أن المرء بجوهره لا بمظهره ، وأن جوهر الإنسان واحد لا يختلف باختلاف لونه فى الناس ، ولا يتغير بتغير موقعه من الأرض .

أحمد حسن الزيات

الاستعمار كما يصفه نائب فرنسى

(جاء فى تقرير النائب الفرنسى مسيو موتيه الذى رفعه إلى مؤتمر الاتحاد البرلمانى فى برن سنة ١٩٢٤)

من المحقق أن الاستعمار عمل لا يسوغه قانون ، وكثيرا ما ظهر بمظهر الفظاظة والغلظة ، لأنه يقضى بحكم القوى على الضعيف . وقد مضى على وجوده قرون بحجة نشر المدنية والارتقاء بين الشعوب المزعوم جهلها وخمولها . والحقيقة أنه لم ينشر من تلك المدنية وذلك الارتقاء إلا الأسماء التى تنتحلها لنفسها الأمم المستعمرة وقد أراد المستعمرون أن يسدلوا على أعمالهم ثوبا شرعيا قانونيا فقرروا ضم ما استولوا عليه من البلدان إلى ممتلكاتهم ، وادعوا أنها جزء من بلادهم ، وأن عليهم عبء نشر المدنية والعلوم فيها ، والحقيقة أنهم لا يبغون من وراء ذلك إلا مصلحة بلادهم .

ترجمة المفردات أو العبارات؟

للأستاذ عباس محمود العقاد

نبدأ هذا البحث الصغير بسؤال :

ماذا نترجم عند النقل من اللغات الأجنبية ؟.

هل نترجم المفردات أو نترجم العبارات ؟.

وهل نترجم المفردات بمعناها الأصيل أو نترجمها بالمعنى الذى درج عليه الإستعمال من مجاز أو اصطلاح ؟.

عاد إلى ذهنى هذا السؤال بعد قراءة اللغويات التى كتبها الأستاذ المحقق « محمد على النجار » فى العدد الأخير من هذه المجلة وعرض فيه العبارة : (توتر العلاقات) التى ترد كثيراً فى كلام المترجمين عن اللغات الأوربية فقال : إن اليازجى يرى فى مجلة الضياء أن هذه العبارة تفيد عكس المعنى المراد ؟ فإنه يقال وتر القوس إذا شد وترها ، وتوتر العصب ونحوه إذا اشتد فصار مثل الوتر ، فهى تدل على قوة الصلات ومتانتها لا على ضعفها . والصواب أن يقال استرخت العلاقات بينهما فى هذا المعنى .

ويرد الأستاذ النجار على اعتراض اليازجى فيقول : إن تخريج العبارة بما يصح معه المعنى ممكن ، وذلك أن توتر العصب واشتداده إذا أفرط فيه يشرف به على الانقطاع ، وكذلك القوس إذا أفرط فى شد وترها أوشك أن ينقطع الوتر » .

والذى قاله الأستاذ النجار هو المقصود من العبارة عند ورودها فى المصطلحات الأجنبية الحديثة ، فإنهم يريدون هذا المعنى ويريدون معه معنى آخر يلازم التوتر إذا بلغ من الشدة أن يؤذن بالانقطاع . وذلك أن الخيط إذا توتر أصبح كما يقولون «حساساً» يهتز لأهون لمسة كما يهتز الغاضب للكلمة الهينة التى قد يتقبلها ويغضى عنها ساعة رضاه . وفى هذه الحالة تسوء العلاقات لما يوجب الاستياء ولغيره مما لا يسوء فى سائر الحالات .

ولكن موضع الملاحظة على نقل أمثال هذه الكلمات والعبارات أن المعنى الذى يفهم منها الآن عندهم وعندنا ليس بالمعنى الأصيل وليس بالمعنى المستفاد من وضع الكلمة كما كانت مفهومة بين الأقدمين ، لأن الكلمة الأصيلة عندهم إنما تفيد معنى الضيق والضغط والعصر ولا تفيد غير ذلك إلا من قبيل الاستعارة المجازية ، وقد تستعمل للوتر كما تستعمل لقميص المجانين أو تستعمل للمضيق البحرى أو للفاقة والإفلاس ، وهى كذلك

أصلا ســـواء ردوها إلى مادة (ستريں) Strain أو مادة (ستريتن) Straiten وكلتاهما واردة متكررة فى أمثال هذه العبارات .

وموضع الملاحظة أننا نعمد إلى معنى مستعار فى لغته فننقله بحرفه ونصه مع وفرة الكلمات التى تؤدى هذا المعنى باللغة العربية ، أصلا واستعارة ، بكل ما يراد منها فى جميع التخريجات .

وعندنا لأداء هـذا المعنى كلمات « الحرج والأزم والبرم والعنت والريبة والضيق » ، وعشرات غيرها تنصرف إلى المقصود بكلمة التوتر على كل تصريف وتأويل .

ومن عجيب التوافق فى مجازات اللغات أن مادة (برم) عندنا تستخدم للفتل الشديد كما تستخدم للضجر وقلة الاحتمال ، ولكن وجه الاستعارة يختلف بين البرم والتوتر فى العبارة الإفرنجية ؛ فإن الضجر عندهم مقرون بالحساسية وهو مقرون عندنا باللى والتضييق .

ولو نظرنا هذه النظرة إلى مادة الوتر وجدنا فيها معنى النقص ومقابلة الشفع والائتلاف كما نجد فيها معنى الشد والإيذان بالانقطاع .

فسبيل المجاز عندنا أوسع من أن نحتاج فيه إلى النقل من اللغات الأخرى ، وكلماتنا الأصيلة تؤدى معانيها الأولى وتتسع للمجاز المعقول وللقرائن السائغة على وجوه شتى ، وليست هى من الندرة أو الجمود بحيث تضطرنا إلى الاقتراض من الغريب أو الدخيل .

وربما كانت الاستعارة سائغة قريبة فى عبارة « التوتر » حين تستخدم لفساد العلاقة بين الدول أو آحاد الناس .

ولكن المترجمين ينقلون أحيانا عبارات مستغربة لا تقع فى الأذواق موقعها الحسن كما تقع هذه العبارة .

ومن ذلك قولهم : إن هذا أو ذاك . . « يلعب دوراً خطيراً فى السياسة أو التاريخ أو شئون الحياة العامة » وقد يقبح الذوق فى اختيار المواضع لهـذه العبارة حتى يقول القائل : « إن الدين يلعب دوراً جديا فى المسائل الاقتصادية » أو يقـول قائلهم : « إن ذلك البطل العظيم لعب دوراً هاما فى تشريع زمانه » إلى أمثال هـذا السخف الذى يتحرج منه أصحاب اللغة الأجنبية أنفسهم عند استخدام هـــذه العبارات ، ولو أنهم أخذوا مادة « اللعب » بحرفها كما وضعت أصلا لم يكن لها هذا الموقع المعيب عند سامعيها من العارفين بمعانيها ؛ لأن أصـل المادة عندهم يشمل « الاشتغال » ويشمل « الحـركة » التى تحمل الإنسان وراء مشيئته ، ومنها جاءت حركة الرقص وحركات اللعب والطرب ، وأشباه هـذه الحركات التى تدخل فيها حركة اللعب الهازل وغير الهازل .

ولكن الأصل فى مادة «اللعب» عندنا يرجع إلى المهازل الصبيانية ويأتى - على ما نرجح - من قولهم: (لعب الصبى أى سال لعابه) ولعب فلان أى صنع صنيع الصبيان، وليست الكلمة على معنى من معانيها الأصيلة أو الطارئة بالتى تصلح للاقتران بمعانى التقديس ومعانى الخطر والتعظيم.

ومن قبيل هذا النقل المعيب قولهم: «إنهم أقاموا مأدبة على شرف فلان!» . . . كأنما كان شرف فلان هذا مائدة أو بساطا أو سفرة للطاعمين الشاربين. ولو كانت ضرورة التعبير عن المعنى المقصود تستدعى التقيد بحرف العبارة المترجمة لكان لهم عذرهم من حكم الأمانة والاضطرار، ولكننا قد نؤدى المعنى المقصود بكلمات الحفاوة والتكريم والترحيب والتحية وما إليها، فلا تقصر هذه الكلمات عن معنى المأدبة التى تقام على الشرف . . . فلا تشرفه لفظا ولا معنى وهى مقامة عليه!.

ومن المنقولات الحرفية المانعة التى نسمعها من الإذاعات الأجنبية كثيرا فى الأيام الأخيرة قولهم: «إن هذه القضية تشكل خطراً دائما على السلام» أو «إن هذه المسألة تشكل موضوعا للبحث» أو «إن هذا العمل يشكل أزمة من أزمات الأمم المتحدة» . . . إلى نظائر هذه التشكيلات التى لا شأن لها فى قوام لغة الضاد.

فما ضرورة نقل الكلمة بحرفها من اللغات الأجنبيه وهى تنقل بجميع معانيها فى كلمات لا تحصى من كلمات اللغة العربية.

لم لا نقول: «إن هذه القضية تؤدى إلى خطر دائم على السلام؟» ولم لا نقول: «إن هذه القضية بمثابة خطر دائم على السلام؟».

ولم لا نقول: إنها ينجم عنها الخطر، أو إنها تتراءى فى صورة الخطر، أو إنها ماثلة فى صورة الخطر، أو إنها تؤلف أو تحدث أو تخلق الأخطار أو ما يشاءون من الأشكال؟ وكم ورد على الأذهان وعلى الألسنة من هذه التعبيرات فلم ينتظر بها قائلوها مئات السنين حتى يخرجها العى مواجهة من صفحات قاموس يقرؤه صغار التلاميذ.

إن أشباه هذه المفردات وما تقدمه من العبارات والمصطلحات هى التى نريد أن نسأل عنها: هل نترجمها على مثال تلك الترجمات «القاموسية التلميذية» أو نقابلها بما عندنا من اللفظ الأصيل واللفظ المستعار، وهو كثير؟.

ويبدو لنا أن الضرورة لا تقضى علينا بترجمة كلمة من الكلمات الأجنبية فى مصطلحاتها الشائعة غير الكلمات التى تدل على الأعيان والأشياء، وإننا نتكلف عناء لا يساوى

الدّولة التي صنعها الإنسان
والأمّة التي خلقها الله

للأستاذ الدكتور محمّد البهي

— ١ —

الدولة التي صنعها الإنسان :

يتميز المجتمع الحديث بأن له نظام «الدولة» ومعنى ذلك أن للمجتمع سلطة تنفيذية تمثل فيما يسمى بالحكومة ، وأن له قانونا من وضع الإنسان ينفذ لصالح الأفراد ، وأن له كذلك مصدرا تشريعيا يمارس تعديل التشريع القائم أو سن تشريع جديد حسبما يقضي وضع المجتمع ، وحسبما تتطلب ظروف بقائه أو الدفاع عنه .

وهكذا توجد سلطات ثلاث : السلطة التنفيذية ، والسلطة القضائية ، والسلطة التشريعية . وكل سلطة من هذه السلطات لها اختصاصها ، وتتعاون جميعها على صيانة المجتمع من الأضرار ، وعلى تمكين الأفراد في المجتمع من أن يؤدوا رسالة المجتمع وهي رسالة التعاون ، وتحقيق الهدف الذي من أجله قام المجتمع أو تكون .

ووظيفة السلطة التشريعية – كما أشرنا – هي سن القوانين لحفظ العلاقات بين الأفراد وصيانة حرياتهم في التعبير والاعتقاد ، وصيانة حرماتهم في المال ، والعرض ،

كلفته إذا نقلنا ألفاظهم بأصولها واستعاراتها وهي مفهومة عندنا بما وسعته لغتنا من معنى أصيل أو معنى مستعار ، ولا حرج – مع ذلك – من نقل الاستعارة المجازية حيثما وجدت على وفاق بين أذواقهم وأذواقنا ، وبين قواعدهم وقواعدنا ، ومن قبيلها استعارة « التوتر » واستخدامها لحرج العلاقة ، أو فسادها .

وتعرضها للغضب السريع والاستفزاز المريب ، فربما كنا نحن أولى بهذا المجاز وأقدر على تخصيصه بمدلوله ، لأننا نتلقاه بأسماع ألفت التفرقة بين أصل الكلمة ومجازها وبين التشبيه الطارئ والشبه القديم .

عباس محمود العقاد

الدّولة التي صنعها الإنسان والأمّة التي خلقها الله

للأستاذ الدكتور محمّد البهي

– ١ –

الدولة التي صنعها الإنسان :

يتميز المجتمع الحديث بأن له نظام «الدولة» ومعنى ذلك أن للمجتمع سلطة تنفيذية تمثل فيما يسمى بالحكومة ، وأن له قانونا من وضع الإنسان ينفذ لصالح الأفراد ، وأن له كذلك مصدرا تشريعيا يمارس تعديل التشريع القائم أو سن تشريع جديد حسبما يقضي وضع المجتمع ، وحسبما تتطلب ظروف بقائه أو الدفاع عنه .

وهكذا توجد سلطات ثلاث : السلطة التنفيذية ، والسلطة القضائية ، والسلطة التشريعية . وكل سلطة من هذه السلطات لها اختصاصها ، وتتعاون جميعها على صيانة المجتمع من الأضرار ، وعلى تمكين الأفراد في المجتمع من أن يؤدوا رسالة المجتمع وهي رسالة التعاون ، وتحقيق الهدف الذي من أجله قام المجتمع أو تكون .

ووظيفة السلطة التشريعية – كما أشرنا – هي سن القوانين لحفظ العلاقات بين الأفراد وصيانة حرياتهم في التعبير والاعتقاد ، وصيانة حرماتهم في المال ، والعرض ،

كلفته إذا نقلنا ألفاظهم بأصولها واستعاراتها وهي مفهومة عندنا بما وسعته لغتنا من معنى أصيل أو معنى مستعار ، ولا حرج – مع ذلك – من نقل الاستعارة المجازية حيثما وجدت على وفاق بين أذواقهم وأذواقنا ، وبين قواعدهم وقواعدنا ، ومن قبيلها استعارة « التوتر » واستخدامها لحرج العلاقة ، أو فسادها . وتعرضها للغضب السريع والاستفزاز المريب ، فربما كنا نحن أولى بهذا المجاز وأقدر على تخصيصه بمدلوله ، لأننا نتلقاه بأسماع ألفت التفرقة بين أصل الكلمة ومجازها وبين التشبيه الطارئ والشبه القديم .

عباس محمود العقاد

والنفس ، ولتمكين جميع الأفراد من فرص الحياة ، بحيث يكون هناك تكافؤ لأصحاب المستوى الواحـــد ، وبحيث لا يتدخل فى استغلال هذه الفرص عامل آخر لا يتصل بالطاقات الإنسانية ، والاستعدادات الفردية عما يعرف بجاه الشرف أو جاه الثراء ، أو يتصل بعصبية مذهبية أو طائفية .

ولكى تكون القوانين التى تشرع ، تمثل هذا الصالح العام وكل المجتمع الحديث سلطة التشريع إلى هيئة تمثل الرأى العـام فيه ، عن طريق الانتخاب الشعبى ، أو عن طريق اختيار السلطة التنفيذية لأصحاب الخبرة والدراية بجوانب حياة المجتمع العديدة .

ووظيفة السلطة القضائية هى تطبيق القوانين التى تسنها الهيئة التشريعية ، مستهدفة فى هذا التطبيق الأغراض التى من أجلها خرجت هذه القوانين ، والتى هى تصور المصلحة العامة للأفراد فى المجتمع ، كما تصور غايات المجتمع نفسها التى بعثت على قيامه ، وتبعث على استمراره فى البقاء .

أما السلطة التنفيذية فهى الهيئة التى تمارس الإشراف على تنفيذ القوانين التى تسنها الهيئة التشريعية ، وتطبقها الهيئة القضائية .

واقتضى تعدد هذه السلطات أن يتنوع تخصص القائمين على أمرها ، بحيث يساعد هذا التخصص على تنفيذ المهمة التى تناط بكل سلطة منها فى إتقان ، وفى الوقت نفسه فى غير عناء أو فى غير إجحاف بالمصلحة العامة ، ذلك الإجحاف الذى يترتب على قيام غير فنى أو غير خبير بتنفيذها .

ويبدو من توزيع أجهزة الدولة إلى هذه السلطات الثلاث ومن إسناد هذه السلطات إلى خبراء متخصصين فى شئونها أن « الدولة » تتكفل بهذا التنظيم رعاية الصالح العام كما تتكفل العـــدل بين الأفراد ، وتمكين الأفراد من فرص الحياة بالتساوى ، وتحسين العلاقات بينهم ، وتدفعهم جميعا إلى التعاون ، وإلى تحقيق أهداف المجتمع وغاياته .

ونظام الدولة من حيث التخطيط على هذا النحو ، نظام مثالى ، ولكن عند التطبيق يتبين أنه يعنى بظاهر العلاقات بين الأفراد ، وبالشكليات القانونية أكثر من عنايته بإقناع الأفراد بالأهداف التى فرضها نظام الدولة غايات له ، ويعنى بصورة « العدل » ، وبصورة « المصلحة العامة » أكثر من عنايته بحمل الأفراد – عن طريق تكوين « الضمير » – على التصرف العادل ، ولتحقيق المصلحة العامة .

إن نظام الدولة فى المجتمع الحديث نظام فرض على الأفراد وأقيم حملهم – بطريق القوة الجبرية – على اتباع القانون الذى تسنه الهيئة التشريعية فيه ، دون أن يكون هناك إيمان فى نفوس الأفراد بعدالة هذا القانون .

أو بملاءمته لمصالحهم كأفراد فى المجتمع . إذ أن القانون مهما توفرت الرعاية أو العناية على تشريعه ، فالمشرعون أنفسهم أشخاص قد يتأثرون بنفوذ القائمين على شئون الدولة أو يتأثرون بالمحيط الذى يعيشون فيه . أو بالنزعة التى ينزعون إليها كأصحاب اتجاه معين ، أو نظرة معينة فى الحياة . وعندئذ لا يلزم أن يكون القانون ممثلا للعدالة ، أو ممثلا « لروح التجرد » التى ينبغى أن تتوفر فى القانون ، إذا أريد تطبيقه على جميع أفراد المجتمع وقصد به أن يحقق المصلحة العامة بينهم.

إن استقرار نظام الدولة - بحكم أنه مفروض على أفراد المجتمع - رهن بجهاز الرقابة - وهو جهاز السلطة التنفيذية ، وبقدر ما لهذا الجهاز من استطاعة على « التتبع » فى تنفيذ القانون ، وبقدر ما يبطئ هذا الجهاز أو يغفل أمر التتبع فى تنفيذ القانون ، بقدر ما يضطرب نظام الدولة ، وبقدر ما تفتر العلاقات الاجتماعية بين الأفراد فى المجتمع . ذلك كله لأن نظام الدولة - كما ذكرنا - لم يعتمد على تربية الضمير الباعث ، بل اعتمد كل الاعتماد على السلطات الثلاث . وهى سلطات لا تنشئ ضميرا ، ولا تنشئ إقناعا ، وإنما تحمل حملا وتقهر قهرا على الطاعة والاتباع ولقد خيل لكارل ماركس - يوم أن خط النظام الشيوعى للدولة عن طريق سحب المال من يد الأفراد ، وجعله فى يد الدولة وحدها - أن الدولة الشيوعية عندئذ سوف لا تحتاج إلى سلطة « بوليسية » لحفظ الأمن ؛ لأن المساواة بين أفراد المجتمع الشيوعى حينئذ أصبحت حقيقة واقعة فلم يعد هناك ما يوجب حقد الأفراد بعضهم على بعض ، وليس هناك ما يوجب احتكاك بعضهم ببعض . طالما المال كله بيد الدولة ، وطالما الدولة ترعى جميع الأفراد بإعطائهم العمل وتؤجرهم عليه أجراً مناسباً .

خيل لكارل ماركس أن الدولة الشيوعية هى الدولة السعيدة التى لا تحتاج إلى رقابة خارجية ، لفقدان مصدر الحقد والاحتكاك بين الأفراد فيها : ولكن بالرغم من سحب المال من الأفراد وجعله فى يد الدولة الشيوعية فالرقابة « الخارجية » - أى التى هى من خارج الأفراد على الأفراد أنفسهم فى المجتمع - فيها أشد قوة ، وأكثر تنوعا وعددا لأن نظام الدولة فى نفسه - كما ذكرنا - نظام قام على فرض الرقابة الخارجية ، والعناية بها . ولم يكن منبثقا عن « ضمير » ، أو عن قوة ذاتية دافعة ، تدفع الأفراد إلى غايات المجتمع ، دون حاجة إلى تلك الرقابة الخارجية أو دون حاجة إلى ما يسمى بالسلطة التنفيذية .

وآية أن نظام الدولة فى المجتمع الحديث هو نظام قام على فرض الرقابة الخارجية ، اهتمام الدولة فى كل مجتمع حديث وعنايتها

بالسلطة التنفيذية : في عدد رجال الأمن ، وفي تخصصهم وفي أنواع الرقابة على الأفراد ، وكثرة وسائل التتبع في التنفيذ وفي الوقت نفسه ، هذه العناية وهذا الاهتمام بالسلطة التنفيذية من سلطات الدولة في المجتمع الحديث يدل من جانب آخر على أنه لولا القوة المادية التي تتمثل في السلطة التنفيذية لتفككت روابط المجتمع ، وسادت الفوضى في العلاقات بين الأفراد .

على أنه من ناحية أخرى منذ أن أخذ المجتمع الحديث بنظام الدولة ، هذا النظام الذي يبدو في ظاهر أمره أنه يغطي العلاقات بين الأفراد في صورة اجتماعية ، لم تساير هذا النظام العلاقات الاجتماعية بين الأفراد في حقيقة أمرها ، وظلت « الفردية » هي العامل الذي يحدد هذه العلاقات . ومن هنا تنبئ الجرائم المتنوعة ، وتنبئ الاحتكاكات بين الأفراد في صورها المختلفة التي تقع في المجتمع على عدم مسايرة العلاقات بين الأفراد في حقيقة أمرها ، لما يبدو من تغطية نظام الدوله لتلك العلاقات في صورتها الظاهرية .

ولذا يلاحظ على نظام الدولة في المجتمع الحديث أمور ثلاثة :

الأمر الأول : فقدان العناية بالضمير ، أو فقدان العناية بالقوة الذاتية الدافعة للأفراد نحو العمل الجماعي .

الأمر الثاني : فقدان تمثل [illegible] العامة أو للعدالة ، أو [illegible] الفرص بين الأفراد ، [illegible] وأصحاب السلطة التشريعية بظروف حياتهم وبيئاتهم ، أو بنفوذ القائمين على أمر الدولة .

الأمر الثالث : فقدان العناية بالروح الجماعية في العلاقات بين الأفراد ، وبقاء « الفردية » كظاهرة سائدة في هذه العلاقات .

ونظام الدولة في نتائجه هذه لا يستطيع أن يحمل نتائج أخرى سواها ، لأنه من صنع الإنسان . والإنسان هو ذلك الكائن صاحب الحكمة والهدى ، وصاحب العقل والغريزة وصاحب الصيرورة من طفولة إلى رشد . هو ذلك الكائن غير المستقر وغير الثابت . هو ذلك الكائن الذي [illegible] ولا يخلق والذي يقوم تدبيره على خطأ مرة ، وعلى صواب أخرى .

وقد بدا لأصحاب الدولة الذين وضعوا نظامها ، ودافعوا عنه ، أن الفصل بين السلطات الثلاث ضمان كاف لتحقيق العدالة بين أفراد المجتمع ولرعاية الحرمات الفردية من الحرية في التعبير ، والانتقال [illegible] في حدود القانون العام ، [illegible] لقيام التعاون وتوثيق [illegible] بين الأفراد . كما بدا لهم [illegible] « الفصل » ضمانا آخر لعدم طغيان سلطة على

سلطة أخرى وخاصة طغيان السلطة التنفيذية على إحدى السلطتين التشريعية أو القضائية ولكن النقص الذى يتصل بهذا النظام ليس فى تداخل السلطات الثلاث ، حتى يكون الفصل بينها ضمانا لتلافى هذا النقص فيه ، وإنما العيب الأساسى فيه — كما ذكرنا — أنه يقوم كله على « التنفيذ » بالقوة الجبرية « بقوة البوليس » ، أو « قوة الأمن الداخلى » وأنه يقوم على « جهاز التتبع » ، دون أن يكون للاقتناع الداخلى أو للإيمان القلبى به دخل فى تنفيذه والطاعة له . فهو نظام « يسوق » الأفراد إلى الطاعة ، من غير أن تكون لهم إرادة حقيقية فيها ؛ وهو من أجل ذلك يبعد عما يجب أن يراعى فى طبيعة الإنسان . وفى تميز هذه الطبيعة عن طبائع الكائنات الأخرى التى تشاركها النمو والحركة إذ الأليق بطبيعة الإنسان أن تكون حركته فى حياته ، وأن تكون طاعته أو عدم طاعته ناشئة عماله من اختيار ذلك الاختيار الذى ينشأ بدوره عن اقتناعه الداخلى .

وقد بالغ الإنسان صاحب هذا النظام فى المجتمع الحديث فى القيمة التى له وهو فى واقع الأمر بالغ فى قيمة نفسه هو وفى قيمة عمله. إذ الدولة من صنع الإنسان « الثائر » والذى ثار على توجيه غيره إياه ، وعلى أن يكون لوجود آخر سواه — مهما سما وجوده ، وسمت طبيعته — أثر فى حياته ، فضلا عن أن يستقل هو بتوجيهه وبتخطيط الحياة الإنسانية

إن نظام الدولة هو نظام الثورات الأوربية التى تعقبت الماضى واعترضت على رسالة الدين ، وعلى مسئولية الكنيسة فى توجيه الحياة الإنسانية . إنه نظام « العصر الإنسانى » والعصر الإنسانى ليس إلا تلك الفترة التى طلب فيها الإنسان أن يستقل بتوجيه نفسه وأن يدفع عن حياته ما سماه بالوصاية غير الإنسانية ، ليس إلا تلك الفترة التى اغتر فيها الإنسان بقيمة العقل الإنسانى ، وبقيمة ما يستطيعه من تدبير وإبداع ، فهو أى نظام الدولة — وليد الفلسفة الإنسانية ، ووليد غرور الإنسان بالإنسان ومدى استطاعته فى توجيه الحياة الإنسانية ولذلك هو مصنوع للإنسان وابن مشيئته .

وسيظل الإنسان صاحب هذا النظام يدافع عنه ، ويمنحه القيمة العليا . طالما هو يؤمن باستقلال الإنسان فى التوجيه وبخالقية العقل وإبداعه فى الحياة الإنسانية .

والمنطق الأصيل لنظام الدولة فى المجتمع الحديث طبقا لهذه الفلسفة الإنسانية الاستخفاف على الأقل بالقيم التوجيهية الأخرى التى تنبثق عن رسالات ليست هى من صنع الإنسان أو يذكر فى شأنها أنها ليست من الإنسان ، وجاءت لهدايته وهى رسالة السماء . ولعل المجتمع الشيوعى فى الوقت الحاضر

هو أوضح المجتمعات الحديثة ، فى مسايرته لهذا المنطق بعدا وقربا . وكلما بدت فى المجتمع الحديث ظاهرة « الثنائية » بين نظام الدولة وبين الإيمان بالدين كلما كان هذا المجتمع متنافرا مع منطق « الفلسفة الإنسانية » التى تأسس عليها نظام الدولة فى المجتمع الحديث .

وربما - من جانب آخر - كان هذا التنافر من مستلزمات المجتمع القائم لأن المجتمع ليس إلا « صورة » من الصور التى تطرأ على حياة الأفراد ، ويعمل البعض منهم . وإذا كان المجتمع صورة طارئة على حياة الأفراد ، فالأفراد أنفسهم هم لبنات المجتمع الطارئ الجديد ، وكذلك المجتمع السابق الذى انقضى وليس من السهل — ولا من الممكن أيضا — أن يتخلى الأفراد عما فى قلوبهم من إيمان ، وعما فى نفوسهم من رواسب ، وعما فى عقولهم من تصورات إثر تكون المجتمع الجديد ، وفور قيامه ، وهنا لكى تلائم قيادة المجتمع الجديد نفسها مع ميول الأفراد ومع أجوائهم النفسية والعقلية ومع إيمان قلوبهم - تتمسك بنظام الدولة وفى الوقت نفسه تعلن مسايرتها للإيمان بالدين السائد بين أفراد المجتمع .

وفى واقع الأمر ، هذه الملاءمة التى تريدها قيادة المجتمع الجديد ، إن هى إلا إعلان عن صراع بين قوتين كلتاهما تبغى الاستقلال فى التوجيه ، والتفرد بالسيادة فى حياة الإنسان : الدين أم الدولة ! .

والحديث فيما مضى عن مسايرة المجتمع الشيوعى لمنطق الفلسفة الإنسانية ، بإبعاده الإيمان عن محيطه ، وعن الصلة بنظام الدولة - هو حديث عن المسايرة الظاهرة ، وفى واقع الأمر : التنافر لم يزل حقيقة واقعة فيه ، ولم يزل قائما ، لأن الأفراد الشيوعيين فيه - وخاصة الطبقة المتقدمة فى السن منهم - لم يزالوا يعبرون عن إيمانهم بالدين فى صور مختلفة ، وإن لم يعلنوا هذه الصور فى وضوح خشية من رقابة السلطة التنفيذية ، ومن تتبع الرقابة الخارجية ، التى تمارسها الدولة .

وخلاصة وضع المجتمع الحديث فى أخذه بنظام الدولة أنه مع محاولته فرض هذا النظام على الأفراد ، وسوقهم إلى الطاعة دون أن تكون طاعتهم صادرة عن اختيار ، كما توحى به طبيعة الإنسان ، ويوحى به تميزها عن بقية الطبائع الأخرى النامية المتحركة - أنه يضع الأفراد فى المجتمع فى صراع نفسى بين قوتى الدولة والدين ، وأنه نفسه لا يخلو من هذا الصراع ، مهما حاول الملاءمة بين فرضه لنظام الدولة وخضوعه للإيمان بالدين .

(البقية فى العدد القادم)

الدكتور محمد البهى
المدير العام للثقافة الإسلامية

الله
فى القرآن الكريم

للأستاذ محمد محمد المدنى

— ١ —

١ — لا نجد فى القرآن الكريم حديثا مباشرا عن ذات الله تعالى، لأن الذات الإلهية لا يمكن وصفها ولا تصور كنهها ولا الإحاطة بها ، ولو على وجه من التقريب . وإنما نجد القرآن الكريم يأتى بحديثه فى هذا الجانب على وجه السلب والنفى ، فيقول مثلا : « ليس كمثله شىء » فيعطينا بهذه الجملة القصيرة ، قانونا وقائيا عاما نستعمله كلما احتجنا إلى مدافعة وهم من الأوهام، فى تصور ذات الله تعالى ، ومحاولة معرفة كنهه جلا وعلا .

ويقول : « سبحان الله عما يصفون » فيعطينا بهذه الجملة القصيرة أيضاً ما ندافع به أولئك الذين يحاولون تصوير الله ، أو تمثيله بأحد من خلقه .

وكلمة « سبحان الله » معناها تنزيه الله . وتقدير اللفظ فيها : أعتقد تنزه الله أو أنزه الله تنزيها ، أو نحو ذلك ، وهو معنى سلبى لأن التنزيه هو نفى كل ما لا يليق عن الله تعالى . ويقول جل شأنه: « بديع السموات والأرض أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة » فيرشد أصحاب العقول إلى استحالة أن يكون له ولد ، مستدلا على ذلك بأنه ليس له صاحبة وهو معنى سلبى أيضاً .

ويقول : « لم يلد ، ولم يولد ، ولم يكن له كفوا أحد » فينفى عن ذاته أن تكون متولدة من غيره ، أو أن يتولد عنها غيره أو أن يكون له مماثل وكفو .

٢ — وفى القرآن الكريم آيات تنسب إلى الله تعالى : الوجه واليد والعين والجهة والمعية والمصاحبة والعندية والاستواء ونحو ذلك مثل قوله تعالى : « ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام » . « فأينما تولوا فثم وجه الله » « يد الله فوق أيديهم » « بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء » « ولتصنع على عينى » « واصنع الفلك بأعيننا ووحينا » .

« ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ، ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا »

« ووجد الله عنده فوفاه حسابه » ، « الرحمن على العرش استوى » إلخ .

ولكن القرآن نفسه يرشدنا إلى الصراط السوى فى فهم هذه الآيات وأمثالها حيث يقول : « هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون فى العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولو الألباب . ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب » .

وخلاصة ما تنصح به هذه الآية أن نقول فيما اشتبه علينا « كل من عند ربنا » أى : فنحن نؤمن به ، وأن نرده مع هذا الإيمان به إلى المحكم من الكتاب الذى جعله الله « أما » له تشبيها بالأم التى يفزع اليها ابنها وفرعها طلبا للأمن والسكن فى أحضان أصله ومنشئه .

فإذا أردنا طمأنينة النفس فى شأن آيات : الوجه والعين واليد وأمثالها فلننظر إليها من أفق الآية الأخرى الصريحة القاطعة المحكمة « ليس كمثله شىء وهو السميع البصير » .

ولذلك يقف السلف منها موقف التسليم ، ويقولون : لله وجه ويد وعين كما أخبر فى كتابه وليس كمثله شىء ويقولون : استوى ولا نسأل كيف استوى .

أما الخلف فيقولون : إن [illegible] أسماء استعملت فى جانب [illegible] المجاز للدلالة على الذات أو [illegible] أو نحو ذلك ، فهما إذاً متفقان على أصل التنزيه القطعى ، وإنما يختلفان فى فهم ما ظاهره ينافى هذا التنزيه .

٣ — وقد عنى القرآن الكريم - على أسلوب مباشر - بنوعين من الصفات فيما يتحدث به عن الله تعالى .

النوع الأول : الصفات التى تملأ القلوب بعظمة الله تعالى وجلاله وتبهرها بجماله وكماله .

النوع الثانى : الصفات التى تدل على ربوبيته للعالمين خلقا وإيجاداً . وإنعاما وإمداداً .

وإنما عنيت آيات القرآن الكريم بالتحدث إلى الإنسان بهذين النوعين من صفات الله تعالى لمعنى تهدف إليه هو أن تقرر فى نفسه أن لا إله إلا الله .

وذلك أن الإله هو الذى [illegible] إليه النفوس وتتجنب معتقدة أن له سلطانا حقيقيا يستطيع به أن ينفع ويضر دون [illegible] من غيره ، ولا عجز يعتريه فى نفسه مع [illegible] بالكمال المطلق والعدل المطلق . و[illegible] أن تترضاه وتخضع له الخضوع [illegible]

فالنوع الأول من الصفات [illegible] بيانه والحديث عنه فى القرآن الكريم أن يقنع الإنسان بأنه حينما يتجه إلى الله بالعبودية إنما

يتجه إلى الإله الكامل العظيم ذى الجلال والجمال فهو يتجه إلى من هو جدير باتجاهه ، ويأله - أى يعشق وينجذب - إلى من هو حقيق بعشقه وانجذابه .

وأهل التصوف لهم فى ذلك عبارات ، منبعثة عما تجلى لهم من مقامات معرفة الصفات ومن ذلك قول العارف بالله عمر بن الفارض:

فقت أهل الجمال حسنا وحسنى
فبهم فاقة إلى معناكا
يحشر العاشقون تحت لوائى
وجميع الملاح تحت لواكا

وقول الآخر :

لو يسمعون كما سمعت كلامها
خروا لعزة ركعا وسجوداً

والنوع الثانى يراد به إقناع الإنسان - بالإضافة إلى ذلك - بمعنى آخر فيه طمأنينة لنفسه وسكون لقلبه هو أن هذا الذى عرف عظمته وجلاله فى نفسه ، هو مصدر وجود هذا العالم كله ومصدر بقائه . ومصدر إسعاده وإمداده ، فهو الخالق المبدع ، وهو المحسن المنعم ، وهو المتفضل بإرسال رسله إلى خلقه ليهتدوا بهم إلى معرفته ، وليرشدوهم إلى طريق الخير والفلاح . ومن كان كذلك فهو الجدير بأن يعبد وحده ، لأن العبادة مزيج من الشكر والخضوع ؛ والشكر إنما ينبعث عن الإحسان . وإذا كان الإحسان عظيما جليل الشأن انحنت له الرءوس إعجابا به وخضوعا لمصدره أو هى بتعبير آخر مزيج من الشعور بالعظمة والقوة والكمال وتمام الإحسان ، ولذلك تتخذ صوراً من الثناء على الله بالقول حينا ، وبالانحناء ركعا وسجودا ، وبالذكر والشكر تأملا وعرفانا اعترافا بأنه تعالى هو العظيم وهو الوهاب .

اقرءوا فى النوع الأول من الصفات التى وصف الله بها نفسه فى القرآن :

« وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم » فهى تثبت « الوحدانية » مع الرحمة الشاملة واقرءوا :

« الله لا إله إلا هو الحى القيوم ، لا تأخذه سنة ولا نوم ، له ما فى السموات وما فى الأرض ، من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه ، يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ، ولا يحيطون بشىء من علمه إلا بما شاء ، وسع كرسيه السموات والأرض ، ولا يؤوده حفظهما ، وهو العلى العظيم » .

عشر جمل متتابعة فى آية واحدة ، هى : آية الكرسى المشهورة التى ذكرت الأحاديث النبوية فضلها ، وتحدثت عن بركاتها فى التحصين والحفظ . وأنها تشتمل على اسم الله الأعظم ، فأول جملة منها : هى إثبات الوحدانية ، « الله لا إله إلا هو » أى ليس فى الوجود من له سلطة عليا مطلقة يفعل بها ما يشاء ،

دون قيد ولا عجز . ويستحق بمقتضى ذلك أن يفرد بالعبودية إلا واحد هو الله ـ وهذه هى الحقيقة الأولى التى جاءت الأديان وبعثت الرسل وأنزلت الكتب لتقريرها .

والجمل التسع التالية لهذه الجملة الأولى ، هى : احتجاج لهذه الحقيقة وبراهين على ثبوتها فالله هو الحى القيوم ، والحياة تختلف باختلاف المتصفين بها ، فحياة النبات نوع من الحياة وحياة الله تعالى هى أكمل حياة لأنه هو واهب الحياة لكل من سواه وما سواه ، ولأنهم جميعا مستندون فى حياتهم إليه ، وليس هو مستندا فى حياته إلى شىء ، ولأن حياته لا تنقطع ، وكل حى يدركه الفناء ، كما أن حياته أزلية لا أول لها ، وحياة غيره محدثة بعد أن لم تكن .

والله تعالى قيوم . لأنه قائم بنفسه ومقيم لغيره وهى صفة تلخص جميع فنون التصريف وألوان التدبير فى الخلق ، وهى أبلغ من القائم والقوام والقيم بحكم الصيغة التى يعرفها أهل الذوق العربى .

ولما كانت حياة الحى وقيومية القيوم لا تدل بطريق مباشر على استمرار التيقظ لكل شىء وانتفاء الغفلة ولو فى فترة ما ، جاءت جملة أخرى تصف الله تعالى : بأنه لا تأخذه سنة ولا نوم ، أى أن حياته وقيوميته لا تفتران فى وقت ما فلا يمكن أن تغالبه سنة وهى تباشير النوم وأوائله ، وحينما يقبل على الجفون فيداعبها ، ولا نوم وهو أشد من السنة قهراً للأحياء وغلبة عليهم وأخذا لهم ، فهذا وذاك منفيان عن الله تعالى على سبيل الترقى من الأدنى إلى الأعلى .

ثم جاءت الجملة الرابعة تقرر ملك الله لكل مافى السموات ومافى الأرض ، وتقرير الملك شىء جديد بعد إثبات الحياة والقيومية الكاملين .

ثم تأتى الجملة الخامسة منكرة أن يكون لأحد أمر مع هذا المالك الحى القيوم فتقول : « من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه » وقد كانوا يعتقدون أن ما يتخذونه من آلهة ، سيكونون شفعاءهم عند الله ، فأنكر الله عليهم ذلك ، لأن شفاعة الشافع : إما أن تكون لدى سلطان عادل أو سلطان جائر ، فإن كانت عند سلطان عادل فشأن الشافع أن يقول له إنك فعلت ما فعلت ، اعتقادا منك بأنه هو المصلحة ، ولكننى أعلم أن هذا الذى أشفع فيه معذور بكذا أو لم يقصد كذا فإذا قبل منه صاحب السلطان ذلك ، كان هذا لأنه علم ما لم يكن يعلم من أمر المشفوع فيه وهو أمر لا يليق بالله تعالى ، إذ هو الجهل بعينه .

وإن كانت الشفاعة عند سلطان جائر ، فيجوز أن يقبلها ويترك الذنب لأجل مرضاة الشفيع وذلك إفساد لا يليق بالله تعالى .

ولم تقدر الآية هـــذا الشق الثانى ، لأن الكلام إنما هو فى الشفاعة لدى الله جل علاه وهو أعدل الحاكمين ، فبقى الشق الأول وهو الشفاعة لدى الله الحكم العدل ، فجاءت الآية بالجملة السادسة تعليلا لإنكار أن يشفع عند الله أحد إلا بإذنه ، بأنه يعلم كل شىء فلا يمكن أن يخفى عليـه من أمر المشفوع فيه ما يجعله ينزل على حكم الشافع ، فهو تعالى كما هو منزه عن الظلم منزه عن الجهل ، وذلك هـو قوله تعالى : « يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم » ثم جاءت الجملة السابعة نفيا لأن يكون فى الوجود من يعلم شيئا من علم الله على وجه الإحاطة به إلا ما شاء الله أن يعلمه أحـدا من خلقه ، وهذا حكم شامل للشفعاء .

وقـد جاء فى القرآن آيات أخرى تتحدث عن شأن الشفاعة ، متضمنة علم الله وانفراده بالسلطة ، مثل قوله تعالى: « بل عباد مكرمون. لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون ، يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون » وقوله تعالى « يومئذ لا تنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن ورضى له قولا . يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علما » .

والمراد بقوله تعالى : « إلا بإذنه » و « إلا لمن ارتضى » ، « وإلا من أذن له الرحمن ورضى له قولا » فيه كلام كثير وخلاف بين العلماء ، وأوفق الآراء أن نحمله على الدعاء ، الذى يقبل الله تعالى عقبه ما سبق فى علمه الأزلى أنه سيفعله مع القطع بأن الشافع لم يغير شيئاً من علمه ولم يحدث تأثيراً ما فى إرادته تعالى ، وبذلك تظهر كرامة الله لعبده فى إيقاعه الفعل عقب دعائه - وبهذا فسر الشفاعة - ابن تيمية [1] .

وقال الأستاذ الإمام محمد عبده : إن لهـذا الاستثناء واقعا وهو أن نبينا عليه الصلاة والسلام يشفع فى فصـل القضاء فيفتح باب الشفاعة ، فيدخل فيه غـيره من الشفعاء ، كالأنبياء والأصفياء ، كما ثبت فى الأحاديث وهى مسألة أنكرها المعتزلة وأثبتها أهل السنة ، والله تعالى يأذن لمن يشاء ويطلع على علمه باستحقاق الشفاعة من يشاء ، كما يعلم من الاستثناء فى هذه الآية وأمثالها [2] .

وتأتى بعد ذلك الجملة الثامنة ، وهى قوله تعالى « وسع كرسيه السموات والأرض » وهى تعبير تمثيلى لشمول سلطان الله وعمومه فى السموات والأرض ، وليست تكراراً مع قوله تعالى من قبل : « له ما فى السموات وما فى الأرض » فإن الحـديث فى إحداهما عن السموات والأرض وفى الأخرى عما فيهما ..

---

(١) ص ٣٣ ج ٣ من تفسير المنار .

(٢) المصدر نفسه .

وقد تعددت الآراء فى المراد بقوله تعالى «كرسيه» هل هو علم الله . أو ملك من ملائكته أو جسم كثيف أو لطيف . . إلخ

وخير لنا أن نختار بين أن نتبع رأى السلف فنسلم ونقول : له تعالى كرسى كما أنبأ عن نفسه ولا ندرى ما كنهه ناظرين إلى ذلك من أفق (ليس كمثله شئ) أو نتبع رأى الخلف فنقول كما قيل فى الاستواء على العرش : إن ذلك تمثيل لملك الله على حد ما يعرفه الناس من شأن الملوك .

والجملة التاسعة (ولا يؤوده حفظهما) ضرورية فى تتميم المعنى المراد من بيان عظمة الله تعالى ، إذ أن الملك بذاته لا يقتضى القدرة على حفظ المملوك ، ولا أن هذا الحفظ سهل يسير على المالك لا يشق عليه ولذلك أفاد الله تعالى أنه هو حافظ السموات والأرض كما هو مالكهما ، وأن هذا الحفظ لا يؤوده ولا يحمله على أن يتكلف له ما يشق عليه أو يثقله .

والجملة العاشرة ختام لهذا كله ، ولذلك تضمنت بالإجمال ما تقدمها من تفصيل ، وهى قوله تعالى (وهو العلى العظيم) .

وبيان ذلك أن صفة (العلو) قد ثبتت لله تعالى من أنه لا إله إلا هو ، ومن أنه الحى الذى لا يستند فى حياته إلى غيره ، الكامل الحياة لأنه وهب منها لكل حى سواه ، الباقى الذى يزول كل ما عداه ، ومن أنه القيوم الذى يقوم بنفسه ويقوم به كل ما سواه ، ومن أن حياته وقيوميته لا يغلبهما عارض يعرض فيؤدى إلى الغفلة ولو فى فترة يسيرة ومن أنه مالك لكل ما فى العالم وهذه صفات العلو الكامل عن كل ما فى الوجود ، وصفة (العلى) تلخيص لها .

أما صفات العظمة فهى كونه تعالى ذا هيبة وجلال ، لا يستطيع معهما أحد أن يسبقه بالقول فيشفع عنده إلا بإذنه ، وكونه عالما لكل شأن ، من شئون خلقه ، وكون علمه لا يحاط به بل يعلم منه فقط ما شاء هو أن يعلم ، وأن ملكه عام شامل للسموات والأرض وأنه يحفظهما ولا يثقله حفظهما [1] .

فهذه صفات العظمة ، ولذلك كانت الجملة الأخيرة فى آية الكرسى (وهو العلى العظيم) إجمالا — كما قلنا — لصفات العلو والعظمة التى فصلت من قبل .

(١) هناك فرق بين قوله تعالى : (له ما فى السموات وما فى الأرض) وقوله جل شأنه : « وسع كرسيه السموات والأرض » وقد بينا هذا الفرق فيما ذكرناه عن الجملة الثانية ، ونزيد هنا أننا جعلنا الجملة الأولى تعبيراً عن صفة من صفات العلو ، لأن الذى يملك ما فى السموات والأرض عال عن كل ما فى السموات والأرض ، وجعلنا الجملة الثانية من صفات العظمة لأنها حديث عن سعة كرسى الله وشمول ملكه لذات السموات والأرض ، وعظمة الملك مؤذنة بعظمة المالك .

واقرءوا إن شئتم قوله تعالى :

« الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح ، المصباح فى زجاجة ، الزجاجة كأنها كوكب درى يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية ، يكاد زيتها يضىء ولو لم تمسسه نار ، نور على نور يهدى الله لنوره من يشاء ، ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل شىء عليم » .

فالسموات والأرض تعبير عن الكون كله علويه وسفليه وما خلق الله من شىء ، والله نورها والنور هو روح كل موجود وسره ، فلو تصورنا موجودا مظلما لا نور له ، لما كان فى المعنى إلا صورة مساوية للعدم .

وقد أثبت العلم أن كل موجود فلا بد له من النور على نحو من الأنحاء ، وأن انقطاع النـــور انقطاعا تاما عن الموجود إنما هو مرحلة نهايته وفنائه . وهذا المعنى قد أشار إليه النبى صلى الله عليه وسلم فى بعض دعائه الذى توجه به إلى ربه حيث يقول : (أعوذ بنور وجهك الذى أشرقت له الظلمات ، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة . أن تنزل بى غضبك ، أو تحل على سخطك) والشاهد فى قوله عليه الصلاة والسلام : (أشرقت له الظلمات ، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة) إذ هو تفسير لقوله تعالى : « الله نور السموات والأرض » بأنه لولا نور وجه الله لما أشرقت الظلمات ، ولا صلح أمر الدنيا والآخرة .

وقد وصفت الآية الكريمة هذا النور بوصف مثلته به - ولله المثل الأعلى - مداره على إثبات قوته وصفائه ، وتكامله وتمام بهائه ، فبلغت من ذلك الغاية ، وقربت الأمر أعظم تقريب .

ثم اقرءوا فى النوع الثانى من الصفات مثل قوله تعالى :

« خلق السموات والأرض بالحق تعالى عما يشركون . خلق الإنسان من نطفة فإذا هو خصيم مبين . والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون . ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون . وتحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس ، إن ربكم لرؤوف رحيم . والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ، ويخلق ما لا تعلمون . وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر ، ولو شاء لهداكم أجمعين . هو الذى أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون . ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات ، إن فى ذلك لآية لقوم يتفكرون . وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ، إن فى ذلك لآيات لقوم يعقلون . وما ذرأ لكم فى الأرض مختلفا ألوانه ، إن فى ذلك لآية لقوم يذكرون . وهو الذى سخر البحر لتأكلوا منه لحما طريا

وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ، ولعلكم تشكرون . وألقى فى الأرض رواسى أن تميد بكم ، وأنهارا وسبلا لعلكم تهتدون . وعلامات وبالنجم هم يهتدون » .

وبعد أن يعد ذلك كله متتابعا متلاحقا يشد بعضه فى البيان أزر بعض ، يعقب عليه مباشرة بقوله : « أفمن يخلق كمن لا يخلق ؟ أفلا تذكرون . وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الله لغفور رحيم » . فنعلم من ذلك أنه إنما ذكر صفات الخلق ، وعدد مظاهر صفات الأنعام ، ليقنع الناس بأنه هو الجدير بأن يفرد بالعبودية ، وأن المنطق لا يسوى بين من يخلق ومن لا يخلق ومن ينعم ومن لا ينعم .

وهناك آيات أخرى تناولت هذا المعنى على وجه الإجمال حينا ، وعلى وجوه من التفصيل أحيانا ، مثل قوله تعالى « أتدعون بعلا وتذرون أحسن الخالقين » ، « الحمد لله الذى خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور ، ثم الذين كفروا بربهم يعدلون » . وهذه الآية الأخيرة هى مطلع سورة الأنعام التى جعلت تخب فى هذا المعنى وتضع من أولها إلى الآية المائة منها . ثم جاءت الآية التالية لهذه المائة بالنتيجة المقصودة .

فبعد أن بينت السورة أن الله هو خالق السموات والأرض وعددت مظاهر قدرته وتصرفه من مثل « خلقكم من طين ثم قضى أجلا » ، « وله ما سكن فى الليل والنهار » ، « وعنده مفاتح الغيب » ، « وهو الذى يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار ، وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة » ، « القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم أو من تحت أرجلكم أو يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم بأس بعض » ، « فالق الحب والنوى ، يخرج الحى من الميت مخرج الميت من الحى » ، « فالق الاصباح وجعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا » ، « وهو الذى جعل لكم النجوم لتهتدوا بها » ، « وهو الذى أنشأكم من نفس واحدة » « وهو الذى أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شىء فأخرجنا منه خضرا نخرج منه حبا متراكبا ، ومن النخل من طلعها قنوان دانية وجنات من أعناب والزيتون والرمان مشتبها وغير متشابه » .

بعد أن بينت هذا كله ، وتخلله من البيان ما أراد الله أن يتخلله ، واستغرق ذلك مائة آية ، جاءت الآية الحادية بعد المائة بالنتيجة فقالت « ذلكم الله ربكم لا إله إلا هو خالق كل شىء فاعبدوه ، وهو على كل شىء وكيل » .

محمد محمد المدنى
عميد كلية الشريعة

ثورة العالم الإسلامي اليوم

مقال لم ينشر للمغفور له

الأستاذ أحمد أمين

كان العالم الإسلامى إلى عهد قريب يعيش فى عزلة عما حوله ، ولا يدرى عن الغرب شيئاً إلا أفراد قلائل ، يتعلمون على أساليبه القديمة ، ويقرءون الكتب القديمة ، ويعيشون على التقاليد القديمة ، ويحاربون أيضاً - إن حاربوا - على النمط القديم .

وقد كان الغرب على هذا النمط أيضاً فى القرون الوسطى حتى جاءت الثورة الفرنساوية فقلبت الأوضاع ، وحركت العقول ، وشبّبت العواطف ، ونادت بعدم احترام القديم ، والتجديد فى كل شىء . وقالت : إن القديم لا يقدس لقدمه ، ولا الجديد لجدته ، ولكن يحكم العقل فى القديم والجديد . وامتدت هذه الثورة إلى انجلترا وألمانيا وكل البلاد الغربية المجاورة . وكان من أثرها الانتقاض على الحكومات وعلى كل شىء ، وتأسيس نظم جديدة لكل شىء .

ثم حدثت بعدها ثورة اقتصادية ، وثورة صناعية ، كان من أثرها الاختراعات الحديثة فى البخار والكهرباء ، والموجات الهوائية ، وغير ذلك ، فأكسبهم ذلك قدرة هائلة فى الآلات الحربية ، وتفوقوا فيها على الشرق .

كل ذلك جرى والشرق نائم ، لا يعرف حالة الغرب ، وتفوقه عليه ، وقد كان الغرب قبل هذه الثورة كالشرق أو أقل منه ، ولكنها جعلته بعد ذلك يصحو ويعلو ويتقوى فى حين أن الشرق ظل نائماً ، لا يعرف من العلم إلا القليل ، ولا من الصناعة إلا الصناعة القديمة ولا من الآلات الحربية إلا القديم .

ثم أن كان الغرب محتاجا إلى مواد خامة لا يجدها إلا فى الشرق ، ومحتاجا إلى أسواق جديدة يصرف فيها ما أنتجته الصناعة الحديثة فلم يكن يكفل له حاجاته إلا الشرق وأسواقه فاحتك الغرب به وغزاه ، وقد كان يتهيبه . فلما احتك به وحاربه تبين له ضعفه وأطمعته الضربة الأولى فى الثانية ، والثانية فى الثالثة حتى أصبح الشرق كله عبدا ذليلا للغرب ، يستغله لمصلحته ، ويأخذ منه المواد التى يريدها ، ويمنعه من مسابقته حيث يريد . فإن أبى ضربه ضربة شديدة يؤدبه بها ، حتى استذله ، ولكن ما لبث أن تبين أن هذه النقمة فى الظاهر كانت نعمة على الشرق فى الباطن ، فقد أخذ الشرق ينشئ المدارس على النمط الغربى ، ويعلم العلوم الغربية ويرسل

أهله بعثات للغرب ، يستمدون منه أهم ما عنده حتى السياسة وأساليبها . ثم يعودوا بعد أن يستكملوا دروسهم ، فيكونوا منارا للشرقيين.

وكذلك اقتبس الشرق بعض صناعات الغرب ، وبعض أفانينه ، كالصحافة والراديو والتمثيل وما إلى ذلك . وكل هذه الأمور كانت تنبه الوعى القومى وتنيره ، وزاد على ذلك أن المرأة أيضاً تنبهت على يد قاسم أمين وغيره ، ممن تعلموا فى الغرب ، واقتبسوا آراءهم فى المرأة منه ، فتقدمت المرأة وقدمت أولادها ، فكل هذه الأمور أعدت الشرق للثورة .

وكانت البلاد الإسلامية كلها تقتبس من الغرب ، كل قطر حسب استعداده وظروفه وحسب منهج زعمائه . فتركيا مثلا على يد مصطفى كمال تريد أن تنقل المدنية الغربية بحذافيرها إلى بلادها ، فتختار قانونا غربيا لتطبقه عليها ، وتختار الحروف اللاتينية بدل الحروف العربية ، وتلغى المعاهد الدينية ، وتلبس الشعب البرنيطة بدل الطربوش حتى لو استطاعت أن تأخذ المسيحية بدل الإسلام لفعلت ، ومصر تقتبس من المدنية الغربية بحذر ، تأخذ منها ما تريد ، وتدع ما تريد ، ولا تريد أن تترك القديم كله ، ولا أن تأخذ الجديد كله ، فما وافق الإسلام قبلته ، وما خالفه تركته ـ غالبا ـ والبلاد الأخرى التى تجاور مصر تقلدها . وإيران والحجاز واليمن كان اقتباسها من المدنية الغربية أقل من مصر وتركيا ، ثم كان أن انتشرت المدنية الغربية فى كل مرافق الحياة .

وبعد : فماذا يريد العالم الإسلامى من ثورته ؟ يريد وقد تنبه أن يصد الغرب عن جشعه ، وأن يستقل كما استقلوا ، وأن يرعى مصالحه كما يرعون مصالحهم ، وأن تكون غلته لنفسه ، لا للغرب ، وأن يكون حكمه بنفسه ، لا بالغرب . والغرب وقد ذاق لذة الاستغلال والاستعمار والسيطرة يأبى على الشرق ذلك ، فكان الصدام فى كل مكان شرقى ، فى مصر ، فى سوريا فى تركيا ، فى العراق ، لأن النوازع مختلفة والمطالب مختلفة .

وقد كان الشرق قديما يمنّى بالوعود فيستجيب ، ويضحك عليه فيرضى ، ويستغفل فيغفل ، أما اليوم وقد تنبه وعيه ، فقد أدرك حيل الغربيين ودسائسهم ، وأدرك ألاعيب السياسة ومقاصدها ، فلم ينخدع اليوم كما كان ينخدع من قبل ، وطالب بحريته كاملة غير منقوصة ، وأصبح الاستعمار عسيرا بعد أن كان يسيراً ، وأصبح الأدب والجرائد اليومية والتمثيل والراديو تغذى المشاعر القومية ، حتى إن انجلترا فى هذه الأيام[1] تريد حلا مزوّقا ، لا يرضى عنه المصريون . ولما زار رئيس فرنسا مراكش والجزائر ، قابله جمع

[1] : يوم كتب هذا المقال كانت مصر لا تزال تدور فى حلقة المفاوضات البريطانية المفرغة ، ولم تكن قد طلعت شمس النهضة الاستقلالية الحديثة عليها ، ولا على كثير من شقيقاتها العربيات بعد ـ المجلة .

من القواد المغربيين وطالبوا أن يكون التعليم بلغة قومهم ، وثار المغاربة فى العهد الأخير .

يريدون الاستقلال ، ولم يعودوا يطيقون المذلة ، ودعوة الإسلام نفسها تلهب قلوب المسلمين ، ليسترجعوا ما فقد من بلادهم ، ويستقلوا عمن يحكمهم من غير دينهم .

ويظهر أن هذا الصراع سيطول ، لأن العقلية الأوربية لا تريد أن تتغير عما عهدته من قبل ، ولا تريد أن تساير الحركة الإسلامية وقد تطورت .

ويظهر أن الزمن سيكون فى صالح المسلمين لأن عوامل إثارة الشعوب من جرائد وكتب ومقالات وخطب تلهب شعورهم مع الزمان . هذا من جهة ، ومن جهة أخرى تلهبهم الحركات الشيوعية التى تعمل عملها فى رفض الاستعمار ومحاربته . فالزمن كفيل بأن الاستعمار يعرض عليهم فيما بعد ما لا يقبلونه وقد كانوا يقبلونه اليوم .

وأيضاً فإن علم المسلمين سيزداد ، وصناعتهم ستتحسن ، وشعورهم القومى سيلتهب بفضل أخطاء الاستعمار ، وبفضل انتشار التعاليم التى تدعو إلى الحرية والإنسانية .

هذا إلى أن هناك نزعة جديدة إلى العودة إلى الإسلام وتعاليمه ، ومتى انتشرت هذه الدعوة دحرت دول الاستعمار ، لأن من فضل الإسلام أنه يبث فى معتنقيه العزة والشعور بأن دين الإسلام لا يصح أن يحكم بدين غيره . وهذا ما يخشاه المستعمرون . وخصوصا الفرنسيين فمن أكبر الأسباب التى تخيف فرنسا من تعليم اللغة العربية ، هو أن اللغة العربية وسيلة القرآن ، والقرآن يناهض الحركة الاستعمارية . وقد صرح كبير فرنسى فى إحدى جرائدهم بذلك . وهو حق .

وتختلف أيضا الأقطار الإسلامية بالتزام تعاليم الإسلام ، واصطباغ أهله حكومة وشعبا بصبغته . وربما كان من أوائل الأمم الإسلامية باكستان . فهى تعتز بالإسلام اعتزازا كبيرا ، وتريد أن تنظم حكومتها ومشاريعها على أساس إسلامى . ولها كل الحق فى ذلك . غاية الأمر أنه يلزمها المرونة فى التشريع حسب مقتضيات الحال والزمان ، كما يلزمها أن تقتبس من العلوم الغربية ما استطاعت فتكون مشاعرها وآدابها إسلامية ، وتكون علومها غربية . ولا ضرر فى ذلك ، بل فيه كل النفع . والإسلام نفسه يدعو إلى ذلك . وأسس الدين لا تتغير . ولكن أسس العلم تتغير كل يوم ، حتى إن علم أفلاطون وأرسطو لا يصلح لتلاميذ مدارسنا اليوم ، بل إن الطبعة الأولى من كتاب علمى لم تعد تصلح بعد ظهور الطبعة الثانية منقحة مهذبة . والله المسئول أن يلهم قادة الغربيين الصواب ، فيفهموا أن السياسة القديمة لا يصلح تطبيقها على العهد الجديد ، ويعصم المسلمين من الزلل فيسيروا على خطة حكيمة حتى فى ثورتهم ليصلوا إلى غايتهم ؟

أحمد أمين

نفحات القرآن

مسئولية المرء عن إضلال نفسه

للأستاذ عبد اللطيف السبكى

سأصرف عن آياتى الذين يتكبرون فى الأرض بغير الحق

هناك صرفة وصرف ، أما الصرفة فقول الكفار من قريش : إن القرآن فى ذاته غير معجز بلفظه ولا بمعناه ، ولكن الله صرفنا بقدرته عن الإتيان بمثله .

ومع أن هذا تطاول منهم وإنكار بغير حق ففيه اعتراف ضمن بجلال القرآن وسموه عن مدارك البشر - ولكنهم لا يفقهون .

وليس هذا موضوعنا الذى نتجه إليه .

١ - بل موضوعنا صرف الله لبعض الناس عن آياته ، فلا يتدبرونها على الوجه الحق .

وهذا شطر من آية فى القرآن يثير جدلا بين المرء ونفسه ، ويدفع بالإنسان فى مجال فسيح من التفكير فى تحديد مسلكه أمام دينه وربه ، وربما امتد هذا التفكير من الحيز الفردى إلى الجماعة الكثيرة .

وحينما يضطرب الصدر بهذه الأحاسيس الباطنة ويتخذ الإنسان من عقله رائداً فى الموازنة بين ما هو عليه ، وما ينبغى له ، أو بين ما يوحى به الضمير وما تجنح إليه الميول فالغالب أن يجد للضمير غلبة وللحق سلطانا ، فإذا ما طغت نوازع الهوى ، أو تعثر الضمير فضعف لدى الإنسان سلطان الحق فإن صوت الدين غير خافت ، ودعوة الله موصولة بالأسماع ، وغير محجوبة عن الأبصار وبقية الحواس فى كل ما تشهده العين وسواها من صور الطبيعة وألوانها وأعراضها .

وقد عهدنا فى القرآن حرصا على هداية الناس بالحث على النظر فى آياته المتلوة والكونية وعهدنا فيه الاحتكام إلى عقولنا فى تقدير دعوته والاقتناع بكل آياته وتصديق الرسالة ، والاتجاه إلى الطاعة .

ولكن الموطن الذى نحن فيه الآن إزاء ما معنا من آية الموضوع يواجهنا فى صراحة بأن العبرة بما فى الآيات ليست متاحة لكل إنسان ، وأن الله يصرف عنها الإنسان فلا يمكنه أن يفطن إلى شىء من هدايتها .

فكيف يستقر الفهم على الجمع بين الاهتداء بالآيات كما أمر الله ، وبين صرف الله عن العبرة بآياته كما صرح به فى قوله تعالى « سأصرف عن آياتى ... » .

٢ — وجواب ذلك بديهى مبسوط فى نفس الآية ، فأن « تمامها » ... الذين يتكبرون فى الأرض بغير الحق . ومن هذا يتضح أن الصرف عن الآيات وفهمها ليس مفروضا دائما ، وإنما هو معاملة بالمثل فالذين يتكبرون عن المطاوعة ، ويتورطون فى الكبرياء بين الناس ويفرضون لأنفسهم تدخلا فى سلطان الله ، وفى تشريعه لعباده ، ويفرضون سيادة غاشمة بين خلقه : هؤلاء الذين يحالون ان يتنصلوا من العبودية ويتفلتوا من دعوة التكليف هم الذين أبعدوا أنفسهم عن ذكر ربهم . وأغفلوا نداء الله لهم ، فصرفهم الله عن تدارك أنفسهم . وشغلهم فى لهوهم عن الرجوع إلى آياته ، وهؤلاء هم الذين تحدث عنهم القرآن بأنهم « نسوا الله فأنساهم أنفسهم » فالجفوة بادئة من جانب الإنسان والجزاء عدل من جانب الله بصرف العبد ...

وقد يقال : إن العبد رهين بالمشيئة من الله فلو شاء الله هدايته لهداه كما نطق القرآن نفسه بذلك فى كثير من آياته « ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها » ، « ولو شاء لهداكم أجمعين .. الآيات » .

فكيف تلقى على المرء تبعة ضلاله ، وتتجه إليه باللائمة ، وهو مغلوب على أمره ؟..

٣ — ونحب أن نكرر ونؤكد أن للعبد إرادة فى الاختيار ، وهو المذهب العلمى الذى ندركه فى سهولة ، ونختار الجنوح إليه ، وهو المعقول الذى تتضح به مسئولية العبد عن تبعاته ، حيث أراد لنفسه ما أراد .

وهو ما يتمشى مع نسق الكتاب العزيز فى كل ما أتى به فى هذا الشأن « كل امرئ بما كسب رهين » ، « كل نفس بما كسبت رهينة » ، « بما كسبتم » ، « بما كنتم تكسبون » ، « ليجزى الذين أساءوا بما عملوا » .

وزيادة فى البسط مع الإيجاز نذكر الناس بأن للإنسان علاقة روحية بالله ، وعلاقة مادية بالدنيا .

وقد جعل الله من سنته فى تربية عباده أن ينبههم دائما إلى العلاقتين ، ليعرف الواحد منا حق الله عليه ، ويحاول الوفاء به ما استطاع ، وليدرك نصيبه من الدنيا ويتمتع فيها بنصيبه المقسوم له متاعا غير مشوب

بكفران ، ولا غفلة عما وراءها من حساب .

وليس بين العلاقتين تعارض كما يتصور ذلك أفراد منا ، وكما يصوره للناس بعض الواعظين .

فمن الحق أن العلاقتين بالنسبة للإنسان كجناحي الطائر يحتاج إليها معا ، ولا يمكنه أن ينهض بأحدهما نهوضا يعتد به فى حياتنا هذه أو فيما بعد هذه الحياة .

فالدنيا مجال العمل ، ومرحلة الاستعداد لحياة خالدة ... والعمل فيها لا يكون إلا بالتزود من خيرها . ولا يكون بالانقطاع عنها ... وإذا كان القرآن يزهدنا فيها ويفضل لنا متاع الآخرة فذلك للتحذير من غرورها والاستسلام لزينتها ومرحها ، ولإيقاظ وعينا نحو ما هو مغيب عنا فى الحياة الثانية وما فيها من ترفه لنا . ونعيم هو خير وأبقى من نعيمنا الحاضر مهما بلغ .

أما الدنيا فى ذاتها فهى متاع . وفيها نعيم وفيها مظاهر قدرة الله ، وأنواع فضله على عباده ، وفيها فرصة الادخار للنعيم المقيم ، وقد أشاد بها القرآن كثيراً ، وامتن الله على عباده بما خلق لهم فيها من ضروب نعمائه .

٤ — وإذا كان فى عباد الله من أخذوا منها بالقليل ، وعاشوا فيها على الرضا ، وحذروها أكثر من سواهم فلأن لهم رسالة تستقل بجهودهم ، وتستأثر بأعمالهم ، وتقتضيهم أن يتفرغوا منها لما هو منوط بهم كالرسل عليهم صلوات الله ، فلم تكن حياتهم لأنفسهم بل كانت للدعوة والإصلاح وتوجيه الأمم إلى ما يراد منها ، فحاجة الرسل إلى الدنيا فى المكان الأخير بالنسبة لشأنهم هذا .

على أن من الرسل من جعل الله فى قبضته رزقا واسعاً ، وجعل له بجانب هذا الرزق سلطانا مكينا ، وحكما نافذاً حتى على الجن والطير ، فلو كانت الدنيا حقيرة كما زعم زاعمون لما منحها خالقها لأكرم الناس عنده وهم رسله الأخيار من عباده .

٥ — وأما علاقة الإنسان بالله روحياً فتلك ملاك الأمر كله فإن سبحانه هو الأول بلا بداية ، ومنه الخلق والرزق والحياة والموت .

وهو سبحانه الآخر بلا نهاية فإليه المرجع والحساب .

والمرء فيما بين أوله وآخره بين أصابع الرحمن ، وتحت سلطانه ، فكيف تنقطع علاقته بربه ، وكيف ينفك من عقاله هذا وعقاله فى يد قوية وفى إرساء متين ؟ .

صلة العبد بالله صلة الفقير جدا بالغنى جدا فإن تكن حاجة الفقير داعية إلى الأدب . والتواضع والاعتراف بالجميل فكذلك حاجة العبد أو أشد بكثير وكثير ،

مع ملاحظة الفارق بين العبودية والربوبية .

٦ — وحينما يتبجح الفقير فى وجه الغنى المحسن إليه يكون الفقير قد أساء إلى نفسه ، وانحاز بها إلى الحرمان من خير كان يغمره عن طريق الإحسان ، فهو شؤم على نفسه واللائمة عليه لا على غيره ...

فأولى بذلك الأدب والتقدير عبد من عباد الله مصنوع بيد الله ، وفقير من كل ناحية إلى الله ! ! ...

على أن الله لم يقطع كل خيره عن عبده المنحرف فهو لا يزال يرزقه ولا يزال يتلطف به فى دنياه ويمنحه الكثير من فضله فى صحته ، وماله ، وولده ، وجاهه .

وهذه معاملة إحسان يفيض من الجانب الأعلى : لا وجوبا لنا ، ولا لزاما عليه ، ولكنه يعاملنا بما يليق به هو من كرم ورحمة كتبها على نفسه ، فهى من كماله ، وجلاله ومن مقتضى ذاتياته القدسية وصفاته العلوية ، فيكون حتما علينا عقلا أن نخضع ونؤمن ، وأن نفكر ونشكر .

هذا توجيه إلى ناحية اتصال العبد بربه من طريق الدين والدنيا ، ويتبين منه واضحاً أن الدين يلتقى مع الدنيا فى أصح التئام ، وأكرم تقدير : إلا من ختم الله على قلبه وسمعه وجعل على بصره غشاوة وتركه لشيطانه يخرجه من النور إلى الظلمات ، فإن رأى آية من آيات الله فلا يؤمن بها ، وإن ير سبيل الرشد لا يتخذه سبيلا ، وإن ير سبيل الغى يتخذه سبيلا وهؤلاء هم الذين كذبوا بآيات الله ، وكانوا عنها غافلين .

٧ — وإن يكن هذا الذى فى آية الموضوع مسوقا فى جانب الكفار من أهل الكتاب أو المشركين فجانب العبرة فيه موجه إلى الجميع بما فيهم المسلمون ، فإنه لتربية الناس عامة ، وليس لتهذيب فريق دون فريق ، فإن عدل الله سواء فى جزاء كل بما عمل ، وما هناك من عفو أو مزيد فى العطاء فإنما يكون لحكمة يعلمها هو ، دون استحقاقنا لذلك إلا مجرد فضل من عنده سبحانه وفى حديث قدسى (... وإنما هى أعمالكم ، أحصيها عليكم ، ثم أوفيها لكم) .

وإن التحاكم إلى العقل فى هذا لكفيل برد الفكر عن شططه فى الأمانى ، وكفيل بتركيز إيماننا وتقديرنا لعدل الله فيما يعامل به عباده من غضب وعذاب بعد أن بين لنا الحجة ودعانا إلى الاهتداء ومحاولة التخلص من حبائل الشيطان بطرح وساوسه والاستعاذة بالله من نزغاته .

هذا ـ وقد يبدر إلى الأذهان أن ضلالة المرء هى كفره ، أو جرائمه الشخصية فى عمله الخاص به .

٨ — ولكن هناك جانبا من الضلال لا

يفطن إليه سوى قليل من الناس ، وهو جانب الإضلال للغير ، فتلك وظيفة الشيطان مع أتباعه ، وسياسة شياطين الإنس مع رفاقهم من أهل الأهواء .

وقديما كانت هذه شائعة بين المستكبرين والمستضعفين من الناس فى الإقبال على الإيمان والصدود عنه .

وللقرآن حملات صادقة عنيفة على تحكم المستكبرين فى المستضعفين ، وعلى متابعة هؤلاء الضعفاء لأولئك فى الكفر والتخلف عن دعوة ربهم .

وللقرآن كذلك تصوير صادق ومزعج لحالة الفريقين وموقف كل من صاحبه يوم يتحاجون عند ربهم ، ويلقى بعضهم تبعة جرمه على الآخر .

ولعل هذا النوع من الضلال والكفر المتبادل بين المتبوع والتابع يكون باقيا فى كثير من الأوساط على الرغم من ذيوع التعليم ، وانطلاق الفكر فى مجال البحث والموازنة والاختيار .

فإن كثيرا من البيئات لا تزال غير آبهة بوضعها الدينى ، ولا مقبلة على تصحيح هذا الوضع ، وإن توافرت حولها وسائل الهداية ، وسهلت عليها مآخذ المعرفة ، فبقى للتقليد أثره الفعال فى نفوس الناشئين فى بيوت يشيع فيها التحلل ، ولا يوجد فيها توجيه صحيح .

ومن هذا نجد ألوانا من الضلال فى العقيدة ، أو فى المسلك شائعة بيننا فى رجال وسيدات ، وفى شبان وشابات محسوبين من البيئة الإسلامية ، وما هم منها إلا فى الإحصاء والتعداد .

وهل تظن أن رجلا بلغ من العمر ما بلغ فإذا سألته عن الصلاة وهو مسلم — فما يقول — أو سألته أن يقرأ الفاتحة أو يفرق بين الفرض والنفل فى دينه . أو سألته عن معنى الحج : وقف من سؤالك موقف العجب فى دهشة ، وموقف الجاهل فى خزى مما فاجأته بسؤالك الغريب على عقله ! .

وهل تظن أن سيدة فى عداد المسلمات تسألها عن ربها فتقول : اسمه محمد . وتسألها عن محمد فلا تعرف شأنه فى الدنيا ! وهى أم تربى أطفالا ! .

وهذه أمثلة من واقع الحياة فى بيوت تحسبها مسلمة ، ولكن جوها ، وطابعها ، وكل ما يدور فيها من أقوال وأعمال هو اقتباس من الغير ومحاكاة للغير ، وارتياح إلى ما عرفوا عن الغير ، وهم بعد ذلك كله فى غير قلق لما هم عليه من ضياع . بل ، ولا فى أدنى تفكير للنظر فيما هم عليه . وحسبهم فى حياتهم أنهم سادرون فى غفلة عما وراء حياتهم هذه ما داموا يمرحون ، ويلعبون ، وما داموا يتمتعون ويأكلون ، وإن كانوا يأكلون كما تأكل الأنعام .

٩ — وهناك نوع من الاضلال أشد خطراً مما ذكرنا من فعل الإنسان للجريمة ، في أو تقصيره الاهتداء ! ! .

هناك أناس يتصدون لدعوة الغير إلى ناحية الدين ، أو هم في دعوتهم غير مبالغين لما جاء في كتاب أو سنة ، بل مبتدعون لشيء جديد من عندياتهم ، وغير معتمدين على قول لله ، أو لرسوله أو على أثر لأصحاب الرسول ، فماذا تنتظر من هؤلاء المعتمدين على أنفسهم في التشريع للأحكام سوى المخالفة المردية في الهلاك ، وسوى البعد بالناس عن دينهم الحق .

المفروض في عالم الدين أنه أمين على ما عرف من حكم الله ، وأنه يؤازر الناس ويحبب إليهم الطاعة والحرص على أحكام دينهم . فإذا أتاح لنفسه أن يجتهد فليعتمد على ما لديه من دليل منصوص وليستعن برأى العلماء كما كان الرسول أحيانا يستعين بمشورة أصحابه .

وكما كان الصحابة من بعده يستعين بعضهم ببعض ، ليتعرفوا ما لدى بعضهم من نص ، أو ليتعاونوا في التحرى عن وجه المصلحة فيما هم بسبيله من تعرف الحكم المطلوب ! ! .

فما بالنا وقد ابتدع بعض المعاصرين خطة غريبة في التحليل والتحريم ، وما ذلك التشريع إلا حقاً لله وحده ، واستمداداً من تشريعه واهتداء برسوله فيما وضع لنا ونصح به ؟؟ .

أيكفي أن أقول للناس : هذا ما أراه ، وهذا ما أعتقده : دون أن أكون مستصحباً لسند يبيح لي الابتكار في الأحكام ؟ ؟ فضلا عن بعدى عما شرع الله ، وتركز في أذهان المسلمين ، واستقرت عليه الأوضاع ، وأصبح معلوما من الدين بالضرورة ؟ ؟ .

ليس هذا الابتكار الخطير مجرد غلطة ، أو ضلالة شخصية . وإنما هو إضلال للغير ، وليس في الناس أظلم من افترى على الله الكذب وهو يدعى إلى الإسلام .

١٠ — أقول ذلك : وفي النفس لاعج من الأسف لأن رجالا وسيدات أيضا يتصدون لتفسير القرآن في مجلات يقرؤها المسلمون تفسيراً عجيباً جداً والمسلمون يرون في هذه التفسيرات الخاطئة جرأة على الكتاب الحكيم .

ويبرءون إلى الله من الأخذ بهذه التفسيرات حفاظاً على دينهم ، وخوفا من ربهم .

ولو تركنا الناس يفعلون المحرم وهم يعتقدونه محرما لكان خيراً لنا وللناس وللدين من أن نقول لهم : هذا الحرام عند الله حلال في رأينا ، أو نقول لهم إن ما ترونه مصلحة لكم يبيح ما حرم عليكم : فبهذا التأويل تستباح المحرمات ، وتهدر النصوص وتلغى القيود وترفع الحدود التي وضعها الله بين حرامه وحلاله « ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه » .

هدانا الله جميعاً وعصمنا من الزلل . ؟

عبد اللطيف السبكي

عضو جماعة كبار العلماء

تطوير الفقه الإسلامى

للدكتور محمد يوسف موسى

الفقه الإسلامى قابل للتطور بلا ريب ، وله من أصوله ما يجعل هذا التطور أمراً ميسوراً مشروعا بل واجبا ، مثل الإجماع والاستحسان والمصالح المرسلة . ولو لم يكن الأمر كذلك ، لما صح أن نقول بحق : بأن الشريعة الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان.

وذلك بأن الأحكام التشريعية التى جاءت بالكتاب والسنة ، والتى أثرت عن الصحابة والتابعين ، بل التى وصلت إلينا عن الأئمة أصحاب المذاهب الفقهية المعروفة ، هى أحكام تبين وجه الحق فيما كان فى تلك الأزمنة الماضية من مسائل ومشاكل تتطلب بيان حكم الله فيها ، على حين أن الحوادث والمسائل التى يجب معرفة أحكامها الشرعية لا تتناهى ، بل هى تتجدد وتتزيد دائما فى كل عصر وزمان ومكان .

وقد فطن كثير من علماء القانون الغربيين إلى هذه الحقيقة ، وهى قبول الفقه الإسلامى للتطور حسب أصوله ، ونادوا بها فى كثير من المؤتمرات التى يعقدونها لأبحاث القانون المقارن ، وكان مما قرروه فى بعض هذه المؤتمرات أن الفقه الإسلامى فقه أصيل حى ، وأنه قابل للتطور ومسايرة الحياة الحاضرة .

* * *

هذا ، وإذا كنا ندعو منذ سنوات إلى وجوب العمل الجاد لتطوير الفقه الإسلامى فى حدود الكتاب والسنة ، فإن ذلك ليس بدعة منا ، بل إن الذى ندعو جاهدين له هو السير على المنهج الذى سنه لنا الصحابة والتابعون أنفسهم رضى الله عنهم ، هؤلاء الفقهاء الأجلاء الذين أدركوا هذه الحقيقة ، وعملوا لها ، وضربوا لنا فى سبيلها كثيرا من المثل التى يجب احتذاؤها والاهتداء بها .

وقد ذكرنا فى المقال السابق بعض تلك المثل الهادية ، ونتقدم اليوم ببعض المثل الأخرى ، وكلها من الفقه الأصيل لسادتنا أصحاب الرسول وتابعيهم بإحسان، وهى هذه :

١ — ضمان الصانع والمودع ونحوهما :

من المعروف عقلا وشرعا أن يد المودع يد أمانة كما يقول الفقهاء ، وأن الأمين على

شيء تحت يده لا يضمن قيمته إذا ضاع أو هلك إلا إذا ثبت تعديه وتفريطه في حفظه كما ينبغي ؛ فالنساج والخياط والحذاء مثلا لا يضمن أحدهم شيئاً مما تحت أيديهم ؛ لأنهم أمناء عليه إلا إذا كان أحدهم قد تعدى وفرط ، فحينئذ يكون عليه الضمان ، وفي هذا يقول صلى الله عليه وسلم : « لا ضمان على مؤتمن (١) .

هكذا كان العمل والحكم أيام الرسول ، فكان لا يحكم بتضمين الصناع والمودعين والمستعيرين ما فقدوه مما كان أمانة لديهم إذا ادعى الواحد منهم هلاكه دون تفريط أو تقصير منه ، وكانت القاعدة تصديقهم فيما يقولون .

إلا أنه حدث أيام الصحابة والتابعين أن أخذ الزمان ينال من ضمائر بعض الناس ، وبخاصة بعد أن دخل في الإسلام من لم يأخذوا أنفسهم بما جاء به هذا الدين القيم من تشريعات وتعاليم وأخلاق وآداب . ومن هنا بدأت الخيانة تظهر من البعض ، واستهانوا بالكذب في معاملاتهم ، فكان لا بد من علاج هذا الحال بما يجعل الأمين على شيء يحرص على حفظه كما ينبغي .

وكان هذا العلاج هو الحكم بتضمينهم ما ضاع منهم أو هلك ، إلا إذا أقاموا البينة الشرعية على أن ذلك لم يكن بتفريط أو تقصير منهم . وكان أول من ذهب إلى هذا الرأي الإمام علي رضي الله عنه ، وفي ذلك آثار كثيرة يرويها الإمام البيهقي وغيره ، وهي يقوي بعضها بعضا ، وكلها تدل على تضمين الصناع والأجراء ونحوهم ، ونذكر من هذه الآثار ما يلي :

(ا) ضمن علي بن أبي طالب العمال والصياغ ، وقال : لا يصلح الناس إلا ذلك .

(ب) وعن جعفر بن محمد عن أبيه أن عليا كان يضمن الصياغ والصانع ، وقال : لا يصلح الناس إلا ذاك .

(ج) وعن قتادة أن عليا كان يضمن الأجير ، وروى مثله أيضاً عن الشعبي .

وقد تتابع الفقهاء على الأخذ بمذهب الإمام علي في ذلك ، ومنهم القاضي شريح ابن الحارث الكندي فقد جاء عن محمد ابن الحسن الشيباني أن رجلا أتى شريحاً فقال له : دفع إلى هذا ثوبا فاحترق بيتي فاحترق ثوبه ، قال : ادفع إليه ثوبه (يريد ثمنه أو قيمته) ، قال : أدفع إليه ثوبه وقد احترق بيتي ! قال : أرأيت لو احترق بيته أكنت تدع أجرك(١) .

وأخذ من بعد هذا الإمام الشافعي بمذهب القاضي شريح ، فقد ضمن قصاراً

(١) راجع نيل الأوطار حـ ٥ : ٢٩٦ ، والسنن الكبرى للبيهقي حـ ٦ : ٢٨٩ — ٢٩٠ .

(١) كتاب الآثار ، ص ١٣٥ .

احترق بيته ، فقال له هذا : أتضمنني وقد احترق بيتي ! فرد عليه بقوله : أرأيت لو احترق بيته أكنت تترك له أجرك[1] ! .

ونرى من هذه الآثار والنقول أن الفقهاء استحدثوا أحكاما جديدة فى هذه المسألة ، مسألة تضمين من اؤتمن على شيء أو عدم تضمينه ، وذلك لتغير الزمن وحدوث حال يتطلب هذه الأحكام ؛ وإن كان فى هذا تخصيص النص النبوى الذى يقول بأنه لا ضمان على مؤتمن ، أو ترك الأخذ بظاهره فى كل حال وزمان .

٢ — تقدير الدية نقداً :

وإذا كان المثال السابق يدخل فى نطاق القانون المدنى ، فهذا مثال آخر يدخل فى القانون الجنائى ، وهو أن الرسول صلى الله عليه وسلم قضى بأن من قتل رجلا خطأ فعليه دية مائة من الإبل ، وإن اختلفت الروايات فى بيان أنواعها ؛ فقد جاء فى إحدى الروايات أن هذه المائة يكون منها ثلاثون بنت مخاض ، وثلاثون بنت لبون ، وثلاثون حقة ، وعشرة بنات لبون ذكر . وفى رواية أخرى أنها تكون عشرين حقة ، ومثلها جذعة ، ومثلها بنت مخاض ومثلها بنت لبون . ومثلها بنات مخاض ذكر[1] .

وفى حديث آخر رواه أبو داود فى سننه عن عطاء بن أبى رباح أن الرسول صلى الله عليه وسلم فرض فى الدية على أهل الإبل مائة منها ، وعلى أهل البقر مائتى بقرة ، وعلى أهل الشاء ألفى شاة ، وعلى أهل الحلل مائتى حلة . وفى حديث آخر رواه ابن عباس أنه عليه الصلاة والسلام جعل دية رجل من بنى عدى قتل اثنى عشر ألف درهم[2] .

وبعد هذين الحديثين الأخيرين ، وهما اللذان روى أحدهما عطاء والثانى ابن عباس واللذان يرى رجال علم الحديث أن فيهما مقالا ، يروى عمر بن شعيب أثراً لا ريب فى صحته يقول فيه : كانت قيمة الدية على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثمانمائة دينار أو ثمانية آلاف درهم ، فكان ذلك كذلك حتى استخلف عمر رحمه الله فقام خطيبا فقال :

---

(١) السنن الكبرى ٦ : ١٢٢ .

(١) الحقة هى التى دخلت فى السنة الرابعة فحق أن يطرقها الفحل ، والجذعة ما دخلت فى الخامسة ، وبنت المخاض ما دخلت فى الثانية ، وبنت اللبون ما دخلت فى الثالثة وصارت أمها ذات لبن بوضع حمل آخر .

(٢) هذه الأحاديث وردت فى باب « الدية » فى كتب الحديث والسنة ، وهى كلها فى سنن أبى داود ٤ : ٢٥٦ — ٢٥٨ . وراجع أيضاً الموطأ للإمام مالك ج ٢ : ١٨١ — ١٨٢ ، والجامع لأحكام القرآن للجصاص ج ٢ : ٢٨٣ ومابعدها .

« ألا إن الإبل قد غلت » ثم فرضها على أهل الذهب ألف دينار ، وعلى أهل الورق اثنى عشر ألفاً ، وعلى أهل البقر مائتى بقرة وعلى أهل الشاء ألفى شاة ، وعلى أهل الحلل مائتى حلة [١] .

هذه أحاديث وآثار وردت فى مسألة الدية وتقديرها ، فما الذى يستطيع الباحث المحقق أن يأخذه منها ؟ أتكون من الإبل وحدها ، أم منها ومن غيرها من أجناس المال؟ .

إن من الثابت الذى لاريب فيه أن الرسول جعلها من الإبل ، والحديثان اللذان فيهما تقديرها من الإبل وغيرها فيهما عند رجال علم الحديث مقال وعلل كما ذكرنا آنفا ، وهذا ما يجعلنا ترجح أنه لم يثبت بطريق لا شك فيه أن الرسول جعلها من الإبل وغيرها .

بقى بعد هذا ما روى من الأثر الصحيح عن سيدنا عمر بن الخطاب ، وهو أنه قدرها بالذهب على أهله ، وبالفضة على أهلها ، وبالبقر على أهلها وبغير ذلك من أجناس المال التى ذكرناها ، كل على أهله .

وكل ذلك لعلة لم تكن موجودة أيام الرسول استوجبت تغيير التقدير ، وهذا ما يتفق وما جاء فى الأثر الذى رواه عمر بن شعيب إذ يقول بعد أن ذكر ما كان عليه العمل أيام الرسول : فكان كذلك حتى استخلف عمر ، إلى آخر هذا الأثر الصحيح .

ومهما يكن ، فإن عمر لم يخالف فى الحقيقة عن أمر الرسول وسنته ؛ لأن المراد هو تعويض أهل القتيل تعويضا مناسبا ، وهذا التعويض قد يكون بالإبل فى حال ، كما قد يكون بغير الإبل فى أحوال أخرى حسب الزمن وأجناس المال الميسور على القاتل أداء الدية منه . [١]

٣ — حكم التسعير :

الغرض من التجارة هو تبادل السلع والربح منها ، ومن قواعد المعاملات التراضى بين الطرفين على المبيع والثمن ، فلا يجوز إكراه البائع على البيع بثمن محدود لا يرضاه ، ولهذا ورد فى كثير من الأحاديث والآثار أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يرض « التسعير » حين طلب ذلك منه .

ومن هذه الأحاديث : ما رواه أبو هريرة رضى الله عنه من أن رجلا جاء إلى الرسول فقال :

« يا رسول الله سعر لنا ، فقال : « بل

---

[١] راجع الموطأ ٢ : ١٨٠ وشرحه المنتقى للباجى ج ٧ : ٦٨ .

[١] راجع فى المسألة من جميع نواحيها « الروض النضير ٤ : ٢٤٩ — ٢٥١ ، وفيه بيان آراء الشيعة أيضا .

أدعو ، ثم جاء آخر فقال مثل ذلك ، فقال الرسول : « بل الله يخفض ويرفع ، وإنى لأرجو أن ألقى الله وليس لأحد عندى مظلمة » .

وفى حديث آخر رواه أنس بن مالك أن الناس قالوا : يارسول الله غلا السعر فسعر لنا ، فقال الرسول : « إن الله هو المسعر القابض الباسط الرازق ، وإنى لأرجو أن ألقى الله وليس أحد منكم يطالبنى بمظلمة فى دم أو مال » .

وروى البيهقى أن عمر بن الخطاب أمر بائع زبيب أن يرفع سعره أو يدخله بيته كيف شاء . ثم رجع إليه وقال له : إن الذى قلت ليس بعزمة منى ولا قضاء ، إنما هو شىء أردت به الخير لأهل البلد ، فحيث شئت فبع ، وكيف شئت فبع (١).

ويؤخذ من ذلك بصراحة أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يرض بتسعير المبيعات وتحديد أثمانها ، ولهذا ذهب جمهور العلماء إلى عدم جوازه سواء فى حال الغلاء أو الرخاء ، ومن غير فرق بين السلع المحلية والأخرى المجلوبة إلى البلد .

وقد أبان الإمام الشوكانى المتوفى سنة ١٢٥٥ هـ . وجهة نظر من ذهب من الفقهاء إلى هذا الرأى إذ يقول : إن الناس مسلطون على أموالهم ، والتسعير حجر عليهم . والإمام مأمور برعاية مصلحة المسلمين . وليس نظره فى مصلحة المشترى برخص الثمن أولى من نظره فى مصلحة البائع بتوفير الثمن ، وإذا تقابل الأمران وجب تمكين الفريقين من الاجتهاد لأنفسهم . وإلزام صاحب السلعة أن يبيع بما لا يرضى مناف لقوله تعالى : (سورة النساء الآية ٢٩) : « ياأيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم » .

ولكن وجهة النظر هذه لم تمنع كثيرا من فقهاء التابعين وغيرهم من إجازة التسعير ، وفى هذا يقول أبو الوليد الباجى شارح موطأ مالك حين عرض لما جاء عن أشعب من جواز التسعير : ووجهة ما يجب من النظر فى مصالح العامة ، والمنع من إغلاء السعر عليهم ، وليس يجبر الناس على البيع ، وإنما يمنعون بغير السعر الذى يحدده الإمام على حسب ما يرى من المصلحة فيه للبائع والمبتاع ، ولا يمنع البائع ربحا ولا يسوغ له ما يضر بالناس (١).

لنا أن نضيف إلى هذا أن على الإمام رعاية مصالح الأمة جميعا ، ورعاية مصلحة الجماعة

(١) يراجع فى هذا وما قبله سنن أبى داود ٣ : ٢٧٠ ، والسنن الكبرى للبيهقى ٦ : ٢٩ ، وسبل السلام ٣ : ٢٥ .

(١) المنتقى ، جـ ٥ : ١٨ .

أولى من رعاية مصلحة الفرد من التجار ، فإن فى ذلك دفعا لضرر أكبر ؛ فإن البائع هو فرد أو أفراد ، والمشترون هم الجماعات .

وبذلك يكون التسعير أحيانا ضرورة لابد منها للأمة ، كما فى أثناء الحروب والأزمات الاقتصادية المختلفة ، وبهذا تحدد الدولة من تحكم بعض التجار وجشعهم ، وتحقق العدالة والمصلحة العامة للأمة كلها ، وفى هذا الخير كل الخير .

ولهذا ذهب الإمام مالك إلى جواز التسعير ، كما ذهب إليه بعض فقهاء الشافعية فى حال ارتفاع الأسعار ارتفاعا لا مبرر له ، وكذلك ذهب جماعة من فقهاء الزيدية إلى جوازه فى كثير من السلع [1].

هذا ، وليس لنا أن نرى فى إجازة التسعير - فى رأى من ذهب إليه من الفقهاء - شيئا من المخالفة عن رأى الرسول صلى الله عليه وسلم ، فإن كل ما جاء عنه أنه لم يأمر به للسبب الذى رآه ، ولعدم الحاجة الماسة إلى التسعير .

فإذا كنا نذهب مذهب فقهاء التابعين ، وغيرهم ممن جاءوا بعدهم ، فى أيامنا هذه ، لم نكن إلا موافقين لما يريد الرسول صلى الله عليه وسلم ، وهو النظر إلى المصلحة العامة للجماعة ، هذه المصلحة التى تتطلب تسعير كثير من السلع فى أحوال كثيرة نحسها ونلمسها جميعاً .

٤ - خروج النساء للمساجد :

هذه مشكلة اجتماعية حرية أن تنال الرعاية والبحث فى أيامنا ، هذه الأيام التى اشتد فيها اختلاط النساء بالرجال فى كل موطن ، لا فى المساجد ودور العلم فحسب ، بل فى الطرقات والمتاجر ودور التمثيل والسينما وغيرها بلا ضرورة أو سبب مشروع .

والإسلام - كما نعلم - حرص على تقدير مساواة المرأة للرجل فى الحقوق العامة فى حدود الكتاب والسنة ، كما حرص أيضا على صيانة المرأة وتوفير الكرامة لها ، وعلى إبعادها عن مواطن الشبهات ، وهذا وذاك نجده فى كثير من آيات القرآن وأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم .

ولذلك نجد فى المسألة التى نحن الآن بصددها هذه الأحاديث والآثار ، ومنها نتبين حكم الإسلام فى ذهاب النساء إلى المساجد للصلاة وهى : [1].

(ا) عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال

---

(١) راجع نيل الأوطار للإمام الشوكانى ، ج ٥ : ٢٢٠ .

(١) راجع الموطأ ج ١ : ١٥٦ - ١٥٧ ، سنن أبى داود ج ١ : ٢٢١ - ٢٢٢ ، وجامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر ج ٢ : ١٩٥ .

« لا تمنعوا إماء الله مساجد الله » . وعن بسر ابن سعيد أنه صلى الله عليه وسلم قال : « إذا شهدت إحداكن صلاة العشاء فلا تمس طيبا » .

(ب) وعن السيدة عائشة رضى الله عنها أنها قالت : « لو أدرك رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أحدث النساء لمنعهن المساجد كما منعه نساء بنى إسرائيل » .

(ج) وعن ابن عمر أنه صلى الله عليه وسلم قال : « لا تمنعوا نساءكم المساجد ، وبيوتهن خير لهن » .

(د) وعن عبد الله بن مسعود أنه عليه الصلاة والسلام قال : «صلاة المرأة فى بيتها أفضل من صلاتها فى حجرتها ، وصلاتها فى مخدعها أفضل من صلاتها فى بيتها » [1].

من هذه الأحاديث نفهم أولا أن الرسول صلى الله عليه وسلم يأمر بألا تمنع النساء من الذهاب إلى المساجد وإن كان يرى أن صلاة المرأة فى بيتها أفضل من ذهابها للصلاة فى المسجد ، ونفهم ثانياً من الأثر المروى عن السيدة عائشة رضى الله عنها أن الرسول لو بقى حيا حتى رأى ما أحدث النساء من الطيب والزينة وقلة التستر وتسرع الكثير منهن إلى ما هو منكر كما يذكر الإمام السيوطى فى شرحه لموطأ مالك — لمنعهن من الخروج إلى المساجد .

ومعنى هذا بوضوح أن الحكم الشرعى قد يتغير بتغير الزمن ولو فى فترة قصيرة ، فكيف بنا اليوم بعد أن مضت هذه القرون الطويلة ، وبعد ظهور ضروب كثيرة من الفساد والمنكرات يرجع الجانب الكبير منها إلى الفوضى فى اختلاط النساء بالرجال !.

ولهذا نرى فى عصر التابعين أن واقد ابن عبد الله بن عمر ، وقد كان مثل جده الفاروق شجاعة وصراحة فى الحق، يقسم بالله أنه لن يأذن للنساء بالخروج إلى المساجد ، ويتبين ذلك من هذا الأثر :

عن عبد الله بن عمر أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال : « أئذنوا للنساء إلى المساجد بالليل » فقال أمين [1] له : والله لا نأذن لهن فيتخذنه دغلا ، [2] والله لا نأذن لهن ! فغضب أبوه منه وسبه وقال : أقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إئذنوا لهن وتقول لا نأذن لهن » ؟ .

والنتيجة أننا فى هذه المسألة أمام موقفين متعارضين ولكل من صاحبهما وجهة نظر جديرة بالتقدير ؛ موقف عبد الله بن عمر من

(البقية على صفحة ٧١٩)

[١] المخدع مثلثة الميم : البيت الصغير يكون داخل الكبير .

[١] جاء فى كتاب جامع بيان العلم وفضله أن هذا الأمين هو « بلال » ، راجع ج ٢ : ١٩٥ .

[٢] الدغل بفتحتين : الفساد ، جاء فى المختار .

ضد الزنوج ، وهى نفسها قائمة - إلى حد كبير - فى بريطانيا ولكن فى الأغوار النفسية البعيدة وعليها طلاء من مظاهر التسوية القانونية ، والمجاملات الشكلية ، وقد أقامت ألمانيا مجدها على أهوال حرب ضروس أشعلتها من أجل خرافة سيادة الجنس الآرى ، وأما فرنسا - بلد الإخاء والمساواة - فقد راحت تشن حرب الإبادة فى الجزائر على ملايين العرب أصحاب البلاد من أجل تثبيت أقدام الفرنسيين النازحين للاستغلال ! .

وما أروع برجسون وهو يعلل الانتكاس الذى يصيب مجرى التقدم الإنسانى بقوله : « ولو أن النفس الإنسانية وثبت من الأول ولم تبلغ الآخر لوقفت عند هذا الحد الوسط ولسادتها أخلاق النفس المغلقة ، فلم تبلغ أو تبدع أخلاق النفس المتفتحة ، ولكانت حالتها - وهى حالة النهوض - فى مستوى العقلية (أى ما دون الانفعال الخلاق) ! .

إن هناك طريقا واحدا للانتقال من العمل المحصور فى دائرة إلى العمل المطوف فى الفضاء الفسيح ، من التردد إلى الإبداع ، مما هو دون العقل إلى ما هو فوق العقل !! ومن يقف بين الطرفين فهو بالضرورة فى منطقة التأمل والنظر ، لأنه لم يقف عند الأول ، ولا هو بلغ الثانى ، فطبيعى أن يكون آخذا بهذه الفضيلة النصف وهى الانعزال » ! .

* * *

ما أروع برجسون ...

وإلى اللقاء معه فى جانب آخر من بحثه الممتع ، يتحدث فيه عن السبيل إلى تربية أخلاق الحركة وتكوين المجتمع المفتوح ؟ .

فتحى عثمان

(بقية المنشور على صفحة ٦٩٧)

وجوب الوقوف عند نص الحديث وضرورة التمسك به ، وموقف ابنه ومعه السيدة عائشة رضى الله عنها من وجوب الإيمان أيضا بالنص ، ولكنه مع هذا يرى ضرورة رعاية علة الحكم وحكمته ، ووجوب أن تدور الأحكام مع عللها ومقاصدها وجودا وعدما .

وليس هذا إلا ما نريده من الدعوة لتطوير الفقه الإسلامى ، فإن فيه تحقيق المراد من الشريعة الإسلامية ، وجعلها تساير كل زمان ومكان .

* * *

ونقف اليوم بعدما ذكرناه من المثل الدالة على أن الفقه الإسلامى بدأ يتطور حقا فى أيام الصحابة والتابعين ، وهو التطور الذى نلح فى الدعوة إليه ما دام فى داخل محيط الكتاب والسنة ويتفق مع روح الشريعة ومقاصدها .

وفى الكلمة الآتية - إن شاء الله - وهى ختام البحث نتكلم عن وسائل هذا التطوير التى اشتدت الحاجة إليه فى هذه الأيام التى نعيش فيها ، بعد أن جمدنا على الماضى قرونا طويلة ، ومن الله العون والتوفيق والسداد ؟

دكتور محمد يوسف موسى

الإسلام والحياة المعاصرة

فى أحاديث الرئيس أيوب خان

للأستاذ محمود الشرقاوى

كان الناس يقرءون مقالنا السابق فى هذه المجلة [1] وهم يستمعون إلى أحاديث مخلصة واعية عن الإسلام وحياة المسلمين المعاصرة. أحاديث وجهها إليهم فى القاهرة وفى المملكة العربية السعودية حاكم من أبرز الحكام المسلمين فى هذا العصر ، وأكثرهم دراية وخبرة ، وأعمقهم ثقافة وأنفذهم فهما لروح الإسلام وشريعته، وأشدهم حرصا على تقويم المعوج من مفاهيم هذه الشريعة . وهو الرئيس محمد أيوب خان ، رئيس جمهورية باكستان .

ومنزلة الرئيس أيوب خان وتجاربه وثقافته وإخلاصه . كل ذلك يجعل لأحاديثه تلك من القيمة والأثر ما نرجو أن يكون حافزاً ومحركا ودافعا . كما نرجو أن يكون فى هذه الأحاديث القوية المخلصة تنبيه لبعض القوم من رجال الفكر الدينى فى جمهوريتنا العربية المتحدة خاصة . فإن عليهم واجبا وكلته لهم الأقدار وحفظه لهم التاريخ . سنعرفه فى ختام هذا المقال .

(١) الثورة الرابعة ضرورة محتومة : عدد جمادى الآخرة .

يقول الرئيس أيوب خان [1] :

« هناك أمر آخر - يهمكم كما يهمنا : هو أننا نؤمن بأن ديننا دين تقدمى يشجع على استعمال العقل وعلى أن يتقدم مع مرور الزمن، ولكن هل يمكنكم أن تشعروا بذلك إذا ما ألقيتم نظرة على العالم الإسلامى ..؟ هناك تخلف وهناك انخفاض فى حالة التعليم وهناك حالة من الركود . ألا يدفعنا ذلك إلى الاهتمام بالبحث عن أسباب هذه الأخطاء وما الذى يجب إصلاحه . وأنا أعتقد أن واجب كل مسلم أن يبحث عن السبب وعما يجب عمله لإصلاح الحال . وينبغى أن تكون لدينا الشجاعة المعنوية لنشير إلى الخطأ وإلى كيفية إصلاحه. وأنا أعتقد أن مجتمعنا الدينى وزعماءنا الدينيين قد قاموا بخدمات كبيرة فى الاحتفاظ بتقاليد الإسلام وتماسك المجتمع الإسلامى ، ولكن رغم المحاولات الكثيرة هل يمكن القول بأننا نستطيع أن نساير

(١) نصوص أحاديث الرئيس أيوب خان الواردة فى هذا المقال تفضلت بها علينا سفارة باكستان فى القاهرة ، والترجمة للسفارة .

الزمن بمجهوداتهم ؟ وقد تتساءلون لماذا يتحتم علينا أن نساير الزمن ؟ والجواب على ذلك أن القرآن الكريم يحض على مسايرة الزمن . وكل من لا يحسن حاله يفنى . وهذا هو الفرق . فإننا إذا لم نساير الزمن فسيسبقنا الزمن . يجب أن نعترف بأخطائنا وأن نزيلها وإلا فسنعود إلى عهود العبودية وحينئذ سيطول أمد هذه العبودية »[1] وكل مدرك لأحوالنا ، نحن المسلمين ، ولأوضاعنا فى الحياة المعاصرة يشعر بمثل هذا الشعور الذى صوره أيوب خان فأحسن تصويره ، ويؤمن بهذا القول الحكيم وهو أن واجب كل مسلم أن يبحث عن أسباب هذه الأخطاء ، وما الذى يجب عمله لإصلاح الحال ، نعم . هذا هو واجب كل مسلم ، أما رجال الفكر الدينى الفاقهين المخلصين . فإن واجبهم فى ذلك أن يكونوا قواداً ورواداً . لا أن يتابعوا الجماهير فيكتمون كلمة الحق ، ويخشون المجاهرة ، ويؤثرون السلامة .

ويقول الرئيس أيوب خان فى انبساط الحياة المادية التى تسعى إليه باكستان . كما تسعى إليه الجمهورية العربية المتحدة والبلاد الإسلامية الأخرى ، وفى علاقة ذلك بالحياة الدينية ، يقول إن هذا التقدم المادى قد يصحبه خطر داهم ألا وهو الغلو فى المادية والإغراق ، كما حدث فى البلاد الغربية . ولذا فإن الحاجة تدعونا لأن نتبع مثلا عليا أدبية وروحية للحفاظ على التوازن مع القناعة الروحية - وليست هذه المثل العليا سوى الإسلام ، وبعد أن أوضحنا هذا نجد أمامنا واجبا جسيما جدا ألا وهو تحديد تلكم المثل العليا تحديدا موضوعيا ، ذلك أنه ما من إنسان مفكر يستطيع أن ينكر أنه بالرغم مما فى الإسلام من قوة تقدمية دافعة فإن المجتمعات الإسلامية قد تخلفت عن ركب العالم اليوم .

فالسؤال إذن هو : إلى من يعزى الخطأ ، هل يعزى إلى الناس أم يعزى إلى الدين ؟

إن هناك فئة ممن يبهرهم بريق النظم العلمانية والدنيوية ، التى تتبع فى البلاد الغربية ، تميل إلى إلقاء اللوم على الدين ، وهذا طبعا نتيجة الجهل . ولكن سبب هذا الجهل مفهوم . فإن مأساة الشباب العصرى هى أن عليه أن يعيش فى عالم يسير قدما . ولكنه إذا لزم عقيدته وتمسك بإيمانه وجد أن عليه أن ينظر إلى الوراء ، إذ لم يقم أحد بعد محاولة جادة لتلقينه روح الدين بالوجه الذى يفهمه على أضواء المعرفة والعلم الحديث . فبينما تتقلص المسافات بين أجزاء الأرض ويتسع أفق المعرفة ، يزداد عدد أولئك الذين يقعون فى شراك الشك ، فإذا أردنا أن ننقذهم من

[1] من خطبه الرئيس فى حفلة الاتحاد القومى التكريمة ، فى ٧ نوفمبر ١٩٦٠ .

المروق فعلينا أن ننهض الآن ، وأن نعمل قبل فوات الأوان ، (١) .

ثم يتحدث عن روح الدين والطقوس الظاهرية والبدع الدخيلة على الإسلام فيقول:

« إننى أعتقد أن اللوم فيما صرنا إليه إنما يقع علينا نحن لا على الدين ، فإن أكبر خطأ ارتكبناه هو أننا نسينا شيئا: أن الدين إنما خلق للناس لا أن الناس خلقوا للدين (٢) . فكانت النتيجة أننا بدلا من أن نضع الدين فى خدمة الإنسان ، جردناه من حقائق الحياة وأخذنا منه بالبدع - وهكذا أطلقنا لأنفسنا العنان حتى أصابنا الجمود . ذلك أننا بتجاهلنا لفروض الإسلام ولأهدافه الاجتماعية سقطنا فى حضيض البدع وعبادة المظاهر والرموز وعندها دخلنا مرحلة من الانحطاط والانحلال تشبه تلك التى أدركت أتباع المذاهب الفلسفية الأخرى التى أصابها الوهن .

إن المرء لا يملك اليوم إلا أن يشعر بأن الفكر الإسلامى إنما يعانى من حال للعبودية تعيس ، والسؤال هو ... كيف نحرر هذا الفكر من قيوده ، وكيف نعطيه الفرصة للازدهار بكل ما فيه من طاقة ؟ الجواب البدهى على ذلك هو أن علينا نحن الذين يقضى ديننا بأن التغير والتبدل من أكبر الدلائل على وجود الله — أقول علينا أن نميز بين طقوس الحياة وطريقة ممارسة الحياة وأن نقر حقيقة أن المبادئ لا تتغير وإنما الذى يتغير على مر الزمن هى الطرق والأساليب ، وأن التغيير ينبغى أن يكون نحو الأحسن ، ولا يكون الخير فى التغيير ما لم تتسن للفكر الحرية التامة للتأمل فى الأمور الأساسيةمن دون حدود أو قيود .

إن نجاتنا لتتوقف على حل هذه المشكلة فإذا لم تحسم هذه المشكلة بالحكمة فلا بد أننا صائرون إلى الزوال ، » (١) لا سمح الله .

أجل أيها الرئيس أيوب خان : لن يكون خير فى التغيير ما لم تتكفل للفكر الحرية التامة للتامل : وما لم يتسم الفكر الدينى بالإخلاص والشجاعة ، على أساس من هذه الحرية .

لقد حمل أصحاب الفكر الدينى فى فترة طويلة من حياة الأمة الإسلامية مشاعل

[١] من خطبة الرئيس أيوب خان التى ألقاها فى جدة عند زيارته فى الشهر الماضى للملكة العربية السعودية .

[٢] جاء الإسلام شريعة وعقيدة لخير البشرية عامة وصلاح الحياة الإنسانية : « يا أيها النبى إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا » الأحزاب ٤٥ - ٤٦ « يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم » سورة الأنفال ٢٤ .

[١] من الخطبة السابقة .

النور والحق والمعرفة ثم كان ما وصفه الرئيس أيوب خان فأحسن الوصف فى قوله :

« ومما يؤسف له أن هذه الشعلة القوية من علوم الإسلام لم تدم طويلا ، وحين جاء علينا وقت انحرفنا فيه عن روح الدين طغت السطحية على الحياة الأصيلة وانتفى وجود العقل والحكمة وحل محلهما التطير وأصبحنا عبيدا للتقاليد،وإن الممالك والتيجان التى فقدها المسلمون فى مراحل التاريخ المختلفة لهى أقل أهمية من ممالك التفكير الحر الواعى التى فقدناها خلال العهود التى ركدت فيها حركة الفكر ، وكانت النتيجة أنه — فى حين كانت الحياة تسير فى طريقها ظلت المعرفة الإسلامية تتخبط فى سيرها ، وبدلا من أن يصبح الإسلام الحياة الدافقة الحية ، كما هو مقدر له ، أصبح الإسلام أمر عبادة مما أدى بمعتنقيه إلى أن يتخلفوا عن ركب الحياة . ومن هذه ندرك أنه لكى نحرر روح الدين من الخزعبلات ومن الركود الذى يحيط به ولكى نجعله دينا تقدميا يتمشى مع العلم والمعرفة الحديثة يجب علينا أن نجعل هذا الهدف من أول ما يجب أن يشتمل عليه نظام التعليم عندنا » [١] .

[١] من خطبة الرئيس أيوب خان فى جامعة القاهرة ٩ نوفمبر ١٩٦٠ .

وقد كنت أقرأ هذه الأحاديث المخلصة التى تفضلت علىَّ بها سفارة باكستان فى القاهرة ، وأقرأ معها مقالا كتبه مفكر مسلم آخر من الهند ، هو الأستاذ آصف على أصغر فيضى ، فأجده يقول :

« وأعتقد على العموم ، كما يعتقد كثير من الناس ، أن مفهوم الإسلام الآن لم يعد قوة محركة يهدى الناس إلى الوجهة الصحيحة فى هذه الأيام التى يسودها الهياج والاضطراب . فلابد من تفسير جديد لأصوله ومبادئه » [١]

« إن الإسلام يقول بأن فى الكون نظاما وترتيبا ، وهو يصر أشد الإصرار على الحق والجمال ، وعلى البر والفضيلة . أما فى سبيل العلم والحق ، فلا نجد إلا حضارات قليلة أدت واجبها فى نشر العلم والفلسفة ، بمثل ما أدى الإسلام من خدمات بارزة فى هذا المضمار ، فإلى الاسلام فقط يرجع الفضل فى إبراز حضارة عظيمة إلى خير الوجود » ومع ذلك نجد « المسلمين فقراء اقتصاديا ، متأخرين علميا ، ومفلسين روحيا » [٢] « بعد أن خدم الإسلام الحضارة سبعة قرون ، مال نجمه للأفول ، فاختفت روحها بفعل التعصب والتحزب . أما حيوية الإسلام فقد قوض

[١] ١ ، ٢ مجلة ثقافة الهند التى يصدرها فى بمباى مجلس الهند للروابط الثقافية ، العدد الأول من المجلد العاشر يناير ١٩٦٠ — الصفحات : ٣٥ و ٤٠ و ٤١ مقال عنوانه : تفسير جديد للإسلام .

الاستبداد أركانها ، وجعل عاليها سافلها »[١]

ثم يقول الأستاذ آصف : « فلنقم بتخليص الإسلام الذى هو الروح المشرقة للسعادة والرحمة والإخاء والتسامح والاعتدال ، حتى يكون الإنسان العصرى أسعد وأعز ، بفضل تخلصه من القيود والأغلال »[٢] .

ومن قبل هـذا وذاك زار القاهرة عظيم من كبار المسلمين المفكرين ، ومن الحكام الذين يسيطرون على مصائر بلد إسلامى عظيم ، هو إندونيسيا فسمعناه يقول وهو يتحدث إلى علماء الأزهر وطلابه : « . . . وبتعاليم الإسلام الصحيحة تدرج المسلمون إلى ذروة العز والشرف ، وبتمسكهم بكتاب الله وسنة رسوله وما أتى به السلف أصبحت الأمة الإسلامية ذات مكانة مرموقة فى هذا العالم . وشهد التاريخ فى كل عصر من عصوره ما للأمة الإسلامية من مكانة مرموقة فى دول الشرق والغرب . والآن ـ وبعد مرور ألف سنة وما ينوف على ثلثمائة عام ـ يجد المسلمون أنفسهم سائرين فى عصر من أحلك عصور الإسلام ، ملىء بالعظات والدروس القيمة » .

* * *

هـذه ثلاثة أحاديث التقى فيها على رأى واحد ثلاثة من عظماء المفكرين المسلمين ، فى بلاد إسلامية عظيمة يشغلون فيها مراكز التوجيه والحكم والقيادة والزعامة . وهى تمثل الفكر الدينى المستنير فى الدول الإسلامية الكبرى فى الشرق الأقصى . ومن قبل ذلك سمعنا ، من هذه البلاد نفسها ، أصواتا مماثلة من زعماء آخرين مصلحين ، مثل السيد أمير على وإقبال وأحمد خان ومحمد على الهندى . وكانت هذه الأصوات تلتقى وتتجاوب مع أصوات مصلحين آخرين فى بلادنا الإسلامية العربية ، مثل جمال الدين الأفغانى والإمام محمد عبده ، والشيخ المراغى .

فهل لرجال الفكر الدينى عندنا أن يصغوا إلى تلك الأصوات المخلصة ويتدبروها ؟ بل هل لهم أن يتلقفوا نداءها وأن يسارعوا لاستجابتها والعمل بدعوتها ... ؟ .

* * *

إن على رجال الفكر الدينى فى الجمهورية العربية المتحدة واجبا حمّله إياهم الرئيس أيوب خان حين يقول : « إن جهودنا وحدها فى هذا السبيل ليست كافية ، ونحن فى هـذا السبيل نتطلع إلى المعونة والهداية من القاهرة ودمشق ، وهما المركزان الإسلاميان للعلم والحديث ، ونحن نريد أن نتعاون فى سبيل تحقيق أهداف الإسلام الحقيقية دون

[٢ ، ١] المصدر السابق السيد أدهم خالد نائب رئيس الوزراء ورئيس حزب نهضة العلماء بإندونيسيا . من الخطاب الذى ألقاه فى حفل تكريمه بقاعة المحاضرات بالجامع الأزهر ص ١٧ .

أن يؤثر ذلك على سياستنا القومية وعلى التزاماتنا الدولية . »[1]

هذه الأمانة التى حملها الرئيس أيوب خان لعلماء القاهرة ودمشق كانت أمانتهم على التاريخ ، وكانت واجباً مقدساً وكلته لهم الأقدار ، كما قلنا أول هذا المقال . فنحن نعرف من تاريخنا الفقهى أن العلماء تتبعوا حديث الرسول الكريم الذى يجعل على رأس كل مائة من السنين من يجدد لهذه الأمة دينها [2]، وأنهم وضعوا فى ذلك المنظومات والكتب و « الجرائد » التى تذكر هؤلاء المجددين من العلماء بأسمائهم وتؤرخ لهم . وقد سجل المؤرخون أسماء هؤلاء المجددين على رأس كل قرن على الوضع الآتى :

« من المائة الأولى إلى القرن الثالث عشر :

عمر بن عبد العزيز ، ثم الإمام الشافعى ، ثم ابن سريج العراقى أو أبو الحسن الأشعرى ، ثم الباقلانى أو الإسفراييني ، ثم الغزالى ، فالفخر الرازى ، فابن دقيق العيد ، فالبلقينى ، فالسيوطى ، فالرملى ، فعبد الله ابن سالم البصرى ، فالدردير ، فالشرقاوى .

ونحن نجد - كما لاحظ القدماء أنفسهم - أن أكثر هذه الأسماء مصرى . وأن الكثرة الغالبة من هؤلاء المجددين ممن أنجبتهم مصر وآوتهم وعلمتهم . فهم ثلاثة عشر مجدداً فى ثلاثة عشر قرناً ، بينهم ثمانية مصريون ، هم : عمر بن عبد العزيز الذى نشأ فى مصر ، والشافعى الذى آوى إلى مصر آخر عمره ، ومات فيها بعد أن وضع مذهبه الجديد ، وابن دقيق العيد القشيرى المنفلوطى ، والبلقينى الذى ينسب إلى « بلقينة » بالقرب من المحلة الكبرى ، والسيوطى ، والرملى المنسوب إلى « رملة » فى « منية العطار » ، والدردير العدوى القاهرى . والشرقاوى »[1] .

هذه أمانة العلماء من رجال الفكر الدينى ، أمانة الفاقهين المخلصين منهم على التاريخ ، وهى أمانتهم وواجبهم فى حياة المسلمين المعاصرة ؟

محمود الشرقاوى

سكرتير التحرير

---

(١) من خطابه فى جامعة القاهرة .

(٢) الحديث الشريف : إن الله يبعث على رأس كل مائة سنة لهذه الأمة من يجدد لها دينها .

(١) ص : ١٣٠ - ١٣١ من كتابنا : « تقويم الفكر الدينى وصلته بالقومية العربية . انظر أيضاً فصل : « الاجتهاد مبدأ مقرر فى الشريعة » من هذا الكتاب .

النحو والمنطق

للدكتور تمام حسان

تختلط الدراسات اللغوية القديمة إلى حد كبير جداً بالنظريات المنطقية والميتافيزيقية ولقد اعتبر كتاب اللغة من الإغريق الجملة حكما منطقيا واعتبروا طرق الإسناد النحوى من قبيل الوضع والحمل فى المنطق وإن من يقرأ ما كتبه أرسطو فى التحليلات الأولى والثانية والعبارة والجدل والمقولات ليجده مليئا بالنظريات التى تخلط بين التفكير اللغوى والفلسفى. خذ مثلا من كلامه فى مقولة الكم [1] : « ويقال نفس الشىء عن الكلام. فمن الواضح أن الكلام ذو كمية ؛ لأنه يقال بالمقاطع الطوال والقصار. وأقصد بذلك الكلام المنطوق ». ويقول فى الفصل العاشر من المقولات : « إن الأزواج المتقابلة التى تنضوى تحت مقولة الإضافة تتضح بنسبة كل منها إلى الآخر ؛ وهذه النسبة تدل عليها علامة الإضافة أو أى حرف آخر ». ويقول أيضا : « والكلمات التى تقع فى العبارات المتقابلة من جهة الإثبات والنفى تقع بوضوح فى نطاق قسم آخر متميز لأنه من الضرورى فى هذه الحالة ـ وهذه الحالة فحسب ـ أن يكون أحد المتقابلين صحيحا والآخر خطأ ». ويقول : « والكلمات التى تقع فى عبارات متقابلة يقع بعضها فى نفس الوقت عكسا للبعض الآخر، وتختص الكلمات بهذا أكثر مما تختص به أية مجموعة من الأمور المتقابلة ».

ويعرف أرسطو الاسم بأنه اللفظ الذى لا يدخل الزمن فى مدلوله ولا يدل جزء منه مستقلا عن الأجزاء الأخرى [1] ». وهو يقول إن الاسم لا يوصف بالصدق أو الكذب إلا إذا أسند، ويضرب لذلك مثلا بكلمة « وعل » فهى لا توصف بأى الصفتين إلا إذا أضيف إليها فعل.

وواضح أن الصدق والكذب لا يدخل فى نطاق الدراسات اللغوية وإنما هو فى الدراسات المنطقية وصف لحكم وفى الدراسات الأخلاقية وصف لسلوك. أما اللغوى فإنه يحلل العبارة الكاذبة منطقيا وأخلاقيا

---

(1) The works of aristatle translateq into English, Categorae, ch. 6.

(1) Interpretation, ch. 2.

كما يحلل العبارة الصادقة . وإذا سمع النحوى قول الشاعر :

يزيد جمال وجهك كل يوم
ولى جسد يذوب ويضمحل

فلن يفكر فيه منطقيا ولا خلقيا ولن يعنيه أن يكون الشاعر صادقا أو كاذبا فيما ذهب إليه وورط نفسه فى ادعائه ، وإنما يعنيه منه أن يحلل التركيب اللغوى لا أكثر ولا أقل . فإذا عرفنا أن أرسطو يعرف الجملة بأنها : « الكلام المفيد الذى لبعض أجزائه معان مستقلة باعتبارها ألفاظا لا باعتبارها أحكاما إيجابية » (1) أدركنا أن الجملة فى نظره حكم منطق إيجابى وأنه فى دراسته للغة يدرس القضايا لا الجمل . فالدراسات الإغريقية على سعتها وعمقها لم تخلق للدراسات اللغوية والنحو من بينها منهجها الخاص وإنما استعانت على دراسة اللغة بمجموعة من المناهج أهمها منهج المنطق .

ولم يكن هذا منافيا لصالح اللغة فحسب ، وإنما كان قيداً يكبل المنطق أيضا ، لأن المنطق سلوك فكرى والفكر عالمى ولكن اللغة محلية ، وكان من نتيجة ذلك أن أحس المناطقة على مر الزمن أن استخدام اللغة فى التعبير عن قضايا المنطق يخلق هوة بين المنطق فى لغة والمنطق فى لغة أخرى ، وذلك ينافى طبيعة الأشياء . ومن ثم عدلوا عن التعبير باللغة عن قضايا المنطق إلى التعبير عنها بالرموز والرياضة .

ولقد أخذ السريان من النحو الإغريقى كثيراً من مصطلحاته وتعريفاته وطرق تقسيمه ثم تأثر النحو العربى فى نشأته بنحو السريان وتأثر إبان حركة الترجمة العباسية وما بعدها بالمنطق بطريق مباشر . فما مظاهر هذا التأثر وما نواحيه؟ .

يبدو أثر المنطق الإغريقى فى النحو العربى من نواح ثلاث :

١ — المقولات .
٢ — القياس .
٣ — التعليل .

وحين نقول بتأثر النحو العربى بهذه النواحى لا ندعى أن النحاة العرب قد اجتمعوا على الصورة التى يقررها ابن جنى فى كلامه فى أصل اللغة « وذلك أن يجتمع حكيم أو حكيمان . . . إلخ » ، ولا على الصورة التى صورها جان جاك روسو فى كلامه عن الـ Contrat social فيما بعد ، أقول: إننى لا أدعى أنهم اجتمعوا على هذه الصورة وقالوا : دعنا ندخل فى النحو أفكاراً منطقية معينة . لا ، بل هم انقادوا على غير عمد منهم إلى هذا الطريق بترديد أفكار السابقين حينا وبالخضوع للجو الثقافى حينا آخر وهو جو

(1) Interpretatione, ch. 4,

لم يجعل المنطق فيصلا فى النحو ، فقط وإنما جعله حكما فى كثير من الدراسات الإسلامية وأهمها التوحيد والفقه .

ويعلم القارئ أن المقولات عشر هي : الجوهر والكم والكيف والزمان والمكان والإضافة والوضع والملك والفاعلية والقابلية (أو كما تسميها المتون العربية : أن يفعل وأن ينفعل) . ويعلم القارئ أيضا أن هذه المقولات عليا الأجناس ، أى أن الأجناس فيما عداها أخص منها وتندرج تحتها ولا يعلو على هذه المقولات جنس واحد منها . ثم هى كذلك أسس تفهم الأشياء مبنية عليها ، فللشىء جوهر وكم وكيف وهو فى زمان ومكان ، ويفهم بالإضافة إلى شىء آخر ، ويدرك فى وضع معين ، وقد يكون مالكا أو مملوكا وفاعلا أو قابلا .

نظر النحاة إلى اللغة نظرتهم إلى الأشياء والمحسوسات فجعلوا للكلمة جوهراً ورأوا أن جوهر الكلمة لا يتغير إلا بإعلال أو إبدال . فالجوهر فى قال « قول » وفى فعل الأمر من وفى « أوْف » وفى كلمة نهى « نهى » بثلاث فتحات وفى قاض « قَاضِىٌ » إلخ . ولم يعن النحاة بجوهر الكلمة وحسب وإنما انساقوا أيضا إلى التفكير فى جوهر الجملة فاخترعوا فكرة تقدير ألفاظ غير موجودة فيها . والتقدير بلية فلسفية منطقية ابتلى بها النحو العربى ولا يزال يبتلى .

وأما الكم فواضح أن النحاة والقراء ربما عرفوا أن المدة duration التى يستغرقها نطق صوت من الأصوات لا تتناسب طرداً ولا عكساً مع كميته quantity ومع هذا أصروا على خلق وحدات طولية فكرية فى دراسة الأصوات والحروف العربية . فالحرف المشدد بحرفين وإن قصرت مدة نطقه عن مدة الحرف المفرد فى بعض المواضع ، والحركات أبعاض الحروف كما يقول ابن جنى فى سر صناعة الإعراب ، فالفتحة فى نظرهم نصف الألف حتى إذا قصرت مدة نطق الألف كما فى ألف منى من قولك « منى النفس » حيث يسلك نطق النون الأولى إلى النون الثانية بعد ألف قصيرة جداً بل أقصر من الفتحة فى بعض مواضعها فى النطق . والتفكير المنطقى هنا واضح جداً ولا سيما إذا عرفنا أن بعض التجارب الآلية التى قمت بها على لهجة عدن قد برهنت إلى درجة تعزز ملاحظتى الخاصة على أن الصوت المفرد الأخير الساكن فى النطق أطول من نظيره المشدد فى الوسط من جهة المدة وإن كان أقصر من جهة الكم .

ويتضح خطر هذا التفكير فى الصرف بصفة خاصة حيث تقوم الكمية فى الحروف بدور الفروق بين معانى الكلمات كالتفريق بين الفعلين « عبد » و « عبّد » ، وكذلك « ضرب » و « ضرّب » ، ثم « قتل » بالإفراد و « قتّل »

بالتشديد ولست بذلك أريد أن أهجن الاعتماد على الكم فى التفريق بين العناصر اللغوية وإنما أريد أن أنبه إلى الصلة بين مقولة الكم وبين التفكير اللغوى فى تطبيق النحاة والقراء القدماء .

وأما التأثر بمقولة الكيف فهو فى نسبة كيفيات استعدادية لبعض الأفعال الثلاثية وبعض الأسماء وفى تسمية بعض الحروف . فمن أنواع الأفعال الثلاثية الأجوف والناقص وهناك المؤنث المقصور كحبلى والألف اللينة . وتتضح هذه المقولة كذلك فى نسبة كيفيات كمية إلى بعض الكلمات كالمفرد والمثنى والجمع .

وأما تطبيق مقولة الزمان على دراسة اللغة بلا تفريق بين « الزمان » الفلسفى و « الزمن » النحوى فواضح فى تقسيم الفعل وتعريفه دون نظر إلى استعمالاته ، فالفعل إما ماض أو مضارع أو أمر . والماضى مادل على حدث مضى قبل زمن التكلم ويدل المضارع على الحال أو الاستقبال أو الاستمرار التجددى إلخ . ويضطر النحاة إلى الاعتذار بعدهذا كلما خذلهم الاستعمال اللغوى . فهم يعتذرون عن الفعل المضارع الدال على المضى عند اقترانه بلم فيقولون : إن لم حرف قلب وقد جاء المضى منها ، ويعتذرون عن تعبير مثل « إن تكن عاد قد بادت فما بادت خلالها » ، لأن هلاك عاد مضى والفعل فى أول الجملة مضارع . وعن قوله تعالى : « إذا جاء نصر الله والفتح » بأن إذا ظرف لما يستقبل من الزمان والزمن فيها لا فى الفعل . والمعروف أن الزمن أحد معنيى الفعل وأن الأدوات والأسماء لا تغنى عن الفعل فى تحمل الزمن . فعذرهم غير مقبول فى ذلك . ولو قد فصلوا فى فكرهم بين الزمن النحوى والزمان الفلسفى فجعلوا الأول مفهوم صيغة والثانى شبيه حركة كما يقول ابن سينا لكان ذلك أولى بهم . ومعنى أن يكون الزمن مفهوم صيغة أن يدل الماضى بصيغته على المضى النحوى لا على المضى الفلسفى .

ويبدو التفكير فى مقولة المكان مسئولا بالتضامن مع مقولة الكيف عن تقدير الحركات على أواخر الكلمات . ففى قوله تعالى : « وما ينطق عن الهوى » كسرة مقدرة على الألف الأخيرة منع من ظهورها تعذر اجتماع النطق بالألف مع النطق بالكسرة فى وقت معا . وفى قوله تعالى : « فانتظر يوم يدعو الداعى » ضمتان مقدرتان : إحداهما على واو يدعو والثانية على ياء الداعى . وهذه المقولة أيضا مسئولة عن فكرتى الإعلال والإبدال فالإعلال تغيير شكل فى مكان ، والإبدال وضع شىء فى مكان شىء . ومما يتصل بمقولة المكان أيضا القول بحفظ الرتبة حتى إن الاسم المرفوع لو تقدم على الفعل لم يعد فاعلا وإنما يصبح مبتدأ .

ثم هناك مقولة الإضافة ، وقد فهم النحاة كل فعل بالإضافة إلى فاعله فإذا لم يكن للفعل فاعل مذكور فى الجملة فلا أقل من أن يقدره النحاة تقديراً ليكون تفكيرهم متمشيا مع منطق المقولات . وهذه المقولة أيضا تصبغ التفكير فى الإمالة إذ أن الممال ممال بالإضافة إلى لفظ آخر ألفه صريحة مع قطع النظر عن أن كلا منهما أصل فى لهجته التى تنطقه ولو درسنا اللهجة المميلة بمفردها ما احتجنا إلى التفكير فى هذا الباب « باب الإمالة » على الإطلاق .

وأما الخضوع فى التفكير لمقولة الوضع فمثاله أن الجملة برغم عدم إمكان ظهور حركة إعرابية عليها جعل لها وضع إعرابى معين ، فقد تكون الجملة فى محل نصب مقول القول أو صفة لمنصوب وقد تكون فى محل جزم جوابا لشرط وقد تكون فى محل رفع خبرا ، وقد تكون فى محل جر صفة أو مضافة إلى ظرف وهلم جرا .

وهل يستطيع أحد أن ينكر أن مقولة الملك واضحة الأثر فى نظرة الصرف والإملاء إلى الحركات ؟ فالمحل الأول للحرف الصحيح وإنما تأتى الحركة لتكون وصفا من أوصاف الحرف الصحيح على طريقة الوصف بالكيفيات الاستعدادية ، فالحرف إما مجرور أو منصوب أو مرفوع أو مجزوم ولا شك أن الحركة بهذه الصورة ملك يمين للحرف الصحيح . وإن كل لغات العالم الأخرى لتكتب الحروف والحركات جنباً إلى جنب فى روح من المساواة بين الطائفتين ، ولكن اللغة العربية قد جعلت من حركاتها فى الخط علامات إضافية وفى النحو علامات إعرابية فهى علامات لا حروف فى الحالتين .

والمقولتان الأخيرتان (الفاعلية والقابلية) مسئولتان إلى حد كبير عن القول بالعامل فى النحو . فإذا كان الشىء إما فاعلا وإما قابلا فلماذا لا تكون الكلمات كذلك ؟ ولم لا يكون بعض الكلمات عاملا فى بعضها الآخر ؟ ولم لا يعمل بعض المعانى فى الكلمات ؟ ولقد شاع القول فى نقد نظرية العامل فى أيامنا هذه والحجج على ضعف القول بها أكثر من أن تأتى فى ثنايا مقال واحد خصص لموضوع غير العامل .

نرجو عند هذا الحد أن نكون قد بينا للقارئ مدى تأثر النحاة بالمقولات العشر فى تفكيرهم اللغوى ونود بعد ذلك أن نعرض لنوع آخر من تأثرهم بالمنطق وبما كتبه النحاة من الإغريق والسريان من قبلهم وتأثروا فيه بالمنطق .

والمعلوم أن مناهج الدراسات العلمية تقوم الآن على الاستقراء واستخراج ما بين المفردات من جهات الشركة ليكون المستخرج هو القاعدة .

فأما المنطق القياسي فإنه يوجد القاعدة أولا ثم يفرضها على المفردات ولو أبت طبيعة الأشياء . فإذا قلنا فرضا : إن كل منفرج الفم بادي الأسنان فهو ضاحك ، فهذه القضية تجعل الأسد الفاغرفاه ضاحكا برغم قول الشاعر :

إذا رأيت نيوب الليث بارزة

فلا تظنن أن الليث يبتسم

ومع أن الرواة قد ضربوا الأمثلة للنحاة بسفرهم إلى الصحراء لجمع مادتهم ومع أن شيئا من الاستقراء قد تم فعلا في ظروف غير علمية جعلته في الكثير من حالاته معيبا ، لم يستطع النحاة العرب أن يتخلصوا من قبضة المنطق السحرية فاستخدموا القياس على توسع فكان هذا القياس في أخف صوره ضررا سببا في وجود الكثير من التركيبات المعقدة التي لم يتكلمها العرب ، وكان وجود هذه التركيبات نتيجة للقول بأن ماقيس على كلام العرب فهو من كلام العرب ومن أمثلة هذه التراكيب :

زيد عمرو ضاربه هو .

الزيدان العمران ضارباهما هما .

الزيدون العمرون ضاربوهم هم .

ولا يمكننا مهما عمدنا إلى الاختصار أن نشرح آثار القياس على اختلافها في حدود مقالة واحدة .

أما العلل فقد جمعها أرسطو أربعا هي : المادية والفاعلة والصورية والغائية . والذي يهمنا منها هنا هما الأخيرتان . فإن العلم ليتخذ علله الآن من نوع العلل الصورية فيهتم بكيفيات الأشياء ولا يستخدم العلل الغائية إذ لا يتجه إلى ذكر غايات الأشياء والغرض من وجودها . فإذا نظرنا في العلل النحوية وجدنا الكثرة الغالبة منها يتجه إلى الأغراض والغايات فهم يسألون ويعللون سبب الرفع في الفاعل وسبب البناء في الأسماء والأفعال فيشرحون الغايات ، وحقهم أن يقتصروا على كيفية رفع الفاعل فيكون الجواب بأنه يرفع بالضمة في حالة الإفراد والألف في حالة التثنية والواو في حالة الجمع وهلم جرا . ويقررون بعد ذلك كيفية البناء في الأسماء والأفعال بأنها على الفتح في هذه الصورة ، وعلى الضم في الصورة الأخرى ، وعلى الكسر في الثالثة ، دون دخول في الغايات والأغراض .

هذه صورة مختصرة لتأثر النحاة بنواحي المنطق الثلاث - المقولات والقياس والتعليل - وفي كل ناحية منها تفصيل لايتسع له هذا المقام .

دكتور تمام حسان
أستاذ مساعد بكلية دار العلوم
جامعة القاهرة

إنصاف عالم أزهري

التجديد في العروض

للأستاذ على العماري

في عدد جمادى الأولى سنة ١٣٨٠ من مجلة الأزهر، مقال عنوانه (المصطلحات العروضية) للدكتور عبد الله درويش. تحدث فيه الكاتب عن المصطلحات العروضية، وإمكان تعديل بعضها، إذا نظر فى الأساس الذى استنبط منه الخليل بحوره، وهو الدوائر العروضية، وذكر أن هذه الدوائر انتظمت جميع بحور الشعر. ورتبت الأوتاد والأسباب ترتيباً معيناً، وأنه - أى الكاتب - حاول أن يتبين ما إذا كان هذا الترتيب على أساس منطقى معين، ولكنه لم يصل إلى نتيجة. ثم عاب نظام الدوائر بأنه أدى إلى الأمور الآتية :

١ — النص على بعض البحور مجزوءة فقط، كالهزج والمضارع والمقتضب والمجتث.

٢ — كتابة بعض التفاعيل المتشابهة فى النطق بصور مختلفة، مثل : مستفعلن ومستفع لن وكذلك فاعلاتن، وفاع لاتن.

٣ — بعض البحور لم تستعمل أعاريضه أو أضربه على الصورة الأساسية فى الدائرة مثل الوافر والسريع.

٤ — ويتبع ذلك كثرة مصطلحات الزحافات والعلل.

والكاتب يرى فصل العلاقة بين الدوائر وبحور الشعر ليتوصل إلى اختصار بعض المصطلحات، وإذا فعل ذلك توصل إلى النتائج الآتية :

١ — الاستغناء عن التفعيلتين ذواتى الوتد المفروق، وهما مستفع لن. فاع لاتن، اكتفاء بالتفعيلتين مستفعلن وفاعلاتن.

٢ — يمكن الاستغناء عن ذكر مصطلح العلة فى العروض أو الضرب فى البحور التى لم ترد أعاريضها أو أضربها صحيحة.

ثم قال الدكتور درويش : وأساسنا هنا هو المنهج الوصفى، وهو ما استعملته المدرسة اللغوية الحديثة فى فروع مستويات البحث اللغوى.

٣ — يمكننا ربط الزحاف بالبحر لا بالتفعيلة، ومن أمثلته جعل التذييل، والتسبيغ شيئاً واحدا، وكذلك توحد التسمية بين القصر والقطع.

٤ — إن بحور الهزج أو المجتث أو المضارع أو المقتضب يتكون كل منها من أربع تفعيلات فقط لا كما يقول العروضيون: إن أصل كل منها

ست تفعيلات، بناء على نظام الدوائر والتخلى عن فكرة الدوائر يجعلنا نقصر اصطلاح (الجزء) على ما استعمل منه أصله التام وأخيراً يقول الكاتب : فهذه خطوط عريضة لبعض الاصطلاحات العروضية التى يمكن تعديلها والتى أوحى بفكرتها تطبيق المنهج الوصفى اللغوى على قواعد علم العروض، وعلى أساسها وأساس المشروع الذى وضعه أستاذنا الدكتور ابرهيم أنيس يمكن للباحث أن يضع مشروعا آخر شاملا لتفعيلات البحور ولزحافاتها من جهة، وللمصطلحات العروضية بصفة عامة .

أما مولد المشروع الذى أشار إليه الكاتب والذى جاء مفصلا فى كتاب (موسيقى الشعر) فيتلخص فيما يلى :

أولا : إعادة النظر فى بناء الأوزان الشعرية على ضوء ما روى فعلا من قصائد منسوبة إلى شعراء معروفين ، وتخير أحسن الأوزان وأكثرها شيوعا من بين ماذكره أهل العروض وترك الأوزان الشاذة النادرة التى تنبو فى الأسماع ، وبذلك يمكن وضع نظام أسهل من النظام الذى وضعه الخليل لبحوره .

ثانياً : إخراج المضارع والمقتضب لأنهما لا وجود لهما فى الأوزان الشعرية كما قرر الأخفش .

ثالثا : وضع المؤلف قواعد مبسطة ميسرة لعشرة من البحور ، فاكتفى بثلاث تفاعيل هى : (١) فعولن (٢) فاعلن (٣) مستفعلن ثم رأى أنه بإضافة مقطع ساكن إلى كل من هذه التفاعيل الثلاث يمكن أن نشتق منها ثلاثا أخرى هى : (١) فعولاتن (٢) فاعلاتن (٣) مستفعلاتن .

وبذلك يتكون ست تفعيلات واضحة الصلة بعضها ببعض ، ثم نبنى الأبحر العشرة من هذه التفاعيل . وقد ذكر هذه الأبحر العشرة وهى ما عدا الكامل ، والوافر ، والهزج ، وقد سبق أنه نفى المضارع والمقتضب ولكنه بقى بحر وهو المتدارك ، والمؤلف قد أهمله كما أهمله الخليل ، كأنه ليس بحرا من بحور الشعر .

رابعا : ألحق الهزج بمجزوء الوافر وجعل وزنه (فعولاتن + فعولاتن) أما تفعيلة الكامل (متفاعلن) فتصير فى غالب الأحيان (مستفعلن) وتفعيلة الوافر مفاعلتن تجد أنها تصير فى غالب الأحيان (مفاعلْتن) ، بسكون اللام ، وهـذه هى نفس التفعيلة (فعولاتن) .

هذا ما ذكره الكاتب ، وما جاء فى كتاب موسيقى الشعر ، وقد حرصت فى التلخيص ـ طبعا ـ على رءوس المسائل .

وواضح من عبارة الكاتب أنه يعزو الفضل

فى صنيعه إلى وحى المنهج الوصفى ، وإلى أستاذه الدكتور أنيس .

ونحن نبارك كل خطوة فيها تيسير لعلم من العلوم ، ولا سيما علم كعلم العروض يضيق به الدارسون من الأساتذة والطلاب وهذا الذى ذكره الكاتب ، والذى ذكره أستاذه ، فيه كثير من التيسير ، وفيه كثير من التجديد . لكننى كنت أحب للكاتب ولأستاذه أن يعزوا الفضل فى كل هذا إلى صاحبه ، فذلك هو واجب العلماء ، وربما لا يكون غريبا عند الدارسين المتعمقين فى دراسة العروض ، وإن كان يعد غريبا عند غيرهم ، أن كل هذا الذى جاء فى مقال الكاتب ، والذى جاء فى (مولد مشروع) سبق به عالم أزهرى ، ونشره فى كتاب يقرؤه الناس ، وكان إلى عهد قريب يدرس فى كلية اللغة العربية ، ذلك العالم الجليل هو أستاذنا المرحوم الشيخ عبد الفتاح بدوى وكتابه هو (العروض والقوافى) .

فقد وردت كل هذه الآراء التى جاءت فى مقال الدكتور درويش فى كتاب العروض والقوافى وجاءت بعض الآراء التى فى كتاب (موسيقى الشعر) فى كتاب الشيخ بدوى أيضا .

وقبل أن أبرهن على صدق هذا القول أحب أن أقول : إن كتاب العروض والقوافى نشر فى سنة ١٩٣٧ م وكتاب موسيقى الشعر نشر بعد ذلك بأكثر من ست سنوات ، والمؤلف لم يكتب تاريخ نشره على غلاف الكتاب ، ولكننى وجدت أنه يجعل من مراجعه العدد (٥٤٣) من مجلة الرسالة ، وهذا العدد ظهر فى أواخر سنة ١٩٤٣ م . أما الدكتور درويش فأعتقد أنه كان لا يزال تلميذا فى المرحلة الثانوية يوم نشر الشيخ بدوى كتابه .

ثم أعود إلى القصد . نقد الشيخ عبد الفتاح بدوى الدوائر أكثر من مرة فى كتابه . وبين الأخطاء التى ترتبت على التقيد بها ، والمنافع التى نجنيها من وراء طرحها ، قال ، بعد أن تحدث عن بحر المديد وأنه ليس إلا بحر الرمل ، وأن العروضيين قالوا إن أصله (فاعلاتن فاعلن فاعلاتن فاعلن) وأنه مجزوء وجوبا . قال : أفلم يرد ولا بيت واحد من شعر العرب الذين يحتج بهم على هذا الأصل الذى زعمتم ؟ قالوا : لا . أثم لا يجوز أن نقول إن هذا المديد يؤلف شطره من ثلاثة أجزاء كما هو فى الواقع والشعر الموجود ، وإن هذا الواقع هو الأصل ، مادام لا وجود لسواه ؟ قالوا : لا . ولئن سألتهم ماذا يدلكم على هذا الأصل وعلى وجوب أن يكون مجزوءا فسيقولون (الدائرة) وليس شىء غير الدائرة ؛ فماذا عسى أن تكون الدائرة ؟ على الظالمين دائرة السوء ، ولهم عذاب أليم - قالوا : دائرة

العروض فاسمع حديثها ... وبعد أن يتحدث عن الدائرة ويرسمها على شكل مربع ويبين كيف تستخرج منها البحور يقول : إننا نقبل أن تكون هذه الدوائر التى تقدمت لك أحداهن وسيتبعها الأخريات وسيلة من وسائل الإيضاح أو الاستذكار فى علم العروض ، لا أزيد من هذا ، أما فى القيمة التى جعلوا لها ، وفى الأهمية التى يتسنى عليها أحكام فلا نقبل ما دامت لنا عقول [1] .

ثم عاد فى ص ١٧٩ إلى نقد الدائرة فقال : ولقد رأيت أن هذه الدوائر ، واعتبارها أساسا علميا تبنى عليه مسائل علم العروض هو الذى أوقع المتقدمين فى كل ما وقعوا فيه من الأخطاء الكبار ، وجر إلى ما رأيت من الخلل والفساد ، فهو قد جرهم إلى اعتبار أن الوتد المفروق قد دخل بعض التفاعيل ولم يدخل البعض الآخر حتى ولو اتفقا فى الصورة كما فى مستفعلن التى فى الرجز والبسيط ومستفع لن التى فى المجتث ، مع أن الوتد المفروق مناف لأن يكون مقطعا موسيقيا أو هو على الأقل لا تدعو إليه ضرورة علمية فلماذا نخلقه فى علم العروض ؟ وجرهم هذا إلى قسر العقول وإلزامها بأمور لا جود لها كما اتضح غير مرة فى اعتبار بعض البحور مجزوءا وجوبا . فلا نحن وجدنا شيئا من الشعر يشهد بوجود هذا الجزء المحذوف وظهوره فى عالم الوجود ولو مرة واحدة فى بيت من الشعر أو فى شطر بيت ، ولا نحن نستطيع أن نضع بيتاً تماما من هذه الأبحر المجزوءة وجوبا ثم نقر عليه ويقال إننا صنعنا شيئاً عربيا غير منكور ، وجرهم هذا إلى الإكثار من المصطلحات التى تضيق بها الصدور ، ولا سيما إذا كانت حقيقتها واحدة ومظهرها واحدا كما ترى فى القطع ، فهو مرة يسمى بهذا الاسم ، ومرة يسمى الخرم ، وأخرى يسمى التشعيث وطورا يسمى الحزم وهى كلها تحويل الوتد المجموع إلى صورة سبب خفيف .

هذا بعض ما قاله الشيخ فى نقد الدوائر ، وقد كان أمينا فى العلم - فذكر أن بعض المتقدمين أنكر الدوائر ... وإن كان قال : وهذا النقد - على كل حال - غير ما نقول به نحن الآن ، وإن كان يوافقه فى بعض الأمور .

وقد مر بنا قول الدكتور درويش أنه يرى أن يكون التسبيغ والتذييل شيئا واحدا وكذلك يرى توحيد التسمية بين القصر والقطع ، أما الأول فقد ورد فى كتاب الشيخ ص ١٠٩ حيث يقول : التسبيغ زيادة حرف ساكن على ما آخره سبب خفيف ، وقد مر بك فى المتدارك أن تفعليته (فاعلن) قد يزاد

(١) ص ١١٥ وما بعدها

عليها حرف ساكن . وأنهم سموا ذلك (التذييل) ولست واجدا فرقا بين كل منهما إلا بأن أحدهما فى تفعيلة آخرها وتد ، والثانى فى تفعيلة آخرها سبب ، وما كان أخلق مثل هذا ألا يكون سببا فى إفراد كل منهما باسم خاص حتى لا تضيق مذاهب الناس بكثرة هذه المصطلحات من غير جدوى .

وأما الثانى فقد ورد فى الكتاب فى صفحة (٤٦) حيث يقول : وبعد ، فإنك إذا رجعت إلى (القطع) الذى تقدم فى بحر المتدارك وجدت الخلف الذى هنا فى القصر هو الخلف الذى حصل هناك ...

كان ينبغى أن يكون الاسم واحدا تقليلا للاصطلاحات التى كثرت بدون حاجة ولا فائدة ولا يترتب على الفرق بينهما - كما عملوا - إلا أن يسمى ما حصل فى الوتد (علة) وما حصل فى السبب (زحافا) وقد علمت أنه لا قيمة لتلك التسمية مادامت النتيجة المترتبة عليها وهى لزوم العلة وعدم لزوم الزحاف مطعونا فيها ... إلخ .

هذا . وقد وحد الشيخ بين ألقاب أخرى فى المصطلحات العروضية ، ولا أدرى إذا كان الدكتور درويش تعرض لها فى كتابه لأنى لم أقرأ هذا الكتاب بعد . ولكن الذى أؤكده أن كل ماورد فى مقال الدكتور سواء كان تقعيدا أو تعليلا موجود فى كتاب العروض والقوافى .

أما مشروع الدكتور أنيس ، وبعض ما ورد فى كتابه ، فبعضه مأخوذ نصا من كلام الشيخ ، وبعضه ناظر إليه . كان اتجاه الشيخ بدوى أن يرجع الأبحر كلها إلى بحر واحد ، هو البحر الذى أهمله الخليل بحر (المتدارك) . وقد وزن جميع البحور بأعاريضها وأضربها المختلفة على هذا البحر بعد أن وضع ألقابا قليلة ، وبعد أن انتهى من هذا العرض قال (قد استعضنا ببحر واحد عن ستة عشر بحرا ، واستعضنا بتفعيلة واحدة هى فاعلن عن عشر تفعيلات واستعضنا عن أكثر من أربعين مصطلحا بستة مصطلحات ، وهذا كثير حين وفقنا إليه ، نحمد وأحمد الله عليه . وأكثر منه أنك لن تجد عروضا ولا ضربا من تلك الأعاريض الكثيرة ، والأضرب المملة التى ذكروها لتلك البحور ، وقد مرت بك بحرا بحرا ، وعروضا وعروضا ، فإن وجدت فيها - ولن تجد - ضربا أو عروضا مما قالوا ، فدلنى عليه ، وألغ جميع ما قدمت إليك فى هذا الكتاب وإن لم تجد - ولن تجد - مما قالوه شيئا - فأعنا على نشر هذه الطريقة الحنيفة الميسرة ، ابتغاء وجه الله تعالى ، والدار الآخرة ، وتحريرا للعقول فى زمن الحريات وتمحيصا لمسائل العلوم ، والله لا يضيع أجر المصلحين

وقد كانت طريقة الشيخ فى الاعتماد على تفعيلة المتدارك أن يلحق بها أسبابا وأوتادا قبلية وبعدية ، أو يحولها إلى فاعلن ،

ويضيف إليها كذلك أسبابا وأوتادا ، وبذلك تسنى له أن يزن كل الأعاريض والأضرب ، والدكتور أنيس فعل هذا حين أراد أن يستغنى ببعض التفاعيل ، فقد رأى أن يضاف إلى فعولن مثلا مقطع ساكن قصير (فعولاتن) . وهكذا .وهو إنما ينظر فى ذلك إلى صنيع المرحوم الشيخ عبد الفتاح .

وأخرى . رد الدكتور أنيس بحر المديد إلى بحر الرمل ، حيث يقول فى ص ٩٤ : (وفى الحق أن هذا البحر يستحق دراسة خاصة فى ضوء بحر الرمل ، فربما أمكن نسبة ما نظم منه إلى بحر الرمل) وهذا نفسه ما قاله الشيخ بدوى فى كتابه ص ١١٥ حيث يقول : (ولا دليل لهم - يريد العروضيين - على مغايرة هذا البحر - المديد - لبحر الرمل إلا أن فاعلن التى فى الوسط يلتزم أنها ترد هكذا فى الشعر ملتزمة على فاعلن ، وهذا استدلال فى منتهى الوهى والضآلة) .

ورد الدكتور أنيس بحر الهزج إلى الوافر، حيث يقول ص ١٠٦ : (فالهزج وزن وثيق الصلة بمجزوء الوافر . ويظهر أن الهزج تطور لمجزوء الوافر) وهـذا هو ما قاله الشيخ بدوى فى ص ١٣٩ حيث يقول : (فليس ثمـة شىء اسمه الهزج ، وإنما هو بعض أضرب الوافر ، فهى كلها من مجزوء الوافر المعصوب) .

وهكذا نجـد روحا من كتاب الشيخ (العروض والقوافى) فى كتاب الدكتور (موسيقى الشعر) وقد كنا نحب أن يعترف الدكتور بهذا الفضل ، حتى ولو بإشارة فى الكتاب إلى المراجع التى اعتبر منها كتاب (أهدى سبيل) لمؤلفه الأستاذ محمود مصطفى، ونحن نستبعد أن يكون الدكتور لم يطلع على هذا الكتاب لأنه كان يدرس فى كلية اللغة العربية ، والمفروض أن يبحث كل من يريد أن يؤلف فى مثل هذا العلم عن الكتب التى ظهرت فيه ، والكتاب بعد مطبوع متداول .

بقى أمر ، وهو أنى كثيراً ما جهدت أن أحمل نفسى على أن تعتقد ، أن ما جاء فى كلام الدكتور درويش ، وكتاب الدكتور أنيس هو من باب توافق الخواطر ، ولكن كنت أخفق فى كل مرة ، لأن أبياتا لشوقى كانت تثب إلى ذهنى :

فقـد يُسطى على بيت
وقد يُسرق بيتان
ولا ينتحـل الإنسا
ن أبياتا لإنسان

وأحب ألا يفهم أحـد أنى أردت انتقاص الدكتورين الفاضلين ، وإنما أردت إنصاف شيخى ، والإشادة بفضله على كل مجدد فى العروض ، ولو كان الشيخ حيا ما تحرك هذا القلم ، ولكن الشيخ قد انتقل إلى رحمة الله فى سنة ١٩٤٨ م فكان لزاما علىّ وأنا أحد تلاميذه الكثيرين أن أدفع عن آرائه وأفكاره ، وأن أعزو الفضل لصاحبه ، والحق أحق أن يتبع ؟

على العمارى

من روائع الفكر الروحي

أخلاق السكون وأخلاق الحركة

عند الفيلسوف الفرنسي برجسون

للأستاذ محمد فتحي عثمان

« الحكمة ضالة المؤمن أنى
وجدها فهو أحق بها » .

يرى برجسون إذن أن الإلزام في الانفعال الخلاق هو : « ... قوة تطلع أو وثبة . بل هو قوة هذه الوثبة نفسها التي أوجدت النوع الإنساني وأوجدت الحياة الاجتماعية ، وأوجدت مجموعة من العادات تشبه الغريزة بعض الشبه ولكن الحافز هنا يتدخل تدخلا مباشراً فلا يتخذ وسيطا تلك الآليات التي عبأ لوابها ووقف عندها مؤقتا » ...

فما هي النتائج التي تتمخض عن الانفعال في واقع المجتمع الإنساني ؟ ؟ .

وما هي مزية الانفعال الأصيل الخلاق عن غيره ؟ ؟ .

« إن الغريزة الاجتماعية التي وجدناها في أعماق الواجب الاجتماعي - والغريزة ثابتة بعض الشيء - إنما تستهدف أبدا مجتمعا مغلقا مهما يكن المجتمع واسعا ... لأن الأمة مهما اتسعت فإن بينها وبين الإنسانية ما بين المحدود واللا محدود ، ما بين المغلق والمفتوح ! .

ويحلو للناس أن يقولوا : إن الفضائل المدنية إنما تتلقنها في الأسرة ، وإذا أحببنا الوطن كنا نتهيأ لمحبة النوع الإنساني ! فالعاطفة - في رأيهم - هي هي نفسها ، وإنما تتسع في تقدم مستمر وتكبر حتى تشمل الإنسانية جمعاء ! ! .

على أن هذه المناقشة مناقشة قبلية ، وهي نتيجة لفهم النفس فهما عقليا محضا . فتراهم إذ يلاحظون أن هذه الجماعات الثلاثة : الأسرة والأمة والإنسانية التي ننتسب إليها تضم عددا متزايدا من الأفراد - يستنتجون من ذلك أن هذا الاتساع المتتالي في موضوع الحب يقابله اتساع تدريجي في الحب نفسه !! .

ومما يقوي هذا الوهم أن اتفق أن كان القسم الأول من هذه الحقيقة مطابقا للوقائع : فالفضائل العائلية مرتبطة بالفضائل المدنية ، وذلك لأن الأسرة والمجتمع - المختلطين في الأصل - ظلا متصلين أحدهما بالآخر اتصالا وثيقا ...

أما المجتمع الذى نعيش فيه ، فإن بينه وبين الإنسانية عامة ما بين المغلق والمفتوح من تضاد ، والفرق بين هذين الشيئين فرق فى النوع لا فى الدرجة فحسب ! !.

قارنوا بين عاطفة التعلق بالوطن وعاطفة محبة الإنسانية ... من ذا الذى لا يرى أن الالتئام الاجتماعى يعود فى جله إلى ضرورة دفاع المجتمع عن نفسه ، وأننا إن أحببنا الأفراد الذين نعيش معهم فعلى حساب كافة الأفراد الآخرين ؟ ؟.

هذه هى الغريزة البدائية الأولى ... وهى لا تزال موجودة إلى الآن ، وإنما اختبأت - لحسن الحظ - تحت مخلفات الحضارة ! غير أننا ما زلنا نحب آباءنا والمواطنين محبة طبيعية مباشرة ، على حين أن محبتنا للإنسانية مكتسبة غير مباشرة ! ! فترانا نقبل على هذه فى بعض التواء ، فمن طريق الله يأمر الدين بمحبة الإنسان للنوع الإنسانى ، وعن طريق العقل - الذى نشترك فيه جميعا - يثبت الفلاسفة كرامة الإنسان ويبرهنون على حق الجميع فى الاحترام ! !.

ونحن فى الحالين لا نصل إلى الإنسانية فى مراحل مارين بالأسرة فالأمة ... بل نتخطاها فى قفزة ونفوقها من غير أن نكون قد اتخذناها غاية ! ! !.

إن برجسون يشرح المشاعر ويحللها بدقة العالم وعمق الفيلسوف .

وهو بهذا المسلك يغوص فى أعماق النفس الإنسانية فيطلعك على مكامنها ولا يدعك حتى تشعر كأنك - وإن كنت فى عالم الخوافى والمكنونات - تتحسس الحقائق وتقبض عليها بين يديك .

لقد كشف الفارق بين المجتمع المغلق فى الأسرة أو الأمة وبين المجتمع الإنسانى المفتوح ، وميّز بين الإحساس الأسرى أو القومى الذى هو فطرى طبيعى لا مكابدة ولا مجاهدة فى اصطناع النفس عليه ، وبين الإحساس الإنسانى الذى يحتاج إلى تعبئة جبارة لقوى الإرادة والعقل ... والروح قبل ذلك جميعا ! ! !.

وعلى أساس هذه التفرقة وهذا التمييز ، يقدم برجسون تفرقة أخرى فى عالم الأخلاق : « فإذا نحن بددنا الظواهر حتى لمسنا الوقائع ، وأهملنا الثوب المشترك الذى لبسته فى فكر المفاهيم وعالم اللغة الأخلاق بنوعيها - اللذين ذكرناهما - بسبب ما تبادلا من تأثير ، وجدنا على طرفى هذه الأخلاق : الضغط ، والتطلع.

فالنوع الأول : أخلاق تتضمن فكرة مجتمع لا يبغى إلا البقاء ، فحركته الدائرية التى يسوق فيها الأفراد تجرى فى مكانها لا تحيد عنه فتحاكى ثبات الغريزة بوساطة

العادة !! ... ولعل الشعور الذى يصاحب تحقيق هذه الواجبات الصرف حين تحقق هو الشعور بنعمى العيش ودعة المجتمع ، وهو كالشعور الذى يصاحب سير الكائن الحى سيرا طبيعيا سليما ، وهو أشبه باللذة لا بالفرح !!! .

أما أخلاق التطلع: فتتضمن شعوراً بالتقدم والانفعال ، والذى يبعث عليها هو الحماسة للمضى قدما ... بل إن التقدم والمضى قدما يتحدان أحدهما بالآخر !! » .

وبرجسون يبقى على التمييز بين المجتمع المفتوح المتحرك والمجتمع المغلق الساكن حتى فى عصرنا الأخير : « فمهما تحضرت الإنسانية ومهما تبدل المجتمع فإن الاتجاهات الأساسية للحياة الاجتماعية قد بقيت على ما كانت عليه فى البدء فنرى أن بنية الإنسان الأخلاقية : البنية البيئية الأساسية ـ إنما خلقت لمجتمعات بسيطة مغلقة . وهذه الميول العضوية لا تبدو لشعورنا فى وضوح على أنها من أقــوى العناصر التى يتألف منها الإلزام الأخلاقى » .

والضغط والتطلع يتلاقيان ... ولكن يتمايزان ، إن التطلع يميل إلى التصلب فيأخذ شكل الإلزام المحدود ، والإلزام المحدود يكبر ويتسع فيشمل التطلع ـ فكأنهما إذن على ميعاد !! يلتقيان فى منطقة الفكر حيث تصنع التصورات، ثم يسفر هذا اللقاء عن امتثالات يجمع الكثير منها بين ما هو علة ضغط وما هو موضوع تطلع ، حتى لقد يغيب عن نظرنا الضغط المحض والتطلع المحض اللذان يؤثران فى إرادتنا ، فما نرى غير التصور وقد انصهر فيه الموضوعان المتميزان اللذان كان يتعلق أحدهما بالضغط وثانيهما بالتطلع، فنحسب أن هذا التصور هو الذى يؤثر فينا. وبهذا الخطأ نستطيع أن نعلل إخفاق النظريات الأخــلاقية العقلية ، أى بوجه العموم إخفاق معظم النظريات الفلسفية فى الواجب . وليس معنى هذا طبعا أن ليس للفكرة المحضة من تأثير فى إرادتنا ، ولكن هذا التأثير لا يكون ناجعا إلا إذا اتفق له أن يكون وحده فى الميدان ، وإلا فمن الصعب عليه أن يقاوم التأثيرات المعاكسة وإذا ظفر عليها كان تفسير ذلك أن الضغط والتطلع اللذين تنازل كل منهما عن تأثيره الخاص فتمثلا معا فى فكرة ، يعودان الآن فيظهران فى فرديتهما واستقلالها ويبذلان كل ما لهما من قوة » .

ويعزز وجهة النظر التى أدلى بها برجسون أن كثيراً من مجتمعات الغرب المعاصرة على حظها من المدنية والتقدم ، لم تصل بعد إلى مستوى الأخلاق الإنسانية فى انفعالها الخلاق الذى تزول معه الحواجز وتتفتح المجتمعات . فالنزعات العنصرية قائمة فى الولايات المتحدة

ضد الزنوج ، وهى نفسها قائمة - إلى حد كبير - فى بريطانيا ولكن فى الأغوار النفسية البعيدة وعليها طلاء من مظاهر التسوية القانونية ، والمجاملات الشكلية ، وقد أقامت ألمانيا مجدها على أهوال حرب ضروس أشعلتها من أجل خرافة سيادة الجنس الآرى ، وأما فرنسا - بلد الإخاء والمساواة - فقد راحت تشن حرب الإبادة فى الجزائر على ملايين العرب أصحاب البلاد من أجل تثبيت أقدام الفرنسيين النازحين للاستغلال ! .

وما أروع برجسون وهو يعلل الانتكاس الذى يصيب مجرى التقدم الإنسانى بقوله : « ولو أن النفس الإنسانية وثبت من الأول ولم تبلغ الآخر لوقفت عند هذا الحد الوسط ولسادتها أخلاق النفس المغلقة ، فلم تبلغ أو تبدع أخلاق النفس المتفتحة ، ولكانت حالتها - وهى حالة النهوض - فى مستوى العقلية (أى ما دون الانفعال الخلاق) ! .

إن هناك طريقا واحدا للانتقال من العمل المحصور فى دائرة إلى العمل المطوف فى الفضاء الفسيح ، من التردد إلى الإبداع ، مما هو دون العقل إلى ما هو فوق العقل !! ومن يقف بين الطرفين فهو بالضرورة فى منطقة التأمل والنظر ، لأنه لم يقف عند الأول ، ولا هو بلغ الثانى ، فطبيعى أن يكون آخذا بهذه الفضيلة النصف وهى الانعزال » ! .

* * *

ما أروع برجسون ...

وإلى اللقاء معه فى جانب آخر من بحثه الممتع ، يتحدث فيه عن السبيل إلى تربية أخلاق الحركة وتكوين المجتمع المفتوح ؟ .

فتحى عثمان

(بقية المنشور على صفحة ٦٩٧)

وجوب الوقوف عند نص الحديث وضرورة التمسك به ، وموقف ابنه ومعه السيدة عائشة رضى الله عنها من وجوب الإيمان أيضا بالنص ، ولكنه مع هذا يرى ضرورة رعاية علة الحكم وحكمته ، ووجوب أن تدور الأحكام مع عللها ومقاصدها وجودا وعدما .

وليس هذا إلا ما نريده من الدعوة لتطوير الفقه الإسلامى ، فإن فيه تحقيق المراد من الشريعة الإسلامية ، وجعلها تساير كل زمان ومكان .

* * *

ونقف اليوم بعدما ذكرناه من المثل الدالة على أن الفقه الإسلامى بدأ يتطور حقا فى أيام الصحابة والتابعين ، وهو التطور الذى نلح فى الدعوة إليه ما دام فى داخل محيط الكتاب والسنة ويتفق مع روح الشريعة ومقاصدها .

وفى الكلمة الآتية - إن شاء الله - وهى ختام البحث نتكلم عن وسائل هذا التطوير التى اشتدت الحاجة إليه فى هذه الأيام التى نعيش فيها ، بعد أن جمدنا على الماضى قرونا طويلة ، ومن الله العون والتوفيق والسداد ؟

دكتور محمد يوسف موسى

النظرية العامة للإثبات فى الحدود

للأستاذ محمد عطيه راغب

٢ - الاقرار

للإقرار فى الشريعة الإسلامية شروط ، منها ما يتعلق بالمقر ، ومنها ما يتعلق بالإقرار نفسه .

أولا : الشروط الواجب توافرها فى المقر :

اشترط الفقهاء لصحة إقرار المقر أن يكون : بالغاً ، عاقلا ، ناطقا ، مختاراً . ولذا لا يعتدون بإقرار : الصغير الذى لم يبلغ الحلم ، والمجنون ، والمعتوه ، والسكران والأخرس سواء أقر بإشارة أم بكتابة [١] لأنه قد يكون لديه شبهة قوية لا يستطيع إفهامها لغيره فتحرمه من شىء لغيره القدرة على بيانه والنجاة بسببه ، والنائم ، والمكره لأنه يغلب على الظن أن المقر قصد بإقراره دفع ضرر ما خوف به ،فانتفى ظن صدقه وإن كنا نجد بعض المتأخرين قد أفتى بصحة إقرار السارق المكره .

أما إقرار : الأعمى ، والأنثى والعبد[١] ، والذمى ، والمستأمن ، فيعتد به فى الحدود كلها ؛ لأن البصر ، والذكورة ، والحرية ، ليست بشرط فى الإقرار فى الحدود عند بعض الفقهاء .

ثانياً : الشروط العامة للإقرار :

للإقرار فى الشريعة الإسلامية شروط يجب أن تتوافر فيه ليعتد به . فيجب ألا يكون فيه لبس أو غموض يجعله محتملا للتأويل أو مثيراً للشك ؛ ذلك لأن الإقرار الذى يحتمل التأويل أو يثير الشك لا يمكن الاعتداد به ومؤاخذة صاحبه وفقا له .

ويجب أن يكون موافقاً للواقع والحقيقة ، فإن خالف فلا يعتد به لتكذيب الواقع له .

كما يجب أن يصدر عند من له ولاية إقامة الحد . ولذا لا اعتداد فى الفقه الإسلامى بالإقرار الصادر عند من لا ولاية له فى ذلك .

---

(١) أما الشافعى ، وابن القاسم ، وأبو ثور ، وابن المنذر ، فيرون أنه لا مانع من الأخذ بإقرار الأخرس المفهومة إشارته وحركاته ـ محمد الحسينى على سويدان . ص ٢٨ .

(١) عند زفر لا يصح إقرار العبد بشىء من أسباب الحدود إلا إذا صدقه المولى ـ بدائع الصنائع جـ ٧ ص (٥٠)

ويجب ألا يكون المقر متهما فى إقراره ، للاعتداد بالإقرار الصادر منه .

يشترط أبو حنيفة وأصحابه ، وابن حنبل ، أن يتكرر الإقرار فى جرم الزنى أربع مرات ، وأن يراجع المقر فى كل مرة ، وهم يستندون فى ذلك إلى ما روى أن ما عزا جاء إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ، فأقر بالزنى فأخر النبى صلوات الله عليه إقامة الحد عليه إلى أن يتم الإقرار منه أربع مرات فى أربعة مجالس ، وكان الرسول يطرده حتى يتوارى بحيطان المدينة ، فلو كان الإقرار مرة واحدة كافيا لما تأخر الرسول صلى الله عليه وسلم فى إقامة الحد عليه ، لأن إقامة الحد عند ظهوره واجب وتأخير الواجب لا يظن مطلقا برسول الله .

أما الشافعى ، وأحمد ، والطبرى ، وأكثر المالكية ، وابن المنذر ، فيكتفون بالإقرار مرة واحدة ، ما دامت القرائن تدل على الإصرار ، ولأن الإقرار مظهر وتكرار الإقرار لا يفيد زيادة الظهور بخلاف زيادة العدد فى الشهادة ، وذلك استنادا على ما جاء فى حديث أبى هريرة من قول الرسول صلى الله عليه وسلم : اغد يا أنيس على امرأة هذا ، فإن اعترفت فارجمها ، فاعترفت فرجمها ولم يذكر عددا .

وعند أبى حنيفة ، والشافعى ، ومحمد ، يكتفى بصدور الإقرار مرة واحدة ولا حاجة إلى تكراره فى حد السرقة .

أما أحمد بن حنبل ، وزفر ، وأبو يوسف ومالك ، فلا يكتفون بصدوره مرة واحدة وإنما يوجبون تكراره مرتين فى مجلسين مختلفين ، استنادا لما رواه أبو داود عن أبى أمية المخزومى أنه عليه الصلاة والسلام أتى بلص قد اعترف ولم يوجد معه متاع فقال الرسول صلوات الله عليه (ما أخالك سرقت) قال : بلى يارسول الله ، فأعادها عليه مرتين أو ثلاثا .

إلا أننا نرى رأى من أخذ بما ذهب إليه أبو حنيفة أو الشافعى ، ومحمد ، فلعل التكرار من الرسول صلى الله عليه وسلم فى الواقعة السابقة نظرا لعدم وجود المتاع المسروق مع الجانى .

وأغلبية الفقهاء يكتفون فى جرم القذف بصدور الإقرار مرة واحدة إذ لا حاجة عندهم لتكراره ، وإن كان الفقه الشيعى يتطلب تكراره للاعتداد به .

وأبو حنيفة ، ومحمد ، والمالكية ، وجمهور الفقهاء ، يكتفون بصدور الإقرار مرة واحدة ؟ ولا يوجبون تعدد الإقرار فى جرم الشرب ، إلا أن أبا يوسف ، وزفر ، يوجبان تعـــدد الإقرار مرتين للاعتداد به ؛ لأن الإقرار عندهما كالبينة بجامع

أن كلا طريق للإثبات ، فيجب فيه التعداد اعتبارا بالزنى ، إلا أنه أخذ على هذا الرأى أن قياس الإقرار على البينة قياس مع الفارق ؛ وذلك لأن اعتبار التعدد فى الشهادة إنما كان لتقليل التهمة ولا تهمة فى الإقرار ؛ إذ لا يتهم الشخص فى إقراره على نفسه بما يضره ، ولذلك نحن نرى لا حاجة لتكرار الإقرار للأخذ به فى جرم الشرب .

وأجمع الفقهاء كذلك على قبول رجوع المقر عن إقراره وسقوط الحد عنه فى حد الزنى ، والسرقة ، والشرب ؛ ذلك لأن الرجوع عن الإقرار شبهة فى صحة الإقرار ، والحدود تدرأ بالشبهات .

أما فى حد القذف فلا يقبل الرجوع عن الإقرار فيه ؛ ذلك لأن الإقرار تضمن إثبات حق للغير ، وحقوق العباد اللازمة لا تقبل الرجوع عن التزامها ؟

مراجع البحث : المبسوط . ج ٩ ، القاموس المحيط . ج ١ ، الحدود فى الشرائع لفرج محمد السيد عمار ، الفوائد السمية . ج ٢ ، متن ملتقى الأبحر ، شرح الدر المختار ج ١ ، ابن عابدين . ج ٣ ، الهداية . ج ٢ ، فتح القدير . ج ٤ . ط ١٣١٦ ﻫ ، الأحكام السلطانية ج ٤ ، البحر الرائق شرح كنز الدقائق . ج ٥ . ط ١ ، بدائع الصنائع . ج ٦ و ٧ ، الزيلعى . ج ٢ ، الإقناع . ج ٤ ، المدونة الكبرى . ج ١٦ ، المغنى . ج (١٠) ، بداية المجتهد . ج ٢ ، عبد القادر عودة . التشريع الجنائى الإسلامى . ج ١ . ط ١٩٤٩ ، كشاف القناع على متن الإقناع . ج ٦ ، محمد عبد السلام خضر . رسالة فى الشهادة ، أحمد ابراهيم . المرافعات الشرعية . ط (١٩٢٠) ، محمد الحسين آل كاشف الغطاء . أصل الشيعة وأصولها . ط ٩ . محمد عطية راغب النظرية العامة للإثبات فى التشريع الجنائى العربى المقارن . (١٩٦٠) .

محمد عطية راغب

من الحكم الشعرية

وما المرء إلا الأصغران : لسانه	ومعقوله ، والجسم خلق مصور
وما الزين فى ثوب تراه ، وإنما	يزين الفتى مخبوره حين يخبر
فإن طرة راقتك منه فربما	أمر مذاق العود والعود أخضر

النحو بين التجديد والتقليد

للأستاذ عبد الخالق عضيمة

— ٢ —

كتبت كلمتي السابقة ولم أنظر وقتئذ في غير الكتب التي بين يدي التلاميذ ثم أمدني بعض إخواني المدرسين بالوزارة بكتب ثلاثة هي :

١ — الاتجاهات الحديثة في النحو — مجموعة محاضرات ألقيت في مؤتمر مفتشي اللغة العربية بالمرحلة الإعدادية .

٢ — تحرير النحو العربي — كتاب اجتمع على صنعته ثمانية من الأساتذة يتصدرهم الأستاذان إبراهيم مصطفى ومحمد أحمد برانق .

٣ — النحو المنهجي — استقل بتأليفه الأستاذ برانق وأصحاب هذه الكتب والمحاضرات هم الذين تحمل أسماءهم كتب شرشر ومشمش والنحو الابتدائي والإعدادي فلا عجب أن كانت تستهدف الدعاية لما أسموه تيسير النحو وحمل المدرسين عليه .

وقد كان للطعن على النحويين نصيب موفور في هذه الكتب لذلك أرى من واجبي أن أتناول بالتعليق بعض ما تضمنته وسأحرص على أمرين .

(١) إفساح المجال أمام نصوص هؤلاء الأساتذة لتعبر عن أفكارهم وليشترك معي القارئ في تقويم هذه الأفكار .

(ب) الإيجاز في التعليق ما وسعني الإيجاز .

١ — الأستاذ برانق حمل حملات ظالمة على النحويين فالنحويون في نظره طغاة وهم مقصرون .

وضرب لنا مثلا لتقصيرهم في باب التعجب فقال في كتابه النحو المنهجي ص ٥٢ :

وأسلوب التعجب لا يعرف النحويون منه إلا الباب التقليدي المتوارث الذي هو باب ما أفعله وأفعل به ويتحدثون عنه ويفيضون فيه ، ويضعون الشروط الكثيرة التي تبيح للمتكلم أن يتعجب أو تحرم عليه ألا يتعجب وتحدد الصورة التي يتعجب بها تعجبا مباشراً أو بالواسطة ولعله أن يكون أجدى من هذا كله على أبنائنا أن نقدم لهم أساليب التعجب الأدبية التي تفيدهم فيما يقرءون أو يكتبون .

ولست أريد أن أهدر صيغة ما أفعله وأفعل به ولكنني أريد أن أقدم للمتعلمين إلى جانبها قول الله تعالى : « كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم » ، وقول عنترة :

لله در بني عبس لقد نسلوا
من الأكارم ما قد تنسل العرب

وقول المتنبي في سيف الدولة :

وكيف تعلك الدنيا بشيء
وأنت لعلة الدنيا طبيب
وكيف تنوبك الشكوى بداء
وأنت المستغاث لما ينوب

وقولهم واهالك ولله دره فارسا وهكذا نجد كثيراً من الأمثلة في الأساليب الأدبية تفيد التعجب ولم يتعرض لها النحاة ودراستها للبادئين أولى .

وشهد الله أن النحويين لم يقصروا كما زعم الأستاذ كبير المفتشين ففي كتاب التوضيح لابن هشام ما يأتي :

هذا باب التعجب

وله عبارات كثيرة نحو « كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم » .

سبحان الله، إن المؤمن لا ينجس ـ لله دره فارسا .

والمبوب له في النحو اثنتان . .

وزاد الأشموني على كلام التوضيح ـ لله أنت، يا جارتا ما أنت جارة ، وقوله واها لسلمى ثم واها واها .

فقد تعرض النحويون لما ذكره الأستاذ وزادوا عليه .

ولو كان كلامهم ذكر في غير باب التعجب أو ذكر في كتب أخرى غير التي درسها الأستاذ لالتمسنا له العذر .

فهل نسي الأستاذ هذا الكلام أو تناساه .

نعيب زماننا والعيب فينا
وما لزماننا عيب سوانا

٢ ـ وللأستاذ برانق رأى طريف هدته إليه التجربة .

يرى أن بعض أبواب النحو لا يجوز أن تكون موضع الدرس في الفصل، لأن دراستها توقع التلاميذ في الخطأ .

قال في محاضرته ص ٧٣ : وأول ما وجه نظري إليها أن التلاميذ في المدارس الابتدائية كانوا يستعملون الضمائر استعمالا صحيحا قلما تشوبه شائبة من خطأ ، حتى درست لهم الضمير وعرضت عليهم أقسامه وأنواعه ووجوه إعرابه في جداول منمقة مزوقة وفهموها وأجادوها داخلني اطمئنان شأن أي مدرس نجح في درس مع تلاميذه وفي أثناء استعمال الضمائر في كتاباتهم أو في كلامهم بعد هذا كانوا يخطئون أخطاء لم يقعوا فيها من قبل .

فآمنت أن هناك موضوعات لا يجوز أن تكون موضع الدرس في الفصل .

هذه تجربة الأستاذ ولسان التجربة أصدق ، وفي التجارب علم مستأنف .

٣ ـ والنحو هين في نظر الأستاذ برانق وهو يتمنى أن يأتي اليوم الذي ينادي فيه بإلغاء النحو وإحراق كتبه .

قال في محاضرته ص ٧٢ : ونحن لا نرى

من وراء هذا التيسير التهوين من علم النحو وإن كان هينا ولكننا نرمى إلى تأليف قلوب التلاميذ ... ولعلى لا أغضبكم إذا قلت لكم: إنى أتمنى على الله اليوم الذى أنادى فيه بإلغاء علم النحو وإحراق كتبه .

ورحم الله البحترى: فقد قيل له يوما: إن الناس يزعمون أنك أشعر من أبى تمام فقال والله ما ينفعنى هذا القول ولا يضر أبا تمام والله ما أكلت الخبز إلا به .

٤ ـ أشرف الدكتور عبد العزيز القوصى على مؤتمر مفتشى اللغة العربية ، وقد افتتح هذا المؤتمر بكلمة ذكر فيها أنه غير متخصص فى اللغة العربية ومتخصص فى علم النفس وحصل فيه على درجة، ثم رمى النحو بالتكلف والتعسف وأنه لا يجارى منطق الطفل .

قال فى محاضرته ص ١٦ : سألتنى بنتى مرة قائلة ذاكرَ فعل ماض أو مضارع أو أمر فقلت لها: إنه ماض قالت: لو قلت إذا ذاكرت أخذت الجائزة كيف يكون ذاكر فعلا ماضيا مع أن المذاكرة لم تحدث للآن؟ ولا أنكر أنى استطعت أن أقنعها بمنطق النحو الذى أعرفه ، ولكننى حين أرجع إلى نفسى أجد أن هناك فرقا كبيرا بين منطق النحو وفيه تعسف وتكلف ومنطق الطفل ، وفيه سهولة وصدق .

* * *

ذكر النحويون أن أدوات الشرط تخلص معنى الماضى للاستقبال كما أن لم الجازمة تخلص معنى المضارع للمضى فمن حقهم علينا ألا نوجه لهم لوما؛ لأنهم لم يغفلوا الحديث عن مثل هذه المواضع وإذا كان كلامهم يشوبه تكلف وتعسف فما هو الكلام الذى لا تكلف فيه ويحسن ذكره فى مثل هذا المقام .

هـــذا ما كنا نريد سماعه من الدكتور القوصى أو من غيره .

* * *

وذكر الدكتور القوصى حكاية أخرى لها فى نفسه ذكريات عزيزة قال ص ١٣ : كنت طالبا فى مدرسة المعلمين وكنت أهتم بدراسة التاريخ الطبيعى فوجدت حجرا فى الصحراء فحملته فرحا به مسرورا ، ورآه والدى فسألنى .. فتقبل الأمر باعتباره مسألة تهم ابنه وترضيه ، فلا مانع من احترامها والمحافظة عليها بهذا الاعتبار ، ورأته زوجة أبى فوضعته إلى جوار الباب حتى يظل مفتوحا فكان الحجر فى نظرها أداة تسند الباب .. واستغله بعض إخوتى مثقلة الأوراق حتى لا تطير فى الهواء ، ثم سافرت إلى انجلترا وهناك كنت أذكر تلك القطعة من الحجر وأسأل عنها .

* * *

قد يكون لمثل هذه الحكاية صلة بعلم النفس

أما أن يكون لها أدنى علاقة أو ارتباط بتيسير النحو فهذا ما أعجزني بيانه .

٥ - يرى الأستاذ ابراهيم مصطفى فى إحياء النحو ص ١٤٢ : أن الاسم الواقع بعد لا النافية للجنس ليس بمستحدث عنه وحقه من الحركات الفتحة والذى عوّض الأمر على النحاة ما قرروه من أن كل جملة يجب أن تشمل مبتدأ وخبرا أو فعلا وفاعلا ولم يعرفوا الجملة الناقصة .

كما يرى أن الجار والمجرور والظرف فى نحو قوله تعالى : « إنهم لا أيمان لهم - لا ظلم اليوم » - ليس خبرا للا - ولست أدرى ماذا يصنع الأستاذ فيما جاء عن العرب من التصريح بخبر لا مرفوعا كما فى الحديث الشريف الذى رواه البخارى ومسلم والترمذى والنسائى من قوله عليه السلام : (لا أحد أغير من الله ولذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، ولا شىء أحب إليه المدح من الله ، ولذلك مدح نفسه) . وفى قول الشاعرة :

لا أحد أذل من جديس

وفى قول أبى قيس :

ونعلم أن الله لا شىء غيره
ونعلم أن الله أفضل هاديا

الروض الأنف ٢ / ٢٣ .

* * *

وفى كتاب سيبويه ١ / ٣٥٦ وتقول : لا رجل أفضل منك إذا جعلته خبرا ، وكذلك لا أحد خير منك ، قال الشاعر :

ورد جازرهم حرفا مصرمة
ولا كريم من الولدان مصبوح

* * *

وفى حديثهم عن لا النافية للجنس فى كتابهم تحرير النحو اكتفوا بقولهم ص ١٢٤ : المسند إليه بعد لا النافية للجنس منصوب غير منون إذا أفردت ، أما إذا تكررت فلك فى المسند إليه بعدها أن تنصبه غير منون أو ترفعه منونا مثل : لا حول ولا قوة إلا بالله ، فلم يقسموا اسم لا إلى مفرد ومضاف وشبيه بالمضاف .

ثم جاء الأستاذ برانق بعد ذلك وقال فى كتابه ص ٩٤ : إن تقسيم اسم لا إلى مفرد ومضاف وشبهه فيه بلبلة وتعسير على التلاميذ .

* * *

وماذا نصنع فى أمثلة الشبيه بالمضاف وهى منصوبة منونة بعد لا ، أغفل الأساتذة حديثها وتوجيهها .

وفى حديثهم عن المنادى فى تحرير النحو ص ١٨٩ قسموه إلى هذه الأقسام :

(ا) إذا كان المنادى مضافا نصب نحو يا عبد الله

(ب) إذا كان المنادى علما غير مضاف رفع ومنع التنوين نحو : يا آدم اسكن أنت وزوجك - يا نوح اهبط بسلام منا .

(ج) فيما عدا ما تقدم إذا نون المنادى نصب وإذا منع التنوين رفع .

وقولهم إذا نون المنادى نصب وإذا منع التنوين رفع جمع إلى الإيجاز الإبهام نحن فى حاجة إلى معرفة متى ينون المنادى ومتى لا ينون فنصب المنادى أو رفعه إنما يكون بعد معرفة حال المنادى ومن أى الأقسام هو .

ومثل هذا الإيجاز المخل إنما يقبل فى لغة المتون التى رأى أصحابها أن يحملوا ألفاظها فوق ما تحتمل، أما أن يلتى به فى وجه الطالب الإعدادى فهذا تعجيز له .

وهل يكفى أن نقول له : المنادى منصوب أو مرفوع .

ونراهم فى أمثلة المنادى المنون مثلوا بقولهم : يا مؤمنا لا تعتمد على غير مولاك، وهذا مما سماه النحويون النكرة غير المقصودة :

يا رحيما بالعباد - يا موقدا نارا لغيرك ضوؤها، وهذا مما سماه النحويون الشبيه بالمضاف ثم ذكروا البيت :

فيا راكبا إما عرضت فبلغن
نداماى من نجران أن لا تلاقيا

وهو من النكرة غير المقصودة ، فخلطوا بين أمثلة النكرة غير المقصودة والشبيه بالمضاف كما ترى ، وكان لهذا الخلط أثره عند الأستاذ برانق فقد مثل فى كتابه ص ١٠٤ بالبيت :

فيا راكبا إما عرضت فبلغن
نداماى من نجران أن لا تلاقيا

للشبيه بالمضاف وهو من النكرة غير المقصودة

وقسم الأستاذ برانق المنادى إلى مضاف وشبيه بالمضاف وإن أخطأ فى التمثيل كما ذكرنا ، ومعرفة :

ومثل المعرفة بقوله تعالى : « يا آدم اسكن أنت وزوجك » ، « يا نوح اهبط بسلام منا » ، « يا جبال أوّبى معه » .

وأغفل النكرة غير المقصودة ثم نراه جمع النكرة المقصودة والعلم المفرد تحت اسم المعرفة، والتلميذ يستطيع أن يهتدى إلى تعريف نحو يا آدم - يا نوح أما التعريف فى نحو يا جبال فلن يستطيع أن يوضحه المدرس إلا إذا اتبع طريق النحويين وتقسيمهم .

ألست معى فى أن كل ما ذكر لا يعدو أن يكون غمغمة لا تبين وهمهة لا تتضح .

٦ - استفتح ابن مضاء كتابه الرد على النحاة بالحملة على عوامل النحويين وأطال فى ذلك ثم عرض الأستاذ ابراهيم مصطفى فى إحياء النحو لفلسفة العامل ومنشأ هذه الفلسفة ونقد مذهب النحاة فى العامل ص ٣١ - ٤٣ .

ولم يكتف أساتذتنا بما ذكر، فأعادوا هذا الكلام فالأستاذ برانق يطلب فى محاضرته

ص ٧٣ التخفيف من عمل الأدوات على النحو الذي قرره طغاة النحويين .

ثم يعود لهذا الحديث في كتابه النحو المنهجي ص ٤٦ ويبسط القول. كذلك شارك في هذه الحملة الدكتور عبد الفتاح شلبي، والدكتور محمود رشدي خاطر، والأستاذ محمد شفيق عطا، وما كان قولهم إلا معاداً مكرراً .

والعوامل في صناعة النحو إنما هي أمارات ودلالات كما قلنا وليس لها تأثير حسي .

قال كمال الدين الأنباري في كتابه الإنصاف ص ٣٣ :

لأن العوامل في هذه الصناعة ليست مؤثرة حسية كالإحراق للنار، والإغراق للماء، والقطع للسيف، وإنما هي أمارات ودلالات، والأمارة والدلالة تكون بعدم شيء كما تكون بوجود شيء، ألا ترى أنه لو كان معك ثوبان وأردت أن تميز أحدهما من الآخر فصبغت أحدهما وتركت صبغ الآخر لكان ترك صبغ أحدهما في التمييز بمنزلة صبغ الآخر .

وفي الخصائص ص ١٠٩ ألا تراك إذا قلت ضرب سعيد جعفراً ، فإن ضرب لم تعمل في الحقيقة شيئاً وهل تحصل من قولك ضرب إلا على اللفظ بالضاد والراء والباء على صورة فعل فهذا هو الصوت والصوت مما لا يجوز أن يكون منسوبا إليه الفعل ، وإنما قال النحويون عامل لفظي وعامل معنوي ليروك أن بعض العمل يأتي مسببا عن لفظ يصحبه كمررت بزيد وليت عمراً قائم وبعضه يأتي عاريا من مصاحبة لفظ يتعلق به كرفع المبتدأ بالابتداء ورفع الفعل لوقوعه موقع الاسم هذا ظاهر الأمر وعليه صفحة القول فأما في الحقيقة ومحصول الحديث فالعمل من الرفع والنصب والجر والجزم إنما هو للمتكلم نفسه لا لشيء غيره .

والعجيب أن ابن مضاء بتر هذا النص وادعى على ابن جني أنه أنكر العوامل في النحو .

وليست للعوامل هيمنة على كلام العرب تقبل بعضه وتنكر بعضه كما يدعون، إنما يبحث النحويون عن العامل بعد سماع النص من العرب ، قال الرضي في شرح الكافية ص ٢٠٨ :

وقال بعضهم المستثنى منصوب بأستثني كما أن المنادى منصوب بأنادي. وإلا وحرف النداء دليلان على الفعلين المقدرين، وقد اعترض عليه بأنه يلزم منه جواز الرفع بتقدير امتنع ولا يلزم ذلك لأنا نعلل ما ثبت وورد من كلام العرب ولو ورد مرفوعا لكنا نقدر امتنع ونحوه ألا ترى أنه يجب النصب في إياك والأسد بتقدير، بعد ونحوه ، ولو ورد الرفع نحو أنت والأسد لكنا نقدر أبعد أنت والأسد ونحوه .

وعلى هذا فلا محل لسخرية الأستاذ برانق فى قوله ص ١٠٠ :

ولو أن المسند إليه فى هذه الأساليب ورد مرفوعا لكان للنحاة فيه مخرج بل ولو أنه ورد مجروراً لكان لهم مخارج فتأمل .

٧ — يرى ابن مضاء ص ٩٩ أن نحو زيد فى الدار كلام تام مركب من اسمين دالين على معنيين بينهما نسبة وتلك النسبة دلت عليها فى ولا حاجة إلى تقدير كائن أو مستقر، وإذا بطل العامل والعمل فلا شبهة تبقى لمن يدعى هذا الإضمار .

وقد أعجب بهذا الرأى الأستاذ برانق ص ٧٩ .

دفع النحويين إلى البحث عن متعلق الظرف والجار والمجرور نظام الأسلوب العربى ، وجدوا أنه قد يسبق الظرف فعل أو اسم فيه معنى الفعل يرتبط به معنى الظرف . ومعنى هذا الفعل كون خاص، فقالوا التعلق الخاص يجب ذكره ولا يحذف إلا عند القرينة تقول هذا الكتاب مطبوع فى مصر .

ولو حذفت المتعلق لاختلف المعنى .

ودليلهم على تقدير المتعلق العام ورود ذكره فى ضرورة الشعر كقوله :

لك العز إن مولاك عز وإن يهن
فأنت لدى بحبوحة الهون كائن

ولما كانت الأساليب الفصيحة خالية من ذكره أوجب النحويون حذفه فلا يصح أن نقول منزلنا الكائن بشارع كذا كما يجرى ذلك على ألسنة العامة ، فالبحث عن المتعلق بحث يتصل بسلامة الأسلوب وفصاحته ، وقد حض ابن مضاء فى كتابه على البحث فى المسائل التى تفيد نطقا وإن نادى بالانصراف عن البحث فى متعلق الظرف .

وتعيين متعلق الظرف إنما يحدده المعنى فقد يوجد الفعل قبل الظرف أو الجار والمجرور ثم يتعلقان بغيره .

وقد ذكر ابن هشام فى المغنى ثمانى آيات وحديثا وبيتين وجد فيها الفعل قبل الظرف أو الجار والمجرور ومنع المعنى من تعلقها بهذا الفعل فليرجع إليه من شاء فى المغنى ١٢٠-١٢١ ، ومما يدل على أن البحث فى متعلق الظرف ليس صناعة لفظية فحسب ما ذكره النحويون فى قوله تعالى : فلما رآه مستقرا عنده : قال هذا من فضل ربى .

قالوا : إن معنى الاستقرار هنا ليس مطلق الوجود والحصول إنما معناه عدم التحرك فهو كون خاص . المغنى ٢ - ٨١ ، البحر المحيط ٧ - ٧٧ ، العكبرى ٢ - ٩٠ للبحث صلة .

محمد عبد الخالق عضيمة

الإسلام فى نيجريا

للأستاذ عطيه صقر

فى المنعطف الجنوبى لنهـــر النيجر وعند مصبه ، وإلى الشمال الشرقى من الدلتا حتى بحيرة تشاد ، تقع جمهورية نيجيريا التى نالت استقلالها فى شهر أكتوبر من عام ١٩٦٠ . وهى حكومة اتحادية فيدرالية تتكون من حكومات ثلاث : فى شرق النهر وعاصمتها « إيناجون » ، وفى غربيه وعاصمتها « إبادان» وفى الشمال وعاصمتها « كادونا » . وسكانها يبلغون من ٣٥ إلى ٤٠ مليونا . وهم مجموعة من القبائل تزيد على ٢٥٠ قبيلة ، أهمها الهاوسا Haoussa فى القسم الشمالى والإيبو Ibos فى القسم الشرقى ، واليوربا Yourouba فى القسم الغربى . ومن بين هؤلاء السكان ٢٠ ألفا من الأوربيين ونحو ٤ آلاف من عرب سوريا ولبنان ومن الهنود .

ولا يعرف بالضبط متى سكن الناس هـذه المنطقة ، إلا أن الثابت أن قبيلة بنى Beni ظهرت بقوتها كجنس مسيطر على المنطقة عندما اكتشف البرتغاليون الساحل فى القرن الخامس عشر ، واستمر سلطان هذه القبيلة قائما على جزء كبير من الساحل الغربى حتى القرن السابع عشر ، عندما ظهر الانجليز كتجار الرقيق والمحصولات المختلفة .

ولم يجرؤ المكتشفون على ارتياد المناطق الداخلية لوعورة مسالكها وعـدم ملاءمة جوها للأوربيين ، حتى أرسلت الجمعية الكشفية التى تألفت فى لندن فى يونيه سنة ١٧٨٨ المكتشف مونجو بارك Mongo Park فقطع نهر النيجر من سيجو Segu إلى Bussa وتوفى سنة ١٨٠٥ ، ثم تم كشف النهر من بوسا إلى الساحل سنة ١٨٣٠ واكتشفت المنطقـة الشمالية سنة ١٨٢٣ عن طريق الصحراء من طرابلس .

وابتدأ تدخل الانجليز فى المنطقة عندما كانوا يقومون بدور الحكم بين القبائل التى كانت تنشب بينها الحروب والمنازعات فى كثير من الأحيان . ثم اعترف مؤتمر برلين سنة ١٨٥٥ باستعمار بريطانيا لهذه المنطقة . وقد لقى الانجليز مقاومة شديدة من الولايات الإسلامية فى الشمال حتى تمكن « فردريك لوجارد » من الاستيلاء على آخر معقل إسلامى فى سوكوتو فى ١٧ من مايو سنة ١٩٠٣

وفى ٢١ من هذا الشهر نفسه أقيم سلطان جديد أمضى مع الانجليز شروطا دخل بمقتضاها تحت إدارتهم وفعلت مثل ذلك بقية الإمارات ، واستمر استعمار الانجليز قائما على البلاد ، حتى منحوها سنة ١٩٥٤ دستورا ينص على إعطائها الحكم الذاتى سنة ١٩٥٦ إذا وافقت جميع المقاطعات ، وبعد إجراء انتخاب للبرلمان الفيدرالى فى آخر سنة ١٩٥٩ وفوز حزب مؤتمر الشعب الشمالى ، شكلت الوزارة الاتحادية برياسة « الحاج سير أبو بكر تافوا باليوا » . ونصب الدكتور « أزيكوى » حاكما عاما لاتحاد نيجيريا ، الذى اتخذ مدينة لاجوس Loags عاصمة له .

وقد قامت فى البلاد ممالك إسلامية كان لها دور عظيم فى نشر الإسلام فى هذه المناطق وغيرها قبل أن يعرفها الغرب ، ويلوثها رجس الاستعمار ، فكانت هناك فى أوائل القرن العاشر الميلادى مملكة « التكرور » ، وفى القرن الحادى عشر مملكة « مالى » التى زارها ابن بطوطة وتحدث عنها ابن خلدون ، وكذلك قامت مملكة « البرناوية » فى الشمال الشرقى .

ودخل الإسلام هذه المنطقة منذ زمن بعيد ، وذلك من أوائل الفتح الإسلامى ، متسللا مع القوافل والتجار الذين كانوا يجوبون هذه المناطق ، غير أنه لم يظهر بشكل واضح إلا فى نحو القرن العاشر أو الحادى عشر بفضل النشاط العظيم الذى قام به المرابطون من قبائل لمتونة ، فحملوا الإسلام إلى مملكة « غانة » ، ووسط إفريقيا وسواحلها الغربية ودخلت قبيلة « بورنو » المقيمة فى شمالى نيجيريا فى الإسلام فى أوائل الاتصال بالمرابطين ، وأسلم أمير قبائل الماندانج وأسس أحد خلفائه فى القرن الثالث عشر أمبراطورية « مالى » ، وأسلمت دول الهاوسا حوالى القرن الخامس عشر ، ثم أسلمت قبائل « البولز » فى القرن الثامن عشر ، وأخيراً أسلمت قبائل المنطقة الجنوبية « إيبو ، يوروبا » .

وقد ظهرت حركة إسلامية كبيرة فى أواخر القرن التاسع عشر ، تزعمها رجل ينحدر من أسرة تشتهر بالعلم والقضاء ، هو الشيخ عثمان الفودى ، الذى يسميه الغربيون فوديو Fodio ، وقد ولد سنة ١٧٤٤ فى إمارة « جوبير » إحدى إمارات الهاوسا ، وتفقه على مذهب الإمام مالك فى « أجادبس » واعتنق هناك الطريقة الصوفية القادرية ، وعاد إلى مسقط رأسه ينشر العلم ويبشر بالدين ، ثم بايعه أتباعه بإمارة المؤمنين ، وكون جيشاً ظل يحارب به الأمراء والقبائل الوثنية من سنة ١٨٠٤ حتى تم له النصر عليها جميعاً فى آخر سنة ١٨٠٨ ، مساعداً مملكة « بورنو »

الإسلامية التي وقفت ضد أتباعه الذين أرادوا توسيع مملكته ، وبنى ابنه مدينة سوكوتو Sokoto سنة ١٨٠٩ التي كانت هي ومدينة « كانو » القديمة عاصمتين لهذه الدولة العظيمة، التي تخطت بالدعوة الإسلامية حدود نيجيريا ووصلت بها إلى الكمرون . ولم يقف نشاطها إلا بعد تغلب الانجليز على البلاد . وقد آثر الشيخ عثمان العزلة والخلوة في آخر حياته وتوفي سنة ١٨١٧ .

تقوم في هذه البلاد ثلاث ديانات رئيسية : الإسلام ، والمسيحية ، والوثنية . وليس هناك إحصاء رسمي لعدد المسلمين ولا لنسبة توزيعهم في المناطق الثلاث . إلا أن المؤكد أنهم لا يقلون عن عشرين مليونا إن لم يزيدوا ، فقد أوصل البعض عددهم إلى ٣٠ باعتبار أن عدد السكان ٤٠ مليونا . وهم يكثرون بصفة عامة في الإقليم الشمالي الذي يكون ثلثي مساحة البلاد ، ويقلون في الإقليمين : الشرقي والغربي ، وقد ذكرت الدوائر التبشيرية أن نسبتهم في الشمال ٧٠٪ وفي الغرب ٣٠٪ وفي الشرق ٥٪ ، ولكن كثيراً من الكاتبين يؤكدون أن نسبتهم في الشمال أكبر من ذلك بكثير .

وكثير من القبائل التي اعتنقت الإسلام تدعي أنها من أصل عربي ، فالهاوسا تقول إنها من نسل أحد ملوك بغداد ، واليوروبا من نسل يعرب بن قحطان ، والفولاني من سلالة عقبة بن نافع ، وهكذا . ومهما يكن من شيء فإن الملاحظ أن أغلب المسلمين هناك يجري في عروقهم الدم العربي ، وسحنتهم وعاداتهم توحي بانتسابهم إلى هذه الأرومة الأصيلة ، كما يلاحظ أن اتجاه الشماليين وهم غالبية المسلمين نحو العرب والشرق ، أكثر من اتجاههم نحو الغرب على عكس قبائل المنطقتين الأخريين . ومعظم المسلمين في الشمال - إن لم يكونوا جميعا - تجار رحل ومزارعون صغار ، ورعاة أغنام ، وحالتهم الاقتصادية العامة بسيطة ولكنها لا تصل إلى درجة العدم ، وأغلبهم يقعون تحت سلطان قلة من الإقطاعيين ، وهم يحسون بقلق بالغ وغيرة شديدة من تقدم إخوانهم في المنطقة الشرقية والغربية ، ويجدون للحاق بهم في المضمار الثقافي والاجتماعي ، والمسلمون من قبيلة الإيبو في القطاع الشرقي أكثر من غيرهم تقدما ونشاطا وكفاحا في سبيل النهوض ، غير أنهم تسودهم الروح الانعزالية ، وهو الطابع العام للقبيلة كلها ، التي ترى أن أكبر مجتمع فيها هو الأسرة فقط .

والمسلمون عموما متعصبون لدينهم وتستطيع أن تميزهم من غيرهم بالطاقية البيضاء والسحنة العربية المختلفة عن السحنة الزنجية ، غير أن تدينهم مشوب بالخرافات والسحر والشعوذة

المنتشرة فى البلاد جميعها ، كميراث قديم عن القبائل الإفريقية فى داخل القارة ، وهم يتعبدون على مذهب الإمام مالك ، الذى حمل إليهم على يد الداعين والفاتحين القادمين من شمالى إفريقيا وبلاد المغرب والسودان ، وجميعهم سنيون فى عقيدتهم ، غير أنه يوجد بعض منهم ينتمون إلى جماعة القاديانية الذين يقومون بنشاط بارز فى « لاجوس » ، ولهم دعاتهم وصحفهم ومدارسهم .

والطرق الصوفية لها نشاط واضح فى البلاد وأشهرها الطريقة القادرية التى أسسها فى العراق فى القرن الثانى عشر عبد القادر الجيلانى .

والطريقة التيجانية التى أسسها فى شمالى إفريقيا فى القرن الثامن عشر أحمد التيجانى المدفون فى فاس ، وهذه الطريقة يشتهر أتباعها بالتزمت وشدة عداوتهم للوثنية ، وعدم انسجامهم مع الطريقة الأخرى ومع غيرها من الجماعات . ويقول بعض المعلقين : إن هذه الطرق صورة للكهنوت الوثنى ، الذى يتمسك بالكرامات وخوارق العادات ، وزيارة القبور وتقديس الأشخاص ، ولهذا فكر المستنيرون فى تنقية الدين من هذه الأمور الدخيلة ، وقصد بعضهم الجامع الأزهر من أجل التزود بالمعرفة الصحيحة ، ليستطيعوا الجهاد فى هذا الميدان .

والطابع الإسلامى يظهر بوضوح فى الإقليم الشمالى كما ذكرنا ، فهناك المساجد الواسعة ذات المنارات العالية ، التى تشتهر على الأخص بها مدينة « كانو » أكبر مدن الشمال ، وهى مركز تجارى هام للقوافل ، بناها المسلمون قبل ألف سنة .

وتقوم بالبلاد جمعيات إسلامية أهمها :

١ — جمعية أنصار الدين ، التى تأسست فى لاجوس سنة ١٩٢٣ ، وأنشأت سنة ١٩٣٢ مدرسة إسلامية ابتدائية ، وأصبح لها الآن ٨٠ مدرسة أخرى فى أقسام نيجيريا الثلاثة ، وتمكنت من إنشاء معهد ابتدائى لتخريج المدرسين المسلمين ، وهو داخلى كامل الاستعداد . غير أن العناية باللغة الانجليزية واضحة فى هذه المدارس .

٢ — جمعية أنوار الدين ، وهى تبعد عن لاجوس بنحو ٦٠ ميلا ، ولها مدارس ابتدائية وثانوية ، وتعنى باللغة العربية .

٣ — جمعية أعضاء المؤتمر الإسلامى ، التى أسسها سنة ١٩٤٥ الحاج محمد الأمين القديسى ، فى بلدة إيجابوا ودى ، وهى تبعد عن لاجوس بنحو ٤٠ ميلا ، ولها ٣٦٠ مدرسة .

وتتزعم النهضة النسائية هناك الحاجة نصرة حرم الحاج محمد الأمين القديسى وقد زارا مصر سنة ١٩٥٣ لبحث وسائل النهوض بالتعليم الدينى كما توجد جماعة القاديانية التى

ينحصر نشاطها فى العاصمة وهى تدرس اللغة العربية فى جميع مدارسها .

وفى البلاد أكثر من خمسين لغة ، ولكل قبيلة لغتها ولهجاتها الخاصة ، غير أن لغة الهاوسا تحظى بقدر كبير من الانتشار ، وبها كلمات عربية . واللغة العربية هى لغة العبادة بالطبع عند المسلمين ، وهى منتشرة فى الجزء الشمالى ، وتوجد كتب مؤلفة فى اللغة والدين . وأغلبهم يقرءون هذه الكتب ولكن لا يفهم معناها إلا القليلون . وهى اللغة الرسمية فى إمارات الفولا فى سوكوتو . وفى قبيلة « شووا » التى مازالت تعيش عيشة بدوية فى انتجاع مواقع المياه . توجد كلمات عربية فصيحة . وألفاظ قديمة هجرها العرب أنفسهم واللغة الانجليزية وهى لغة المستعمر منتشرة فى الأوساط المتعلمة . وبفضل البعوث الوافدة إلى الأزهر نشط كثير من الغيورين على الدين واللغة فى فتح مدارس لتعليم اللغة العربية ، وقاموا بنشاط كبير فى نشرها بين الأوساط المختلفة لتكون لغة التخاطب بين المسلمين .

والتعليم عامة فى البلاد متأخر ، غير أن المستوى الثقافى عال جدا فى القسم الغربى وذلك لاهتمام المستعمر بهم ونشاط المبشرين فيهم . والتعليم الدينى منتشر فى الشمال بحكم الأكثرية الإسلامية الموجودة هناك ، حيث توجد المدارس والكليات وخاصة فى مدينة كانو ومدينة زاريا ، ويوجد اهتمام عام بتثقيف المرأة وتدريبها على أداء واجبها الدينى والاجتماعى ، وذلك نتيجة لاقتراح العالم الإفريقى « جيمس أجرى » الذى يقول : عندما تعلم رجلا فإنك تعلم فردا ، ولكن عندما تعلم أما فإنك تعلم أسرة كاملة .

وتصدر فى لاجوس صحيفة إسلامية هى « الحقيقة » وهى الصحيفة الإسلامية الوحيدة التى تصدر فى هذه المناطق .

وكان المسلمون يأخذون علومهم عن علماء المغرب ، ثم اتجهوا إلى المؤلفات التى وضعها العلماء المحليون فى الفقه والتفسير واللغة ، أمثال كتب الشيخ عثمان الفودى وأخيه الشيخ عبد الله ، والشيخ تاج الدين الأدبى الألورى ، والحاج كمال الدين الأدبى . وقد حضر إلى الأزهر سنة ١٩٤٥ الشيخ آدم عبد الله الألورى ثم عاد إلى بلاده وفتح مدارس لتعليم اللغة والدين غير أنها محدودة النشاط لقلة مواردها المالية وعدم وجود المدرسين الأكفاء . وقد أوفد الأزهر سنة ١٩٥١ أحد علمائه الأجلاء ليدرس حالة المسلمين هناك من الوجهة الدينية والاجتماعية والثقافية ، ورفع تقريرا عن ذلك إلى المسئولين ، كان من أثره زيادة المبعوثين

الوافدين إلى الأزهر من هناك ، وكان عدد هؤلاء الطلاب ١٢ فى سنة ١٩٥٦ وسيكونون نواة النهضة الدينية فى بلادهم عندما يعودون إليها بعد إتمام دراستهم .

هذا - ولما كانت البلاد حديثة العهد بالاستقلال ، وهى تجتاز فترة هامة من تاريخها وتنقصها الكفايات اللازمة للنهضة الثقافية العامة والدينية بوجه خاص كان لابد من عمل شىء جدى نفيد به هذه المنطقة الحيوية التى تتجه إليها الأنظار .

ذلك أن المبشرين جادون فى التبشير الدينى والثقافى ليكسبوا الجولة فى الصراع العنيف الذى يدور حول الوثنيين الموجودين بين الشمال والجنوب فى منطقة هضاب باوتشى Baoutchi ليمنعوا تسرب الإسلام إليهم عن طريق الشمال وليحولوا اتجاههم نحو الغرب وقد قالوا فى تقرير لهم : « إن خميرة الإنجيل التى رفعت العجين فى الجنوب تبدأ عملها ، وهى لن تتوانى فى أداء مهمتها ، وقد بدأت دخولها إلى القبائل الوثنية فى الشمال ، وسيأتى زمن يكون فيه جميع أهالى نيجيريا قد تأثروا بخميرة الإنجيل حتى تكون أمة مسيحية » .

إن لهم منهجا فى التقرب إلى الوثنيين يقوم على السياسة التى نادى بها بريفييه Breivié فى كتابه « الإسلام ضد الوثنية فى السودان الفرنسى » سنة ١٩٢٣ ، وهى ترمى إلى تحبيب الوثنيين فى الوثنية ، وإظهارها لهم كنوع من الفلسفة والفكر الحر ، حتى يأنس الوثنى إليهم ، ولا توجد هوة بينه وبين الرجل الأبيض . وهذا يبين لنا بوضوح أن غاية التبشير ليست دينية بقدر ما هى سياسية استعمارية ولذلك نراهم يتغاضون عن تعدد الزوجات بين من يعتنق المسيحية من الوثنيين . ويبيحون لهم أن يسموا أولادهم بأسماء وثنية . وذلك كله خشية الإسلام الذى يندفع إليه الناس طواعية واختيارا ، وسيكون له المستقبل بإذن الله ، والله متم نوره ولو كره الكافرون .

عطية صقر

من علماء الأزهر الشريف

الأزهر في سير أعلامه

سيّد بن علي المرصفي

شيخ أساتذة الأدب وأعلام الفكر

للأستاذ محمد رجب البيومي

ما أظن أستاذاً من أساتذة الأزهر رزق الحظوة فى تلاميذه ، والنجابة فى أشباله ، كما رزقهما الأستاذان محمد عبده وسيد بن على المرصفى ، فقد كانت دروس الأستاذ الإمام فى تفسير كتاب الله حقلا خصيباً أنتج فى ميدان الإصلاح والتشريع أساتذة أعلاما حملوا الراية وتقدموا الركب ، وحسبك أن يكون منهم على سبيل المثال محمد مصطفى المراغى وعبد المجيد سليم ومحمد رشيد رضا ومصطفى عبد الرازق ، كما كانت دروس السيد المرصفى روضاً يانعاً آنى أكله الشهى فأنتج رياحين وأزاهر ذات عبق شذى ، ومنظر موفق ، وحسبك أن يذكر من أبنائه فى مجال الزعامة الفكرية ، والقيادة الأدبية مصطفى لطفى المنفلوطى وأحمد حسن الزيات وطه حسين وعبدالعزيز البشرى وعلى عبد الرازق وزكى مبارك ، وأن يذكر منهم فى مضمار التحقيق العلمى ونشر آثار السلف فى اللغة والدين محمود حسن الزناتى وأحمد محمد شاكر وحسن السندوبى ومحمد محى الدين عبد الحميد وأن يذكر منهم فى دنيا الصحافة والتحرير محمد الهيياوى وعبد الرحمن البرقوقى ومحمد إبراهيم هلال وفهيم قنديل ، أما الشعراء المجيدون من طلابه ، فأنت تعد منهم ولا تعدهم إذ تستطيع أن تختار على سبيل المثال حسن القاياتى وأحمد الزين وعلى الجارم وأحمد شفيع السيد وإبراهيم الدباغ ورمزى نظيم .

وأستاذ كالمرصفى يترك هذه المؤلفات الحية من الأفذاذ تنشر معارفه ، وتذيع هديه ، حقيق أن يكتب له فى سجل التاريخ الأدبى المعاصر ، صحيفة وضاءة تتألق سطورها بالزهو والاعتزاز .

لقد استطاع سيد بن على أن يعيد إلى القاهرة فى مطلع هذا القرن مجالس بغداد فى أسطع عصورها الزاهية ، فكنت تتخيله وقد عكف وحده بين زملائه الشيوخ على دراسة الأدب واللغة إماما كبيراً من صدور السلف كأبى عمرو وأبى عبيدة والأصمعى والخليل والمبرد فهو يروى الشعر الجزل ، ويناقش التركيب الناشز ، ويعالج اللفظ الغريب ، ويرد النسبة

المخطئة الى وضعها الصحيح ، ويناقش بعض ما اتفق عليه من قواعد الفقه والتصريف فى ثقة خارقة ، وعن بصر نفاذ ، ولعله كان أشبه أسلافه بأبى عمرو بن العلاء ويونس ابن حبيب ، فقد كانا يؤثران أدب العصر الجاهلى ويفضلانه ، وكذلك كان للمرصفى بهذا الأدب ولع مشغوف ، وصبابة حنانة . وإن كان تأخره الزمنى قد أتاح له من استيعاب المعارف المتشعبة فى مختلف فنون اللغـة وأبواب العلوم مالم يتيسر لهما من قبل ، فأينع درسه بكل شهى من ثمار المعرفة ، ورأى فيه طلاب اللغة والأدب مورداً عذب المشرع صافى النمير .

على أن ناحية العجب فى تاريخ الرجل أنه كان فذا غريبا بين لداته ، فقد كانت حلقات الشيوخ من حوله تبدئ وتعيد فى دراسة حواشى مستفيضة فى الشريعة وعلوم اللسان ، فلا تزيد على أن تعيد المكرور المألوف وتلوكه ، وأكثره قد تاه فى بحر من المؤاخذات اللفظية ، والاعتراضات السطحية . وتكلف الاحتمال البعيد ، وتعسف الرد الناشز ، أما دروس الأدب والشعر فلم يلم بهما غير الشيخ فى درسه ، وكان ينظر إلى زملائه فيدهشه هذا التكالب المزدحم على دراسة الخلاف اللفظى ، والتشقيق الفرضى ، ويروعه أن ينصرف العلماء عن أدب اللغة وآثار المتقدمين من الإخباريين والرواة ، وإنه ليعبر عن ذلك فيقول فى مقدمة كتابه « أسرار الحماسة » .

« وقد رأيت نفوس القوم مصروفة إلى تحقيق المسائل العلمية ، والمباحث العقلية والعليم عندهم من نظر إلى الاستدلال ، وأكثر طرق الاحتمال ، وولد مالا يولد ، وأوجد من الأفهام مالا يوجد ، ولو علموا ـ هداهم الله ـ ما علمناه من خصائص اللغة وأساليبها وما أودعت من لطائف الأسرار فى تراكيبها لهجروا تلك الكتب ذوات التنافر والتعقيد وغنموا لغة القرآن المجيد والحديث الحميد » .

وإن رائدا بطلا يناهض هذا التيار القوى فيقف فريدا بدرس الأدب واللغة موقف المزاحم المنافس حتى يجذب الأنظار إلى حلقته ويجمع الصفوة من الطلاب على مذهبه إن رائدا بطلا يفعل ذلك ، لجدير أن يطلق اسمه على إحدى قاعات المحاضرات بكليات الأزهر وأن ينشأ كرسى باسمه فى كلية اللغة العربية لدراسة آثاره ومنحاه وشروحه ، وأن تطبع مؤلفاته المخطوطة ليعلم الناس أى أديب فذ كان المرصفى ! ! رحمه الله ! .

لقد كانت كتب الأدب لعهد المرصفى أول هذا القرن بجفوة مهملة ، وكان أكثرها مخطوطا منسيا لايجد النور فى الحياة ، وبعض المطبوع منها على قلته ردىء الطبع ، سيء التحريف ، كثير التصحيف ، فعمد المرصفى إلى أكثرها صعوبة ، وأوعرها مركبا فأخذ

نفسه بدراستها دراسة ناقدة فاحصة ، فكان الكامل بين يديه يتم قصائده ، ويشرح عويصه ، ويتعرض لنسبة الأبيات ، ويترجم لصاحب الأثر ، ويشرح ما تركه المبرد دون إيضاح ، وكانت أمالي أبي علي القالي كذلك موضع اجتبائه ، يناقش لغوياتها المعماة ، ويعارض نصوصها المختلفة ، ويبحث في المخطوطات المتآكلة عما غاب من القصائد ، فيكمل ما نقص ، وقل مثل ذلك في حماسة أبي تمام وعقد ابن عبد ربه وأراجيز رؤبة والعجاج مما ترك أكثره مخطوطا في ظلمات النسيان ! !

حتى جعل الأدب في الأزهر ركنا متين الدعائم ، وكانت حالته به إذ ذاك مدهشة مذهلة ، يصفها الأستاذ عبد العزيز البشرى بالرسالة [1] فيقول :

« والأدب في ذلك الوقت أن تقول شعرا مقفى موزونا ، فإذا أعوزك العروض ، وعميت عليك أوزان الشعر ، فحسبك أن يكون المصراع في طول المصراع على شرط أن تتغزل ، فتتغزل كلما طلبت مديحا أو رثاء أو هجاء ، وكان الأدب يحمد من (المجاور) عند أشياخه إلا أن يسرف فيه ويجرد له صدرا من وقته ، فإنهم كانوا يكرهون ذلك منه ، لأنه في الواقع يشغله بقدر ما عن توفير الذهن على الدرس والاستذكار ، ويرون هذا منه آية على (عدم الفتوح) وحسبه في العام قصيدة يمدح بها شيخه يوم يختم الكتاب ، وقصيدة أو اثنتين يرثي بهما من يموت من علية العلماء ، فإذا أمكن الأستاذ المرصفي في هذا الوسط المعرض أن يجعل مؤلفات المبرد وأبي علي وأبي تمام وابن عبد ربه تجد مكانها بين حواشي الإسنوي والصبان والباجوري والسيوطي والعطار ، فذلك فضل كبير .

وأنت حين تحاول أن تدرس الخطوط الأولى لحياة الشيخ ، لا تجد ما تطمئن إليه مما كتب عنه أو تناقله تلاميذه . فجميع من حدثنهم عن نشأة الأستاذ العلمية يذكرون أنه تتلمذ في الأدب على السيد عبد الهادي نجا الإبياري أحد علماء الأزهر وأدبائه ، وأنه تأثر به تأثرا دفعه إلى الإكباب على دراسة آثار السلف المتقدم في اللغة والشعر ، وأنا شخصيا ـ وقد أكون مخطئا ـ لا أستطيع أن أقر ذلك ، إذ أن ما لدينا من إنتاج الأستاذ الإبياري شعرا ونثرا وتأليفا ، يخالف منهج المرصفي ومنحاه ، بل يقف منه موقف النقيض من النقيض ، فنثره مثقل بالبديع المستكره ، وشعره نمط من الطراز المملوكي في سطحيته وتكلفه ، وتآليفه ضرب من الثقافة الغابرة التي تفضل القشور على اللباب ، ويكفي أن تعرف أنه أصدر كتابا في مجلدين كبيرين جعله يدور على لغز ذهني في اسم الخديوي إسماعيل ، ثم استطرد فذكر فنونا من القول لا يجمعها في نطاق واحد

(١) الرسالة العدد ٦٩ سنة ١٩٣٤ .

غير التكلف والإرهاق ، وقد يكون الرجل معذوراً فيما يصنع ، لأنه يمثل ثقافة عهده واتجاه معاصريه ، ولكنه مع ذلك لا يمكن أن يتخرج على يديه أديب فحل مطبوع كالمرصفى العظيم ، وربما أكب الطالب على حلقات أستاذه فى طفولته الأدبية ، ثم بدا له أن يتحول عنها دون أن تترك أثرا ما فى اتجاهه وتسربه وكم من تلاميذ شافهوا بعض الأساتذة دون أن ينتفعوا بمذهبهم فى الرأى ، ونظراتهم للعلم ، وقد هدانى الرأى المتئد إلى أن أميل إلى أن الأستاذ حسين المرصفى الأول صاحب (الوسيلة الأدبية) هو أستاذ المرصفى الثانى وملهمه، فصاحب الوسيلة قد شذ على متعارف جيله ، ورجع بالشعر إلى أخصب عصوره فى الأدب العباسى، وعلى يديه تخرج البارودى شاعراً فحل التركيب ناصع العبارة ، رائع البيان ، والرجلان بعد من قرية واحدة ، وللكبير مكانة لدى الصغير فلا بد أن تكون الوسيلة الأدبية قد هدت صاحب رغبة الآمل إلى معين لا ينضب من البيان ، فبحث عن الأدب اللباب مما حوته بادئا ، ثم تخطى العصر العباسى إلى عصرى الجاهلية وصدر الإسلام فذهبا بإعجابه كل مذهب ، وطفق يبحث عما ضم أدبهما من الكتب ، فقرأ القديم من آثار الجاحظ والمبرد وابن قتيبة وأبى الفرج ، وتخرج وحده على هذه الآثار السلفية أديبا فحلا ، وناقدا لا يشق له غبار ، على أن هذا الهيام الكلف بكتب اللغة والأدب لم يمنعه أن يدرس حواشى الشريعة والأصول ويلم بالنحو والصرف إلمام من يدرك القاعدة العلمية إدراك الناقد المتفرس ، ونظرة منصفه إلى شرح الكامل تدل على ثقافة الرجل وإحاطته، فهو يناقش سيبويه والمبرد وابن جنى والمازنى والخليل فى دقائق غامضة من قواعد النحو والتصريف ، فيناهض دليلا بدليل ، وقاعدة بقاعدة حتى ليخيل إلى القارىء أن الرجل صاحب نحو فقط ، وليس أديبا جامعاً يأخذ من كل فن بجوهره الأصيل .

وإذا كنت لم أقف على ترجمة دقيقة لتاريخ الأستاذ ، تأخذ بيدنا فى تحديد مركزه الأدبى فى تاريخ الثقافة المعاصرة ، فإن ما ذكره تلاميذه الكثيرون عنه ، فى نبذ سريعة ، وشذرات موجزة تكفى لأن تصور ملامحه إذا جمع بعضها إلى بعض ، وهى بعد أقوال مخلصة لم تدفع بها رغبة مغرضة فى تملق إنسان ، إذ كتب أكثرها بعد وفاة الشيخ من ناحية ، وبعد أن أصبح المتحدث فى منزلة أدبية تجعله فوق الملق الرخيص من ناحية ثانية ، على أننا لا نستطيع أن نسرد جميع ما قيل وإنما نكتفى بالبعض عن الجميع ...

فالدكتور طه حسين يحدد مكانة أستاذه بين نقاد اللغة وأساتذة الأدب فى عصره فيقول فى كتابه « تجديد ذكرى أبى العلاء » :

أستاذنا الجليل سيد بن على المرصفى أصح من عرفت بمصر فقها فى اللغة ، وأسلمهم ذوقا فى النقد ، وأصدقهم رأيا فى الأدب ، وأكثرهم رواية للشعر ولا سيما شعر الجاهلية وصدر الإسلام » .

ويعود الدكتور إلى الحديث عن منهجه الأدبى فى مقدمة كتابه « الأدب الجاهلى » فيقول «ومذهب القدماء ما كان يمثله الأستاذ الشيخ سيد المرصفى حين كان يفسر لتلاميذه فى الأزهر ديوان الحماسة لأبى تمام ، أوكتاب الكامل للمبرد ، أو كتاب الأمالى لأبى على القالى ، ينحو فى هذا التفسير مذهب اللغويين النقاد من قدماء المسلمين بالبصرة والكوفة وبغداد مع ميل شديد إلى النقد والغريب ، وانصراف شديد عن النحو والصرف وما ألف الأزهريون من علوم البلاغة .

وكلام الدكتور عن أستاذه يتفق مع حديث الأستاذ أحمد حسن الزيات عنه إذ يقول (١) «كان أستاذنا المرصفى يطبعنا فى النظم : على غرار الحماسة ، وفى النثر على غرار الكامل ، ويزين لنا أن ننظم معلقة كطرفة أو ننشئ خبراً كأبى عبيدة » .

فشهادة هذين الأديبين الكبيرين تؤكد أن الرجل كان مولعا بالشعر الجاهلى وشعر صدر الإسلام ، كلفا بالغريب من القول والعويص من التراكيب ، متجها إلى الذخائر السلفية العريقة فى شرحه وتفسيره ، وإن كنا نقف قليلا عندما قاله الدكتور طه حسين بصدد انصرافه الشديد عن مباحث النحو والصرف لأن ما لدينا من شرحه للكامل ، وهو فى مجموعه صورة أمينة لما ألقى فى حلقات دراسته ، لا يؤكد هذا الانصراف الشديد ، فللمرصفى مع أعلام النحاة والصرفيين مواقف كثيرة تدل على الميل المقتصد لا على الانصراف العازف ، ولكنه لم يتخذ الحديث النحوى مجالا للمماحكة اللفظية والغرض الجدلى ، بما امتلأت به حواشى المتأخرين ، واتجه إليه زملاؤه من الأزهريين ، بل نهج منهج الكسائى وسيبويه والمبرد فى التصدى إلى الجوهر دون العرض ، أما طريقته البارعة فى إنشاء الشعر ، وشرح الغريب ، فقد ألمع إليها تلميذه الأستاذ محمود محمد شاكر حين قال عن أستاذه (١) .

« وكان الشيخ حسن التقسيم للشعر حين يقرؤه ، فيقف حين ينبغى الوقوف ، ويمضى حيث تتصل المعانى فإذا سمعت الشعر وهو يقرؤه فهمته على ما فيه من غريب أو غموض أو تقديم أو تأخير أو اعتراض فكأنه يمثله لك تمثيلا لا تحتاج بعده إلى شرح أو توقيف وكان فى صوت الشيخ معنى عجيب من الثقة

(١) الرسالة العدد ٤٠ سنة ١٩٣٤ .

(١) الرسالة العدد ٦٩٦ .

والاقتدار ، وفى نبراته حين ينشد الشعر معنى الفهم للذى يتلوه عليك ، فلا تكاد تخطئ المعانى التى ينطوى عليها ، لأنها عندئذ ممثلة لك فى صوته » .

فإذا أردت بعد ذلك أن تعرف كلف طلابه بدرسه ، فإليك ما حدثنا به عنه أستاذنا الكبير أحمد شفيع السيد فى إحدى محاضراته بكلية اللغة العربية ، حين جاء ذكر المرصفى فأفاض فى تعداد مواهبه ، وكان مما قال ـ معنى لا لفظا ـ :

« إن درس الشيخ كان لا ينتهى بالأزهر حتى يبتدئ فى منزله ، لأن أفواج الطلاب كانوا يتزاحمون على المسير معه فى الطريق إذا نهض إلى بيته ، فإذا أتاه دخل معه نجباء أبنائه فأخذوا تحيتهم العاجلة ، وظلوا وإياه فى سمر أدبى مشبع بالحب والاعتزاز ، وكانت الكتب الأدبية تتراءى فى حجرة الشيخ مركومة متراصة عن يمين وشمال ، يقرأ فيها الطلاب كما يشاءون ، ويستعيرون ما يريدون فى شغف نهم وإقبال ودود » .

هذه نصوص مختلفة للأجلاء من تلاميذه المختارين ، وأظنها ترسم صورة واضحة من منهجه وخلقه ، وقد أبدع الدكتور زكى مبارك إبداعا موفقا حين لخص ريادته الأدبية ، وقيادته العلمية ، فى مواقف محدودة ، فجاءت كلماته الصائبة فى إيجازها الشامل لسان صدق وميزان تقويم فهو يقول : عن [illegible] فى اعتزاز [1] .

« كان الشيخ المرصفى أول رجل تسامى إلى نقد مؤلفات الأكابر من القدماء ، وكان أول رجل أقر كرسى الأدب بالأزهر الشريف وكان أول رجل جعل للأديب مكانة بين جماعة كبار العلماء . فكان بتلك الصفات أوحد عصره بلا جدال » .

وتسامى الأستاذ رحمه الله إلى نقد مؤلفات الأكابر من القدماء كان حدثا غريبا فى بابه ، إذ أن زملاءه حينئذ كانوا يتعبدون بأقوال السلف من أولى العلم ، فإذا اضطر أحدهم إلى مخالفة مؤلف سابق جعل يتلمس له المعاذير ، فى وجل وهيبة ، وكأنه يركب مطية ناشزة ، لا تؤمن معها حياة ، فجاء السيد المرصفى ليحاسب المبرد وأبا تمام وأبا على وابن عبد ربه محاسبة قوية مفحمة فهو فى شروحه المتتابعة للكامل والحماسة والأمالى والعقد [2] كان صلب المراس قوى المؤاخذة ، شديد العناد ، مما دفع ببعض المتسرعين من الأساتذة إلى وصف الرجل بالغرور والادعاء ! ! وإذا كان أكثر هذه الشروح الرائعة لا يزال مطمورا فى دفائنه الخطية ، فإننا نأمل أن

(١) الرسالة العدد ٣٩٨ .

(٢) كان المرصفى يسميه « العقد » بضم العين وفتح القاف

يرى النور إذا فطنت إليه لجنة إحياء التراث القديم فى وزارة الثقافة والإرشاد، وحسبنا اليوم أن نحكم على صنيعه بالمبرد فى الكامل فهو الوثيقة الميسرة للباحثين . وبه يتضح الحكم عن حيدة وإنصاف .

لقد اعترف السيد المرصفى فى مقدمة الجزء الأول من شرحه الكبير أنه لم يجعل من رغبة الآمل شرحا تفسيريا لنصوص الكامل فقط بل اهتم « ببيان ما حاد فيه أبو العباس عن سنن الصواب من خطأ فى الرواية ، وخطل فى الدراية ، إذ كان المبرد يعتمد كثيرا فى لفظه على جودة حفظه ، فربما نزع فى غير فزاع عن القصد سهمه ، أو صعد فى الأدب مرتقى زلت به إلى الحضيض قدمه[(1)] » .

فهو إذن يجعل من همه الأصيل بادئ ذى بدء أن يكشف عن أخطاء المبرد ، معتقدا أن صنيعه هذا أمر محتوم توجبه الدراسة الناقدة والنظرة الفاحصة ، ولو كان الشارح قد سجل على المبرد سقطاته، وستر محاسنه ، لقلنا : إنه متحيز متعالٍ ! ! ولكن المرصفى ينصفه من خصومه تارة ، وينصف الحق منه تارة أخرى، وإذا كان لنا أن نميل عليه فى شىء فإننا نؤاخذه على قسوة العبارة فى كثير من التعليقات، فقد كان من اللائق أن يطرد النقاش فى هدوء العالم ، وسماحة الحليم ! ! .

على أن المسأله نفسية قبل كل شىء ، فقد يكون المرصفى إذ يكتب بعض التعليقات هادئ الخاطر مستريح البال من بعض هواجسه « فيقابل الخطأ الكبير من المبرد بكثير من التسامح ، فلا يزيد على أن يقول : غلط أبو العباس ، أوسها أبو العباس ، وقد يكون ضائق الصدر لبعض المحرجات من شئون الحياة فيضيق صدره لأدنى سهو ، ويهاجم الخطأ اليسير مهاجمة قاسية ، فإذا نسب المبرد بيتا من الشعر لغير قائله ، قال المرصفى فى غلظة : كذب المبرد[(1)] ، وإذا بدل سهوا كلمة مكان كلمة قال المرصفى فى قسوة : هـذا خلط وجهالة [(2)] ، وإذا رأى الناقد قولا فى اللغة ينفرد به صاحب الكامل رده وقال هـذا مما انفرد به [(3)] ! ! ولست مع المرصفى فى ذلك إذ أن من حفظ حجة على من لم يحفظ ، وقد يكون أبو العباس مطلعا على مالم نطلع عليه مما غابت دفائنه،وانقطعت روايته ، وأولى بالناقد أن ينظر إليه كراوية صدوق ، على أن نقد الناقد فى أكثر مناحيه يرجع إلى ذوق شخصى قبل أن يرجع إلى وضع منهجى ، وقد أدركنا من قراءة الكامل

(1) رغبة الآمل جـ ١ ص ٣٨ .

(1) رغبة الآمل جـ ٣ ص ١٩٦ وغيرها .
(2) رغبة الآمل جـ ٢ ص ٢٣٥ وغيرها .
(3) رغبة الآمل جـ ٢ ص ١٨٣ وغيرها .

وشرحه سعة علم المبرد وكثرة محفوظه كما لمسنا دقة فهم المرصفى ، ورقة ذوقه ، ومن هنا اتسع المجال أمام الشارح للرد والمؤاخذة ، فقد جعل يوازن بين الروايتين ، ويفاضل بين النصين ، فيهديه ذوقه إلى ما يرفض به رواية صاحبه عن ثقة واطمئنان . فإذا روى المبرد ـ مثلا ـ قول الشاعر فى هجاء الحجاج[1]

أينسى كليب زمان الهزال
وتعليمه سورة الكوثر

قال المرصفى : هذا خطأ والصواب رواية ياقوت فى معجم البلدان ، وتعليمه صبية الكوثر ، والكوثر قرية بالطائف كان الحجاج معلم صبيانها ، والحق مع المرصفى ، لأن معلم القرآن الكريم لا يعلم سورة الكوثر فقط بل يعلم غيرها ، فلا وجه لتخصيصها بالذكر دون حادثة معينة يظن أن الشاعر قد اطلع إليها ، أما رواية صبية الكوثر فمنزهة عن الاعتراض ...

وإذا روى المبرد ـ ثانيا ـ قول القائل[2]

فيا بعل سلمى كم وكم بأذاتها
عدمتك من بعل تطيل أذاتى
بنفسى حبيب حال بابك دونه
تقطع نفسى دونه حسرات

والله لولا أن يساء لرعتها
بما ليس بالمأمون من فتكاتى

قال المرصفى مهتديا بذوقه السليم ، الرواية لولا أن تساء لرُعته ، وهذا حق ، لأنه يقصد ترويع الزوج وإفزاعه ، ويحرص على سلمى وهدوئها الأمين .

وقد يكون للفظ اللغوى معان مختلفة ، فيفهمه المبرد فى سياق خاص على غير وجهه ، ولكن ذوق المبرد من ورائه يشير إلى الخطأ فى بصيرة نفاذة وفهم عميق ، فقد ذكر المبرد مثلا قول الشاعر[1] .

منعمة بيضاء لو دب محول
على جلدها بضت مدارجه دما

لجمله شاهدا على أن بضت مأخوذة من بض يبض بضاضة بالفتح والكسر فى المضارع إذا رق لونه وصفا ، ورآه المرصفى من بض يبض بالكسر فقط إذا ترشح من صخر أو حجر والمصدر البض والبضيض لا البضاضة بمعناها الأول كما فهم المبرد ، وتلك لعمرى دقة بالغة فى الفهم تدعو إلى الاحترام النزيه ولها نظائر وأشباه[2] .

أما إنصافه للمبرد ورده على خصومه ، فقد تكرر كثيرا فى صفحات الكتاب[3] ، وهو

(البقية على صفحة ٧٥٢)

---

(١) رغبة الآمل جـ ٥ ص ٢٨ .
(٢) رغبة الآمل جـ ٢ ص ٥١ .

(١) رغبة الآمل جـ ٢ ص ٤٢ .
(٢) رغبة الآمل جـ ١ ص ٨٧ وغيرها .
(٣) جـ ١ ص ١٤٨ ، ٢١٧ ..

الخدمات الاجتماعية لطلاب العلم فى الإسلام

للأستاذ حسن عبد العزيز نصر

إن المسلمين سبقوا غيرهم من الأمم فى تقديم الخدمات الاجتماعيـــة لطلاب العلم والمعلمين ، وكان التعليم عندهم ركناً هاماً من أركان الحضارة ، وذلك لما جاء فى القرآن الكريم والحديث الشريف من الحث على تعلم العلم وتعليمه فأول ما أنزل من القرآن هو الأمر بالقراءة ، التى هى أساس التعلم ، وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ نصب نفسه معلماً . لكى يقتدى به المسلمون فى نشر العلوم والمعارف بين الناس . فقد جاء عنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه « مر فى مجلسين ، أحد المجلسين يدعون الله ، ويرغبون إليه ، والآخر يتعلمون العلم ويعلمونه ، فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ كلا المجلسين على خير ، وأحدهما أفضل من صاحبه ، أما هؤلاء فيدعون الله ويرغبون إليه ، فإن شاء أعطاهم وإن شاء منعهم ، وأما هؤلاء فيتعلمون ويعلمون الجاهل ، وإنما بعثت معلماً . ثم أقبل فجلس معهم » كما أنه جعل « طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة » .

ومن واجب العلماء أن يقوموا بنشر العلم وأن يشوقوا إليه ، ويدعوا الأخذ عنهم وهو أفضل أنواع الجهاد « جاء رجل إلى ابن عباس فسأله عن الجهاد ، فقال له ألا أدلك على خير من الجهاد ؟ ؟ تبنى مسجداً وتعلم فيه الفرائض والسنة والفقه فى الدين » . وأى جهاد أفضل من جهاد الجهل ، وأفضل عبادة طلب العلم « لأن تغدوا فتعلم باباً من العلم ، خير لك من أن تصلى مائة ركعة وإن تعلمه خشية ، وطلبه عبادة ، ومدارسته تسبيح ، والبحث عنه جهاد ، وتعليمه من لا يعلمه صدقة ، وهو منار سبيل الجنة ...

وعلى هذا نجد المسلمين يتسابقون فى نشر العلوم ، فطلبوها من المهد إلى اللحد ، وبنوا لها المؤسسات المختلفة ، وفتحوا أبوابها للقاصدين وأوقفوا أنفسهم الراغبين.

وأول هذه المؤسسات « هو الكتاب » .

وأول من أمر ببناء الكتاتيب هو عمر ابن الخطاب ـــ ولم تكن معلومة عندهم قبله

وجمع بها أولاد المسلمين ، وعين لهم معلمين يعلمونهم ، وفرض المعلمين والمتعلمين لكى ينصرفوا إلى دروسهم كما فرض للقراء ، وفرض للناس على تعلم القرآن ، فكان الفاروق أول من فرض للمعلمين والمتعلمين .

وإن بعض الخلفاء من اهتم بتعليم البدو فقد أرسل عمر بن عبد العزيز المعلمين إلى البدو ، يعلمونهم القراءة وأمور دينهم ، وفرض لهم على هذا .

وفى العصر العباسى تنوعت الكتاتيب ، فكان منها كتاتيب خاصة بتعليم اليتامى والمعوزين ، الذين لا يجدون ما ينفقون على أنفسهم فكان الخلفاء والأمراء وأهل الإحسان يبنون هذه الكتاتيب ، ويعينون لها المعلمين ، ويجعلونها عامة لكل قاصد وكانت تسمى « مكاتب السبيل » .

وأول كُتّاب للأيتام وقفنا على ذكره هو الذى بناه يحي البرمكى (المتوفى سنة ١٩٠هـ) ثم كثرت هذه المكاتب فى المدن ، حتى لم تكن تخلو منها مدينة .

وكان بعضهم يبنى كتاباً للأيتام ، ويوقف له أوقافا كثيرة ، تصرف على الذين يتعلمون به . كما فعل شمس الدين بن نظام الملك ، فإنه بنى مكتباً للأيتام ، وأوقف عليه وقوفا مستمرة الجدوى والكسوة والطعام . وتعليم الآداب ، وحفظ القرآن ، ومعرفة الحلال والحرام ، فالطلاب مكفولون به إلى أن يبلغوا الحلم ، وبنى بجانب المدرسة الحجازية - بالقاهرة - مكتباً للسبيل ، فيه عدة من أيتام المسلمين ولهم مؤدب يعلم القرآن الكريم ، ويجرى عليهم فى كل يوم لكل منهم ، من الخبز خمسة أرغفة ، ومبلغاً من الفلوس ، ويقام لكل منهم بكسوتى الشتاء والصيف ، وجعلت على هذه الجهات عدة أوقاف جليلة .

وكانوا كثيراً ما يبنون مكاتب السبيل بجانب المدارس ، حتى إذا أتم الطالب تحصيله فى المكتب ، فإنه يلتحق بالمدرسة ، وله الجراية المستمرة . ومن ذلك أن مجاهد الدين قيماز الرومى (المتوفى سنة ٥٩٥هـ) بنى مكتباً الأيتام فى الموصل بجانب مدرسته التى أنشأها على دجلة . وبنى القاضى الفاضل (المتوفى سنة ٥٩٦ هـ) مكتباً الأيتام بجانب مدرسته الفاضلية ، وبنى غيرها كثير ، خاصة فى القاهرة فإننا قلما نجد أحداً يبنى مدرسة إلا ويبنى بجانبها مكتب سبيل .

ولم تكن هذه المكاتب صغيرة ، فإن بعضها كان يتعلم به مئات الطلاب المعوزين ، أو الذين فقدوا آباءهم ، ولكنهم لم يعدموا من يتولى أمرهم ويحنو عليهم ، ويتعهد تربيتهم وتعليمهم . فقد (سقطت المنارة التى على باب مدرسة السلطان حسن فى القاهرة ، فهلك نحو ثلثمائة نفس من الأيتام الذين كانوا

رتبوا بمكتب السبيل ومن غيرهم) فإذا كان من هلك تحت المنارة ثلثمائة نفس ، فكم كان يحوى هذا المكتب ؟ .

هذا بعض ما وقفنا عليه من أمر التسهيلات التى قدمها المسلمون فى نشر التعليم الابتدائى .

أما الدراسة العالية : فكان لها معاهد مختلفة ، يجد فيها الطالب من التسهيلات ما يساعده على طلب العلم .

فكانت حلقات الفقه والحديث والأدب والسير والتفسير والنحو والفلسفة والطب والأخبار منتشرة فى المساجد ، يتصدر الحلقة شيخ ، يلتف حوله من يريد الأخذ عنه ، وهى عامة لكل قاصد ، وربما تعددت الحلقات فى المسجد الواحد - ليلا ونهاراً - وقد أحصى المقدسى حلقات العلم فى المسجد الجامع بالقاهرة وقت العشاء ، فإذا هى مائة حلقة وعشر حلقات .

وبجانب هذا نجد المسلمين يشيدون المعاهد العلمية المختلفة كدور الحكمة ، ودور العلم ، ودور الكتب ، وفتحوا أبوابها للقاصدين ، ويسروا لهم أمر الدرس والبحث والنسخ .

أما دور الحكمة : فكانت مفتوحة للعلماء وطلابهم ، وهى مؤسسات للثقافة العالية وأشبه ما تكون بالأكاديميات فى هذه الأيام يشرف عليها أجل العلماء والفلاسفة والأطباء والأدباء ، الذين هم على جانب كبير من العلم والثقافة . يقصدها الطلاب فيجدون فيها الكتب النادرة من طبية وفلسفية ورياضيات ومنطق وحكمة وآداب وعلوم مختلفة ، وهى بعدة لغات : العربية والفارسية واليونانية والحبشية والأرمية والعبرية وغيرها ، والدار مفتوحة لمن شاء النسخ أو المطالعة أو الترجمة أو الأخذ عن العلماء والفلاسفة الذين هم فى الدار ، وفيها من لوازم الكتابة من أقلام ومحابر وورق وكل ما يحتاجه طلاب العلم .

كل هذا نجده فى دار الحكمة التى أسسها الرشيد فى بغداد ، ثم وسعها المأمون ، حتى صارت من معاهد الثقافة العالية المعدودة فى العالم .

ولم تكن هذه الدار هى الوحيدة ، بل كان منها عدة دور فى العالم الإسلامى ، وهى عامة لمن يقصدها ، بل إن بعضها كان ينفق على من يرتادها ، فكان لعلى بن يحي المنجم (٢١١ - ٢٧٥ ه) من نواحى القفص ضيعة نفيسة ، وقصر جليل ، فيه خزانة كتب عظيمة يسميها خزانة الحكمة ، يقصدها الناس من كل بلد ، فيقيمون فيها ، ويتعلمون منها صنوف العلم ، والكتب مبذولة فى ذلك لهم والصيانة مشتملة عليهم ، والنفقة فى ذلك من مال على بن يحي .

وكان فى مدينة طرابلس دار حكمة ، وفى القاهرة دار حكمة أخرى ، وفيها من الحبر والأقلام والمحابر والورق وكل ما يحتاجه من

يقصدها ، كما كان للأغالبة دار حكمة أخرى .

أما دور العلم : فهى مؤسسات ثقافية عامة مفتوحة لطلاب العلم وغيرهم . وفيها كتب منوعة . ويتولاها شيوخ علماء ، وقلما تخلو الدار من طلاب يطالعون فيها ، أو ينسخون عن كتبها ، أو يأخذون عن شيوخها - كل هذا بلا أجر - .

كانت دور العلم كثيرة فى البلاد الإسلامية وتجد فى بعض المدن الكبيرة عدة دور منها ، كما كان فى بغداد والقاهرة .

وأقدم دار علم هى التى أسسها « جعفر ابن محمد بن حمدان الموصلى (٢٤٠-٣٢٣هـ) فى الموصل ، وجعل فيها كتباً من جميع العلوم وقفاً على كل طالب للعلم ، لا يمنع أحد من دخولها إذا جاءها ، وإن كان معسراً أعطاه ورقا وورقا ، تفتح كل يوم ، ويجلس فيها إذا عاد من ركوبه ، ويجتمع إليه الناس ، فيملى عليهم من شعره وشعر غيره » .

وكان فى بعض دور العلم مساكن للطلاب ولهم من الجرايات والأرزاق ما يكفيهم ، ومنها أن القاضى أبا حيان المتوفى سنة ٣٥٤هـ بنى فى مدينة نيسابور داراً للعلم ، وخزانة كتب ، ومساكن للغرباء الذين يطلبون العلم وأجرى لهم الأرزاق » .

وشاركت المكتبات العامة التى كانت منتشرة فى بلاد الإسلام - فى نشر الثقافة وتيسير العلم للطلاب فهى مفتوحة لمن يريد الاستفادة ، على أن بعضهم كان يجرى على من يقصدها من المحتاجين والمعوزين . فأنشأ أبو على سوّار الكاتب (المتوفى سنة ٣٧٢هـ) - وهو أحد رجال عضد الدولة البويهيين - دار كتب فى مدينة (رام هرمز) على شاطىء بحر فارس ، كما بنى دار كتب أخرى بالبصرة وجعل فيها إجراءاً على من قصدها ولزم القراءة والنسخ بها .

ويضيق بنا البحث عن تعداد ما كان من دور الحكمة والعلم والكتب فى بلاد الإسلام والتى كانت تسهل نشر العلوم والمعارف بين سائر الطبقات .

ونجد بجانب هذه المؤسسات ما كان يغدقه الخلفاء وأهل الخير والمعروف على أهل العلم - العالم والمتعلم - ومن ذلك :

كتب الرشيد إلى الأمصار كلها - إلى أمراء الأجناد - أما بعد : فانظروا من التزم الآذان عندكم فاكتبوه فى ألف من العطاء ، ومن جمع القرآن وأقبل على طلب العلم ، وعمر مجالس العلم ، ومقاعد الأدب ، فاكتبوه فى ألفى دينار من العطاء ، ومن جمع القرآن وروى الحديث وتفقه فى العلم واستبحر فاكتبوه فى أربعة آلاف دينار من العطاء ، وليكن ذلك بامتحان الرجال السابقين لهذا الأمر المعروفين به من علماء عصركم وفضلاء دهركم ، فاسمعوا قولهم ، وأطيعوا أمرهم .

وكان ابن الفرات (٢٤١ - ٣١٢ هـ) وزير المقتدر العباسي ، يجري على خمسة آلاف من أهل العلم والدين والبيوت والفقراء ، أكثرهم مائة دينار في المشهد ، وأقلهم خمسة دراهم وما بين ذلك :

ولما أراد الخليفة المعتضد بالله العباسي (٢٠٩ - ٢٨٩ هـ) بناء قصره في (الشماسية) ببغداد ، استزاد في الذرع بعد أن فرغ من تقدير ما أراد ، فسئل عن ذلك ، فذكر أنه يريده ليبني فيه دوراً ومساكن ومقاصير ، ترتب في كل موضع رؤساء كل صناعة ومذهب من مذاهب العلوم النظرية والعملية . ويجرى عليهم الأرزاق السنية ، ليقصد كل من اختار علماً أو صناعة رئيس ما يختاره . فيأخذ عنه .

هذا ما كان في بغداد — إحدى حواضر الإسلام — أما في القاهرة فإن الأمير طولون اشترى محلة بأسرها وأوقفها على مسجد وعلى من ينزل به من الغرباء وأهل الفضل وطلبة العلم ، نفقة لهم ، حتى لا تختل أمورهم ، ولا يصيبهم من الخلل . كان هذا في أواخر القرن الثالث الهجري .

واشترى العزيز بالله الخليفة الفاطمي سنة ٣٧٨ هـ داراً إلى جانب الجامع الأزهر ، وجعلها لخمس وثلاثين من العلماء ، وكان هؤلاء يعقدون مجالسهم العلمية بالمسجد في يوم الجمعة بعد الصلاة حتى صلاة العصر .

وكان الوزير « ابن كلس » يحب أهل العلم والأدب ويقربهم ، وكان يجري بأمر الله ألف دينار في كل شهر على جماعة من أهل العلم والوراقين والمجلدين ـ هذا بعض ما كان يجريه على أهل العلم .

على أن هذه الإجراءات والتسهيلات والمؤسسات التي بيناها ، وإن كانت كثيرة ومتيسرة في كثير من المدن فإننا لا يمكننا أن نطلق عليها (التأمين الاجتماعي) بالمعنى الذي يفهم في هذه الأيام ، ولكن الأمور السالفة ساعدت على نشر العلوم في بلاد الإسلام ـ في الوقت الذي لا نجد لها مثيلا عند الأمم الأخرى .

وإن التأمين الاجتماعي بالمعنى الحقيقي كان في القرن الخامس الهجري ، وذلك على إثر تأسيس المدارس ، وانتشارها في البلاد الإسلامية ، فكان للمدارس من الوقوف المستمرة ما تكفل للطالب تأمين مسكنه وطعامه وكسوته وما يحتاجه من كتب ولوازم . ففي المدرسة غرف لمبيت الطلاب الغرباء والمعوزين . ولهم جرايات مستمرة من وقوف المدرسة تكفل لهم كافة ضرورياتهم مدة الدراسة .

وأول من كان له الفضل في هذا التنظيم الدقيق هو الوزير « نظام الملك » (٤٠٨ - ٤٨٥ هـ) الموافق (١٠١٧ - ١٠٩٢ م) فإنه

بنى المدارس فى كثير من البلاد الإسلامية ، وأوقف لكل مدرسة ما يلزم لإدامة عمارتها وأثاثها ، وما يحتاجه الطلاب من السكن والكتب والطعام والجرايات الوافرة التى تعينهم على مداومة الدرس .

عرفت هذه المدارس « بالنظامية » وأول مدرسة بناها نظام الملك هى التى كانت فى بغداد فتحت سنة ٤٥٩هـ الموافق (سنة ١٠٦٦ م) ثم بنى غيرها فى كثير من البلاد « فلم يخل منها بلد ،حتى (جزيرة ابن عمر) التى هى بزاوية من الأرض لا يؤبه لها بنى بها مدرسة كبيرة حسنة » .

وبعد هذا نرى الخلفاء والملوك وأهل الإحسان يتسابقون فى بناء معاهد العلم المختلفة ، من مدارس ودور حديث ودور قرآن وزوايا ، وكانوا يوقفون لكل معهد ما يكفى لصيانته وإدامته . والنفقة التامة على طلاب العلم والمدرسين الذين يتولون التدريس فيه ، فكثرت المؤسسات العلمية فى سائر البلاد الإسلامية حتى صار فى بعض المدن منها ، ما يعد بالعشرات .

وإن بعضهم كان يبنى عدة معاهد فى المدن المختلفة كما فعل نور الدين محمود زنكى (٥١١ - ٥٦٦ هـ) فإنه بنى مدارس ودور حديث ودور قرآن ومكاتب سبيل فى بلاد الشام والجزيرة ومصر والعراق - وكذا صلاح الدين الأيوبى (٥٣٢ - ٥٨٩ هـ) فإنه بنى معاهد مختلفة فى القدس ومصر والشام ، وأوقف لها أوقافا كثيرة ، فكانت بلاد الإسلام عامرة بمدارسها المختلفة بفضل ما بناه أهل الخير ومحبى العلم - حتى أقصى البلاد الإسلامية ، فذكر ابن بطوطة أنه عندما وصل (مقدشو) أمر السلطان أن ينزل (بدار الطلبة) وهى معدة لضيافة الطلبة وذكر عن بلاد (اللور) أن السلطان أحمد عمر ببلاده أربعمائة وستين (زاوية ومدرسة) وأنه قسم خراج بلاده أثلاثا ، فثلث منه لنفقة المدارس والزوايا والثلث منه لمرتب العساكر ، والثلث لنفقته ونفقة عياله .

وكان فى الموصل سنة ٦٥٦ هـ (٢٨) مدرسة ، و (١٨) داراً للحديث ، و (٢٧) زاوية ، سوى المكاتب ودور القرآن .

(البقية فى العدد القادم)

حسن عبد العزيز نصر

الفقه والقضاء

للأستاذ عباس طه

الفقه فى كل عصر وجيل نقطة ارتكاز يرتكز عليها القضاء فى ممارسة ما يعرض له من أقضية وما يتصل به من ملابسات تجعله خاضعا للون من ألوان عصره ، وزمانه وقد مكن للقاضى فيما وراء ذلك ، ففى عنقه أمانة كبرى هى استنباط العظات والعبر من تجاربه مضافة إلى قوة ممارسته للأحداث والواقعات فيما يصدر عنه من أحكام ، فليس القاضى سوى رجل مطالب بأن يجمع بين الاعتبارات والتطورات حسبما تمليه وقائع كل عصر وكل زمن ما دام يستند إلى أصل شرعى ، ثم لا عليه بعد ذلك أن يخطىء إذا كان مرد خطئه الاستنباط البرىء والاستناد إلى أصل شرعى .

يحكى الإمام الجاحظ فى كتابه « البيان والتبيين » أن عمر وهو الذى ولى أبا موسى الأشعرى القضاء ترامت إليه الأنباء بأن أبا موسى يصدر فى أحيان قضاءه وهو منحرف عن الحجة وقد أعوزته الحجة فكتب إليه عمر يقول له : يا أبا موسى بلغنى أنك وأنت على دين موفور وعقل راجح وبديهة مخصبة يضل بك المسلك عن إصابة الحجة فلا عليك من ذلك شىء مادمت قد أخلصت لله فى ترسمك مواقع الصواب وتحريك مدراج العلم واتهاجك منهج أسلافنا الصالحين يا أبا موسى :

إن القضاة إن أرادوا عدلا
وفصلوا بين الخصوم فصلا
فزحزحوا فى الحكم منهم جهلا
كانوا كمثل الغيث صاب محلا (١)

يقول العلامة فخر جيله ورسول إنجيله أستاذنا الإمام محمد عبده فى كتابه « الإسلام والنصرانية » ليس على القاضى فى خطئه إذا أخلص النية تعقيب فهو بشر قبل كل شىء . إنما عليه المآخذ تأخذه بالنواصى والأقدام إذا انزلق فى مزالق الهوى وأحاطت بعنقه الشبهات فالقاضى المتحرر من قيود النصوص وأعباء المراجع التى تحدد إدراكه وتقديره للواقعات غير مبق على كتاب يصرفه عن تكوين رأى أو تأسيس نظر هو قاضينا وهو مجتهدنا « إذن فاعطنى قاضيا ولا تعطنى قانونا » .

---

(١) المكان القفر .

فالفقه الإسلامى (وإن كان مصبوغا بلون من ألوان الفقه القديم كالفقه الرومانى والفقه الفرعونى مثلا وما إليهما من ألوان الفقه) قد قطع مرحلة كبيرة فى إشباع الغرائز القوية والفطر السليمة من حيث علاج المجتمع فى علله وأمراضه وما يعرض له من نوبات تجعله فى بعض الأحايين متأرجحا يمشى الوجى إلى الطريق الأمثل. فلقد كانت رسالة محمد صلى الله عليه وسلم تحمل الهدى والرشاد إلى بنى البشر لأنها (خلاصة مئات من القرون تعاقبت فيها رسل وأنبياء ومرشدون ووعظة وهداة وقضاة فكانت الدعوة النبوية مؤسسة على أفضل الأسس وأقومها لأنها خيار من خيار انتهت فى مصير أمرها عسلا مصفى ولبنا خالصا سائغا للشاربين).

والفقه الإسلامى من أروع وأجل ما صنف العرب منذ أقدم الأجيال حين جمعت الفضائل الخلقيه والغرائز المثالية فى بوتقة واحدة صهرتها ثم جعلت منها نظاما عاما للبشرية يقتفى الناس أثره ويضربون فى الحياة على هداه فالفقه بسليقته قسطاس مستقيم ينهل منه كل صاد لأنه المنهل العذب الذى تصدر عنه شتى مراجع الحياة ومستقرها فهو النور الساطع إذا عميت السبل على الحكام وشملت الحيرة قلوب أهل الخبرة. لكن قيل بعد ذلك هبط إلى الأرض مشترعون ومقننون ومارسوا المراجع الكبرى والأصول العامة كالكتاب والسنة والقياس والإجماع فاختلفوا فى تقديرهم وطرق استنباطهم وطلعوا على الناس بفروع اصطلحوا على تسميتها الفقه. وهى فقه حقا لأنها مست مرافق الحياة وأحاطت بأمراضها وعللها وردت كل فرع إلى أصله حتى أضحت المنهل الصافى الذى ترد إليه عامة الناس وخاصتهم ليستقوا منه ماء النمير غير أن فريقا من المصنفين جاءوا فى حقبة من حقب التاريخ فصاغوا الفقه الإسلامى صياغة لم ترض كل الناس من ذوى الاطلاع ومن أسهموا فى تاريخ الفقه الإسلامى بكل شبر وذراع فكان تعقيد فى العرض والتواء فى المآخذ وعكس فى المقاصد وإبراز فاتر لأرجح الآراء لأن جمهرة منهم كانوا من الأعاجم لا من العرب الذين التوت عليهم المقاصد العربية وندوا عن تفهم أصولها ومناهجها، فظهرت هذه العجمة فى العرض والعبارة والاستنتاج حتى ضاق أنصاف المتعلمين والطالبون بذلك العرض وتلك المتون وتبرم بتلك الأساليب فرق كثيرة من أهل الاطلاع والعلم. ومن ذلك نشأت حيرة القاضى فى بعض الأحايين. فالمفروض فى القاضى أن يجد مردا لقضاياه وطريقا معبدا سهلا فى مراجعه ومآخذه فإذا عرضت

له شبهات أسعفه النص الواضح والطريق القويم من التصنيف والقوانين التى تعاقبت على المحاكم فى السنين الأخيرة قد حلت كثيراً من الأحاجى الفقهية وأتت على قسط وافر من أمراض المجتمع غير أنها لم تف الوفاء كله بالمطلوب :

قال العلامة الكبير أبو زيد عبيد الله الدبوسى الحنفى المتوفى سنة ٤٣٢ ه فى كتابه المسمى « تأسيس النظر » ما يستدل به على أن كثيرا من علماء الفروع مسرفين فى طريقة العرض وطريقة التدليل وطرائق الاستنتاج ولم يسبق فى تاريخ الفقه صنيع يستحق التقدير والثناء كالصنيع الذى صنعه العلامة الدبوسى فى تفصيل هذه المذاهب بين علماء علم الخلاف .

وفى الحق أن الفقه الإسلامى بحالته الراهنة قد مزج المدنيات المتلاحقة فى عصور سابقة بأنبل المثل وأسماها وأسلك الطرق وأنجاها فهو الذى رقى بالإنسانية وبعث فيها حوافز الرحمة التى يجب أن تسود بين بنى الإنسان .

إن الإسلام فى دقة مراميه وسمو معانيه قد محا الفوارق بفلسفته التشريعية وقضى على الأثرة والتشيع .

عباس طه

(بقية المنشور على صفحة ٧٤٣)

برهاننا الذى لا يدفع على أن الرجل لا يريد انتقاص صاحبه ، ولا يتكلف الادعاء مغترا بما علم كما وهم الواهمون[1] ولكنها جمحات القلم فى ظروف خاصة تدفع صاحبها إلى بعض الشطط ثم يعاوده الهدوء المتزن ، فيميل إلى النصفة والاعتدال ، ولو كان المرصفى يرى المبرد غير ثقة فيما يقول ، ما عكف على شرح الكامل وتدريسه ، فقطع زهرة شبابه فى تفهم أسراره ، واكتناه مراميه ، وجاء شرحه الفخم فى أجزائه الثمانية دليلا ملموسا على أن المبرد قد عاد إلى الحياة مرة أخرى بالأزهر واستبدل القاهرة بحاضرة العباسيين .

وقد عاش الرجل العظيم مقدرا مهيبا بين تلاميذه ورؤسائه ، مرموق المكانة فى محيطه وأمته . فكان فى شبابه موضع احترام الأستاذ الإمام وتقديره ، ثم اختير فى كهولته عضوا بارزا فى جماعة كبار العلماء ليحفظ بها للأدب مكانته ، ولم يفارق الحياة فى سنة ١٩٣١ حتى رأى بعينيه أبناءه فى حلقات الدرس يقودون زمام الرأى فى مضمار الصحافة والتأليف ، ويتسنمون زعامة الفكر فى أقطار العروبة ، فقر عينا بما غرس ، وأدرك أن دوحته الوارفة قد آتت من كل زوج بهيج .

محمد رجب البيومى

(١) دارت معركة أدبية حول هذا الوهم بمجلة الرسالة السنة التاسعة سنة ١٩٤١ .

ما يقال عن الإسلام

الإسلام فى إفريقيا الشرقية

للأستاذ عباس محمود العقاد

ألف هذا الكتيب الدكتور ليندون هاريس علم من أعلام التبشير فى القارة الإفريقية ، وقصره على البحث فى أحوال الإسلام والمسلمين بين أهل زنجبار وبمبا وتنجنيقا وما جاورها من بلاد السواحل الإفريقية ، وجمع فيه معلومات متفرقة يتحرى فى بعضها الدقة العلمية والمطابقة للمشاهدات الواقعة لأنه يريد بها اطلاع العاملين فى التبشير على حقيقة الموقف للاستعداد لها بما يصلح لها من العدة الكافية والوسيلة المجدية ، ولا يملك فى بعضها الآخر أن يتجرد من آرائه وأهوائه كلما تعرض لشرح العقائد الإسلامية وتفسير الحوادث التاريخية ومآثر المسلمين فى العالم كله وفى تلك البلاد على التخصيص ، فهو فيما عرض له من هذه الأمور مصطبغ بصبغته التبشيرية على الرغم منه أو باختياره ورضاه . مطاوعة لغايته وهواه .

بدأ معلوماته باقتباس كلمة الحكيم الانجليزى صمويل جونسون التى يقول فيها : إن المسيحية والإسلام فى عالم العقيدة هما الديانتان الجديرتان بالعناية ، وكل ما عداهما فهو بربرية ... .

وعقب على هذه الكلمة فقال : إن وصف البربرية شديد بالنسبة إلى الديانات الأخرى التى كشفت حقائقها بعد عصر الدكتور جونسون ، ولكنه استرسل فى وصف الإسلام ليقول : إنه الديانة الوحيدة التى تعد على الدوام وتحديا ، أو مناجزة لجهود التبشير والمبشرين ، ثم مضى يسرد المعلومات التى تطابق الواقع أحيانا وتناقضه أحيانا ونجتزئ منها بالمهم من وجهة النظر الإسلامية فى السطور التالية :

يقول الدكتور ليندون هاريس - بعد ذلك التمهيد - بصريح العبارة : إن جهود التبشير بين المسلمين فى إفريقية الشرقية عقيمة لا تؤذن بالنجاح القريب ولا بالنجاح المضمون ، وإن نتيجتها كلها إلى اليوم عدم (Nil) ولا يرجى أن تتغير هذه الحالة بغير جهود متواصلة يطول عليها المطال .

ويخرج من هذه النتيجة بتقرير الواقع الممكن من أعمال التبشير ، وهو توجيه الجهود إلى أبناء البلاد الإفريقيين الوثنيين ، فإن الجهود فى هذه الوجهة لاتذهب سدى ولا يزال الأمل فى نجاحها مفتح الأبواب لمن يحسنون الوصول إليها ، وإن كانت هذه الأبواب مفتحة للمبشرين وللعاملين على نشر الدعوة الدينية من المسلمين ، ومفتحة كذلك للمسلمين الذين يستميلون الوطنيين إلى دياناتهم بغير دعوة منتظمة .

ويذكر الدكتور ليندون عقبات الدعوتين بين القبائل الوطنية التى تحكم على الغرباء بالسمعة العامة بين سابقة ولاحقة .

فالمسلمون يشيع عنهم - أو يشاع عنهم - أنهم هم وحدهم المسئولون عن أعمال النخاسة فى العصور الماضية ، ولا يذكر المؤلف شيئاً عن النخاسة فى إفريقية الغربية ، وهى تدل بآثارها على الفارق بين النخاسة المنسوبة إلى تجار العرب وغيرهم من الآسيويين ، وبين النخاسة الأوربية الأمريكية التى نقلت السود إلى العالم الجديد ، وعدتهم الآن هناك لا تقل عن ستة عشر مليونا من الرجال والنساء ، وهم أضعاف الأرقاء السود الذين نقلوا من بلادهم إلى الأقطار الآسيوية فى عدة قرون .

أما التبشير المسيحى فالدكتور ليندون يقول عن السمعة العامة التى تعوقه : إن الوطنيين يقرنون بين الرجل الأبيض والمستعمر وبين ديانته وديانة المبشرين ، وإن جماعات التبشير تحسن صنعا إذا اتخذت فى السياسة مسلكا يعزل فكرة التبشير عن فكرة الاستعمار فى عقول أبناء البلاد الأصلاء .

ويروى المؤلف من أعمال الدعوتين أن القرآن الكريم ترجم إلى اللغة السواحلية ترجمتين : أحدهما بقلم كانون ديل المبشر (سنة ١٩٢٣) لم يقبل عليها أحد من الوثنيين وكاد أن ينفرد المسلمون باقتنائها ، وإن كانوا لا يعولون عليها .

والترجمة الأخرى نقلها « الأحمديون » الهنود وحشوها بالبحوث الفقهية (اللاهوتية) التى لا يطيقها أبناء البلاد الأصلاء ، ويرتضيها المسلمون أهل السنة من قراء الكتاب باللغة العربية .

ويتطرف المؤلف فى هذا السياق إلى الشيع الإسلامية فيروى كلمة للشاعر محمد إقبال ينعى فيها على المسلمين فى بلاده أنهم أصبحوا كالبراهمة فى تعدد الشيع والنزعات .

ومن المشاهدات التى يرددها المؤلف أن أثر المسلمين فى بلاد العرب الجنوبية أظهر من أثر إخوانهم الذين ينتمون إلى سائر الأقطار الآسيوية ، ويستدل على ذلك بعدد الإفريقيين الذين يقبلون على مساجد هؤلاء

وهؤلاء ، وبالصلات الاجتماعية التى تنعقد بين كل من الفريقين وبين الإفريقيين السواحليين وغير السواحليين الذين يدينون بالإسلام ، فإن أبناء البلاد الأصلاء يأنسون إلى الجالية العربية عندهم منذ عهد بعيد .

ولا يحاول المؤلف أن يطمس الفارق بين أثر العرب وأثر الأوربيين الأسبقين إلى استعمار إفريقية الشرقية ، فإنه يقرر أن البرتغاليين قضوا فيها نحو مائتى سنة لم يتركوا بعدها أثراً من آثار الحضارة النافعة ، ولم يعقبوا بعدهم غير ذكرى الخراب الذى حل على أيديهم بالمعاهد والمعابد الإسلامية ، ولم يزالوا حيثما نزلوا يخربون وينهبون حتى استغاث السواحليون بالإمام سعيد صاحب عمان ، وهو والد سعيد الأول سلطان تولى من هذه الأسرة حكم زنجبار .

أما العرب الذين انتقلوا إلى السواحل فإنهم نقلوا إليها الكتابة والعمارة وأدوات الحضارة وطبعوها بطابعهم فى كثير من أحوال المعيشة .

ويتساءل المؤلف عن المستقبل فيقول : ماذا عند العرب يعطونه الإفريقيين بعد اليوم وماذا عند الأوربيين ؟ .

ثم يجيب قائلا : إن الأوربيين يعطون المدارس والمستشفيات والمرافق العصرية ويرجحون على العرب بمدارسهم التى تعد الطالب الوطنى لأعمال الحياة العامة والخاصة فى العصر الحديث ، ولكن المدارس العربية ينحصر عملها فى تحفيظ القرآن وتعليم الهجاء والمطالعة الأولية ، ولا تصحب هذه المدارس - أو المكاتب - أعمال أخرى من قبيل أعمال الخدمة الاجتماعية التى ينشئها الغربيون ، إلا قليلا من المعونة يقوم بها أهل الخير هنا وهناك من قبيل الصدقة والإحسان .

يقول : « إن الإقبال على التعليم الحديث وفقا للبرامج الأوربية يقبل عليه المسيحيون والمسلمون على السواء . وقد كان المسيحيون يدخلون أبناءهم مدارس المبشرين ويؤثر المسلمون لأسباب دينية أن يعلموا أبناءهم فى المدارس الحكومية ، ولكن هذه المدارس الحكومية مبعثرة متباعدة بين أطراف البلاد الداخلية ، وأكثر التعليم على البرنامج الغربى تتولاه مدارس التبشير » .

ثم يقول : « إلا أن مدارس السواحل الإسلامية التى تشرف عليها الحكومة تقارن بأفضل المدارس التى يديرها المبشرون ، ويقبل عليها أبناء الهنود والعرب ، مع اتجاه الرغبة أخيراً إلى نشر التعليم العصرى وقيام الطائفة الإسماعيلية على الأكثر ببناء المدارس لنشر هذا التعليم ، وقد تم بناء نحو خمسين مدرسة على البرنامج الحديث منها ثلاث مدارس ثانوية نشأت كلها بعد الحرب العالمية الثانية » .

ويوازن المؤلف بين الوسائل فيرى أن

وسائل الإسلام أقل من وسائل المبشرين ، ولكنه قدم لذلك بتردده فى الحكم على المستقبل فقال : « إنه ليس فى الوسع أن يتنبأ أحد بمصير الأمور فى بلاد تتوالى فيها المفاجآت على غير انتظار ، فلا يبعد أن يميل رقاص الساعة كرة أخرى إلى جانب الإسلام ؛ لأنه عامل من العوامل الحاضرة أبدا فى هذه البلاد » .

وعند المؤلف أن المؤثرات المعنوية تتقابل فى نفوس المسلمين فتعطيهم من جانب عوضا مما تسلبهم من الجانب الآخر . ولا يلبث المسلم أن يستكين شعوراً منه بالفارق بينه وبين الغربيين فى الزمن الحديث حتى تثوب إليه العزة فخرا بماضى الإسلام العريق ، وأن هذا الفخر - كما يقول المؤلف - لعامل مهم جداً فى هذا الموقع من بلاد العالم ، إذ ليس للإفريقى تاريخ يذكره ويفخر به قبل أجيال معدودات .

ويخلص المؤلف من ذكريات الماضى ونبوءات المستقبل إلى خطة يرى أنها كفيلة بإتمام جهود المبشرين الأوربيين التى يعجزون عنها فى موقف المقابلة بين التراث الإسلامى العريق والتراث الإفريقى الحديث ، فإن المبشر الأوربى قليل الجدوى فى هذا المجال ، ولكن جدواه القريبة إنما تنتظر من المبشرين أبناء البلاد الأصلاء الذين تحولوا عن عقائدهم الأولى على أيدى بعثات التبشير منذ سنين . فإنهم أحرى أن يقابلوا الدعوة الإسلامية بشعورهم الوطنى الدينى ، فيؤدون هنا عملا لا ينتظر من المبشرين البيض .

قال : « إن ابن القبيلة الإفريقى يلمح نظافة المسلم شخصا وبزة كما يلمح المكانة التى يكسبها بأدب (الحشمة) الاجتماعية وتتعلق مكانة الرجل الإفريقى بهذه الحشمة المصطلح عليها ، وهى مكانة ذات شأن حيث يعيش الناس على مرأى بعضهم من بعض فى حيزهم المحدود ، فلا جرم أن يعتز المسلم بهذه الحشمة فوق اعتزازه بكل شىء ؛ لأنها مقياس خلقه وحياته ، وبها يستدعى المناظرة ومحاولة التشبه به من أبناء البلاد الأصلاء » .

ثم ختم الرسالة ملحاً على التنبيه إلى « المناجزة المتحدية » من قبل الإسلام ، مهيباً بأنصار التبشير الغربيين أن يضاعفوا العون الذى لا غنى للتبشير عنه لبلوغ الغاية منه ، ... « فليس فى وسع البعوث التبشيرية أن تعهد للمبشرين من أبناء إفريقية الأصلاء دعوة إخوانهم المسلمين ، ولكنها بغير هؤلاء لا يرجى لها نجاح » ؟

عباس محمود العقاد

مختار من الشعر القديم والحديث

العابد المثالى

"الفجر"

للأستاذ ابراهيم محمد نجا

من وراء الظلام أقبل يسرى … عابد فى ثيابه البيضاء

وعلى وجهه يرف صفاء … مستمد من قلبه الوضاء

أينما سار ، فالظلام ضياء … عبقرى الأطياف والألاء

جاء يسرى ، والبدر فى الأفق يسرى … كسرى المستهام فى الظلماء

تارة يأمن العيون ، فيبدو … فإذا خاف ، جد فى الاختفاء

ورياح المساء تبعث نجوا … ها لروح الطبيعة العذراء

فتثير الحنين فى كل قلب … من قلوب العشاق والشعراء

وأنا جالس على الربوة الخض … راء ، والروح سابح فى الفضاء

ساهر أنظم الحياة بروحى … فى قصيد يزهو بسحر الأداء

وأبث الوجود أشواق نفسى … لعهود قد أمعنت فى التنائى

وأغنى . . . ويا له من غناء ! … ثم أبكى . . . ويا له من بكاء !

* * *

ظل يسرى حتى أتى الغاب فانسا … ب إليه كالجدول المترائى

ومضى فى رحابه مستشفا … كل ما فيه من بديع الرواء

وقفة عند أيكة تتجلى … عن غرام مستعذب وغناء

عند غصن يداعب النور عطفيـ … ـه ، فيغضى وينثنى فى حياء

وتريق الندى عليه النسيما … ت ، فيهتز هزة الحسناء

عند زهر كأنه الشفق الحا … لم بين السحائب الشهباء

عند نهر كأنه الأمل البا … سم يبدو فى ظلمة البأساء

وعلى الجدول الذى راح يصغى ... فى فتون إلى حديث المساء
وقف العابد التقى يصلى ... للإله العظيم رب السماء
ويناجيه فى خشوع عميق ... كنبي فى ساعة الإيحاء
قال : يا خالق الوجود جميلا ... لقلوب إلى الجمال ظماء
إن هذا الجمال يغمر نفسى ... بضياء الهدى ، ونور الصفاء
إن هذا الجمال يسمو بروحى ... فى جواء طليقة الأرجاء
فأرانى بها هزارا طليقا ... يتغنى بأمنيات وضاء
هز أشواقه نداء خفى ... فهفا هائما وراء النداء
عائدا للخفاء موطنه النا ... ئى ، وقد جاء من ضمير الخفاء
كسفين أضله البحر دهرا ... وهداه السرى . . . إلى الميناء
وأرانى بها شعاعا رقيقا ... يتسامى بالشوق نحو العلاء
هائما سابحا إلى الشاطئ النا ... ئى ... على موجة من الأضواء
إن هذا الجمال لحن جميل ... ساحر الجرس ، فاتن الأصداء
أنت أبدعته ، فكان نشيدا ... هز روحى وخافقى ودماغى
هو بين الهول همس ونجوى ... وهتاف فى القمة العلياء
كل ما فى الوجود روح جميل ... رائع فى الظلام أو فى الضياء
ساحر باهر خريفا وصيفا ... مشرق فى الربيع أو فى الشتاء
غير أن العيون لا تسبر الأعماق . . . بل تستقر فوق الماء
وأنا أبصر الوجود بروحى ... فأرى كل ما به من بهاء
يا إلهى لأنت نبع حياتى ... وحياتى من أعظم الآلاء
فلك الشكر يا بديع البرايا ... ولك الحمد مبدع الأشياء
يا إله الوجود تلك صلاتى ... ملؤها نشوتى وهذا دعائى
فتقبلهما مناجاة روح ... برئت من نوازع الأهواء
واعف عنى إن لم أحظ بك علما ... أنت فوق النهى ، وفوق الذكاء
ووداعا يا أيها الغاب حتى ... يأذن الله بيننا باللقاء

إبراهيم محمد نجا

آراء وأحاديث

زعيم المسلمين فى الفلبين :

استقبل فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر بمكتبه السيد / أحمد ألونتو زعيم المسلمين بالفيليبين وعضو الشيوخ ، ودامت المقابلة أكثر من ساعتين سجل فيها فضيلة الأستاذ الأكبر حديثاً يتصل بالإسلام عقيدة وشريعة إجابة على الأسئلة التى قدمها السيد ألونتو إلى فضيلته ، وسيذاع هذا الحديث فى كل من الفيلبين وإندونيسيا والملايو وتايلاند .

وقد شكر السيد الزائر فضيلة الأستاذ الأكبر على جهوده القيمة التى يبذلها فى سبيل نشر الثقافة الإسلامية فى جميع أنحاء العالم الإسلامى ، كما شكره على إجابته على الأسئلة التى قدمها إلى فضيلته .

كما حمله فضيلته حديثا إلى جميع مسلمى الفيلبين ودعاءه لهم بالتوفيق والعمل بكتاب الله وسنة رسوله .

نص الحديث :

إخوانى وأبنائى المسلمين :

سلام الله عليكم ورحمته وبركاته ، وبعد : فإنه ليسعدنى أن أتحدث إليكم فيما يخص الشئون الإسلامية ويوضح معالم الطريق أمامكم ويكشف لكم عن كثير من جواهر الدين الإسلامى ودرره ، وإننى لأشكر أخى فى الله السناتور أحمد دوماكو ألونتو على ما رفع إلينا من أسئلة تحقق لنا ولكم هذا الاتصال الطيب ، وأشكره كذلك على ما قدم إلينا من شكر على ما سماه عناية بأمور المسلمين ، وعلى اتصالنا بكم فى مطلع شهر رمضان وفى أول يوم من أيام عيد الفطر المبارك ، وأقول له : إن ذلك كله واجب دينى تحتمه شريعتنا ويفرضه ديننا نحو إخواننا المسلمين فى العالم أجمع ، وكذلك أشكره على ما قدم لنا من عرفان بجميل الأزهر الشريف وقبوله طلابا من أبناء المسلمين فى الفيلبين ، وكذلك عن استقباله فى قاعة المحاضرات الكبرى فى الأزهر الشريف يوم أن ألقى محاضرته الطيبة ، فكانت صلة بيننا وبين ثلاثة ملايين مسلم ، وأقول له : إن أملنا فى نهضة المسلمين ودفعهم إلى الأمام وتعريفهم بشئون دينهم الذى جمع بين سعادتى الدنيا والآخرة ليجعلنا نسقط من حسابنا كل جهد يبذل وكل مشقة تكون ، سائلين المولى أن يجعل المسلمين على قلب رجل واحد ، أمة واحدة

متراصة البناء قوية قويمة ، لتقف أمام كل بغى أو طغيان ، كما كانت فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه من بعده ، ولذا فإننى أبدأ بالإجابة عما قدم أخى السيد / أحمد دوماكاو وأدعو الله أن يوفقنى بدوام الاتصال بكم لنقف على أسرار كتاب الله وسنة رسول الله ، فأقول والله المستعان .

١ — إن واجب المسلم نحو حكومته هو الطاعة مالم تخالف أوامرها أمر الله ولا أمر الرسول أو تنافى مصلحة المسلمين وعلى المسلم فى هذه الحدود السمع والطاعة وما لم يكن فى ذلك معصية لله ولرسوله فعلى المسلم السمع والطاعة فقد عرف شرعا أنه لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق .

٢ — وواجب المسلم لا يختلف ولا يقل ولا يخف نحو حكومته ما دام كل عملها للمصلحة العامة وما دامت لا تخالف أوامرها أو أمر الله ولا أوامر الرسول ولا فرق فى ذلك بين حكومة علمانية أو دينية وخاصة إذا ما كانت الحكومة دائما ترعى شئون المسلمين وتحرص على شعائر الإسلام يخطئ من يفهم أن أولى الأمر الذين أوجب الله طاعتهم فى قوله تعالى « يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم » يخطئ من يقول إنهم الحكام مطلقا وإنما هم أولو الشأن الذين يعرفون أوامر الله ويقدرون مصلحة الناس بدليل قوله تعالى « وأولى الأمر منكم » فالحكومات المستعمرة التى تتدخل فى شئون المسلمين الدينية لا تقدر مصلحة الناس ولا تحرص على شئون المسلمين ، فهذه لا طاعة لها — أما الحكومات التى هى من صميم الشعب فقد بينا حكم طاعتها فيما أسلفنا وأنه يجب على المسلمين أن يطيعوها فيما لا يخالف أمر الله

٣ — الضريبة متى كانت عادلة يراد بها تحقيق مصالح الشعب مثل إنشاء المعاهد والمستشفيات وتعبيد الطرق والمواصلات وكل ما يعود بالنفع والخير على الأمة وجب على المواطنين جميعا أداؤها وإلا كانوا مقصرين فى حق دينهم وفى حق أوطانهم . ويجب أن يعلم هنا أن مال الضرائب التى تفرضها الدول العادلة بناء على تقدير أهل النظر والاختصاص فى المصالح شىء وراء الزكاة فلا تغنى عنه الزكاة ، فالزكاة شىء والضريبة شىء آخر فقد جمع الله فى بعض آياته بين الأمر بالزكاة وبين الحث على الإنفاق وذلك فى قوله تعالى : « ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون »

فأنت ترى من هذا أن الصدقات شيء آخر وراء الزكاة .

٤ — قد قرأنا فى صدر الكلام أن أوامر الحكومات مالم تختلف مع أوامر الدين أو تناقضها وجب تنفيذها وطاعتها .

العلم والفن فى نظر الإسلام :

ما رأى فضيلتكم فى :

أولا : واجب المسلم تجاه البحث عن العلم والمعرفة بصفة عامة ؟.

ثانياً : ماهو العلم والمعرفة فى نظر الإسلام .

ثالثا : هل يعتبر الإسلام المعرفة ناحية أساسية فى تقدم الإنسان ؟.

رابعاً : هل يستطيع المجتمع الإسلامى أن يحفظ كيانه وبالتالى يبقى على الإسلام إذا رفض أن يعنى بأسباب المعرفة لمجرد أن المدارس الموجودة علمانية فقط ؟.

خامساً : مامدى واجب المسلم فى تحصيل العلوم الطبيعية مثل الطب والهندسة والزراعة والجغرافيا والرياضة والفلك وما شابه ذلك من العلوم مثل التاريخ والعلوم السياسية واللغات والآداب والفنون الجميلة مثل الموسيقى والرسم والرقصات التقليدية والنحت وما شابه ذلك ؟ .

سادساً : هل يجوز للمسلم ـ فى حالة عدم وجود مدارس إسلامية أو علمانية ـ لكى يحصل على المعرفة ، الالتحاق بمدرسة دينية غير إسلامية تفرض على تلاميذها دراسة الدين (غير الإسلامى) .

سابعاً : عندما يوجد عدد من المدارس الحكومية العلمانية ، ومدارس دينية غير إسلامية ، ومدارس إسلامية تقوم بنفس الوظيفة ، هل يجوز للمسلم أن يطلب العلم فى غير المدرسة مفضلا عليها المدرسة العلمانية أو الدينية غير الحكومية ؟.

ثامنا : هل يجوز للمسلم أن يحرم على المسلمين طلب العلم فى مدرسة غير إسلامية أو بمجتمع غير إسلامى ؟ وهل تعلم اللغة الانجليزية أو لغات غير المسلمين حرام ؟ وفى هذه الحالة ما هو واجب المسلمين المتقدمين تجاه إخوانهم الذين تخلفوا ؟.

وقد أجاب فضيلة الأستاذ الأكبر قائلا :

الإسلام رفع من شأن العلم والعلماء ووردت آيات كثيرة وأحاديث عن النبى صلى الله عليه وسلم : « قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون » ، وقد حث القرآن بنوع خاص على التفكير فى الأرض وفى السماء والهواء وما سخر الله من شيء للإنسان لمعرفة أسرار الله فى الكون والانتفاع بها فى الحياة وبذلك كان العلم فى نظر الإسلام غير خاص بالعلم الدينى أى بمعرفة الحلال والحرام والطاهر والنجس وإنما يعم كل إدراك يفيد الناس فى حياتهم . فإدراك ما ينبت البذر

ويصلح الأرض ، علم وإدراك القوى الحربية علم ، وإدراك كل ما يقدم الناس فى حياتهم علم . فالطب والكيمياء والهندسة والصناعة والذرة كل ذلك علم مما نوه الإسلام به ولا فرق فى أن تعلمه المدارس الدينية التى يديرها المسلمون والمدارس التى يديرها غيرهم . أما المدارس التى تلزم المسلم بتعلم غير دين الإسلام فهذه يجب على المسلمين أن يبتعدوا عنها ، فإنه لا يصح للمسلمين أن يتعلموا فيها .

واجب المسلم القوى نحو أخيه الضعيف :

أما واجب المسلمين المتقدمين بالنسبة للمتخلفين فهو واجب المسلمين الأقوياء بالنسبة للمسلمين الضعفاء فى تخليصهم من أسباب الضعف والهوان ومعنى هذا أنه يجب على المسلمين العلماء أن يعلموا إخوانهم غير المتعلمين ويحثونهم على العلم إذ العلم طريق رقى الأمم وحياتها . والجمهورية العربية بما آتاها الله من قوة فى العلم وفى المعرفة أولى أن تعنى عناية خاصة بهذه الشعوب المتفرقة فى آسيا وإفريقيا تبصرهم بشئون دينهم وتعرفهم بشئون دنياهم فإن كثيرا من هؤلاء كان الجهل يأكلهم ويسد الطريق أمام تقدمهم ـ كما يحول الاستعمار بينهم وبين معرفة دينهم . ولذا فإننى أعود فأقول : إن من حق المسلمين على الجمهورية العربية المتحدة أن تقدم لهم كل ما يحتاجون إليه من علوم ومعرفة ويجب على المسلمين عامة فى أنحاء الأرض أن يساعدوا إخوانهم فى إنقاذهم من الجهل وتعليمهم أمور دينهم ، كما يجب عليهم إنقاذهم من أيادى الاستعمار فإن الجهل شر على الأمم من الاستعمار .

تعلم اللغات الأجنبية :

وتعلم اللغات الأجنبية شأن من شئون التقدم الإنسانى العام وبقدر ما تجهل الأمة من لغات العالم بقدر ما تجهل من علومه وآدابه ، وقد عرفت الترجمة والمترجمون فى زمن الرسول صلى الله عليه وسلم كما استخدمت الترجمة فى نشر الدين وتعريف أحكامه فى زمن الرسول صلى الله عليه وسلم فى الصدر الأول وقد أثر ترجمة « قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا لا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون » ولما اختلط المسلمون بالدول غير العربية اتسعت معارفهم عن طريق تبادل اللغات وترجم الغربيون كثيراً من علوم المسلمين وانتفعوا بها كما ترجم المسلمون كثيراً من علوم الغربيين وانتفعوا بها ونزولا على هذه المبادئ قرر الأزهر الشريف فى عهده هذا تعليم اللغات الغير العربية شرقية وغربية لينشر الدين باللغة العربية وغيرها .

عادات بين مسلمي الفلبيين :

يا صاحب الفضيلة ، إن بعض العادات البالية في بلادي تقف حجر عثرة في سبيل التقدم والرقي : هذه العادات تتعلق بأمور كثيرة : مثل حالات الوفاة والزواج ، والاحتفالات : فعلى سبيل المثال تعتبر الوفاة فرصة للإسراف في إنفاق أموال الورثة على اعتبار أنها صدقة تمحو سيئات المتوفى إذ يدعو الورثة أهالي المنطقة جميعا ويوزعون عليهم ما يسمونه (بالصدقة) كما يدفعون للذين يصلون صلاة الجنازة والذين يسيرون في الجنازة . بل أكثر من ذلك يستمر الإنفاق مدة سبعة أيام حيث يدعى الناس لبيت المتوفى يأكلون ويشربون ويؤجرون وذلك ليقوموا بالتكبير والتهليل .

ثم وجه السنتور دوماكو ألنتو لفضيلة الأستاذ الأكبر طائفة من الأسئلة أجاب عنها فضيلته قائلا :

أما ما تذكرون من عوائد الإنفاق والبذل في المآتم على النحو الذي ذكرتم من الإسراف فليس إنفاقا في سبيل الله وليس إنفاقا يأمر به الإسلام ولا صدقة تنفع الميت ، والصدقة المطلوبة تكون للفقراء والمساكين ، أما الإنفاق من أموال اليتامى القصر فهذه جريمة دينية نص القرآن على تحريمها « إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا » والإسلام ليس له مراسم خاصة ولا طقوس معينة في الجنازات ، وإنما يرى أنه يجب على المسلمين وفاء لأخيهم المسلم أن يبادروا جميعا بمجرد العلم لتشييع جنازته حسبة من غير أجر ومعونة لأهل الميت . وكذا الصلاة والدفن ، وكل هذا من غير أجر ويحرم على المسلمين أن يأخذوا أجرا على تشييع جنازته وتغسيله وتجهيزه وكل شيء يتصل به وإنما يفعلون كل ذلك حسبة يلتمسون أجره من عند الله ، وكما ينكر الشرع أخذ الأجر على هذا ينكر الشرع التكبير والتهليل أمام الجنازة أو في بيته أو إقامة سرادقات أو استقبال المعزيين . وما كان النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه يخصصون أياما للتعزية ، ولا أماكن لتقبل هذه التعازي . إنما الذي كان يقع ويعمله الصحابة أنه بعد الدفن ينصرف كل إنسان إلى عمله ، وإذا اتسع حال أحد من أهل الميت أو من غيرهم بالتصدق أو مواساة أهل الميت بإعداد الطعام لهم لأنهم مشغولون بمصيبتهم يجوز لهم ، وقد عرف ذلك في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم .

ويجب على الحكومات الراشدة مكافحة هذه العادات في طوائف المشيعين والمغسلين وقراء القرآن على القبور .

زواج المسلم بغير المسلمة :

يجوز للمسلم أن يتزوج غير المسلمة بشرط

أن تكون من أهل الكتاب ، وقد جاء فى القرآن « اليوم أحل لكم الطيبات وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم ، والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم إذا آتيتموهن أجورهن محصنين غير مسافحين ولا متخذى أخدان » .

على هذا درج المسلمون يتزوجون من المسلمين ومن غير المسلمين بشرط أن تكون كتابية يهودية أو نصرانية أما المجوسية التى تعبد النار أو الشمس والقمر ، فلا يجوز للمسلم أن يتزوجها كما لا يجوز للمسلمة أن تتزوج غير المسلم ولو كتابيا (لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن) .

لا يجوز إكراه البنت على زواج لا ترضاه :

والصحيح من المذاهب الإسلامية المؤيدة بالأدلة النقلية الصحيحة أنه لا يجوز الأب ولا لولى الأمر أن يكره الفتاة على زواج من لا ترضى بزواجه فالرضا شرط صحة للزواج من الجانبين ويجوز للمرأة أن تباشر العقد بنفسها من غير وليها متى كانت عاقلة تفهم معنى الزواج وتقدره ، وقد رد النبى زواج البنت عندما أخبرته أن أباها قد أكرهها على الزواج من غير من تحب .

أما الشروط الأساسية للزواج فمنها كما تقدم الرضا بين الزوجين (رضاها ورضاه) وصيغة العقد هى أن تقول هى « زوجتك نفسى » أو أن يقول وليها زوجتك موكلتى فلانة على كتاب الله وسنة رسوله زواجا شرعيا على صداق قدره كذا وليس بلازم أن تقول على مذهب أبى حنيفة أو غيره . وأن يقول الزوج قبلت زواجك أو زواجها وذلك بحضور شاهدين غير معروفين بالفسق والخروج عن الدين .

والصداق شأن من شئون الزواج لا بد منه وقد أباح النبى صلى الله عليه وسلم الزواج مهما كان المهر ولو على خاتم من حديد ، وهذا هو حده الأدنى فالمهر هو ما تراضى عليه الطرفان قل أو أكثر ، والمغالاة فى المهور بمعنى توقف الزواج على المهر الكثير الذى تنوء به قدرة الزوج ليس من الإسلام فى شئ ، وما المهر إلا وسيلة من وسائل قضاء المصلحة والتعاون والذى يدفع المهر هو الزوج وهو ملك له ، ويبدأ استحقاقها المهر بالعقد ويتم بالدخول ، ولا يأخذ أحد من أهل الزوجة شيئا منه أبدا وإنما هو ملك لها .

والحكمة فى دفع المهر أنه حفظ لكرامة المرأة وتعاون على تكوين البيت وتكوين الأسرة .

والاحتفال بالأعياد هو فى الواقع احتفال بذكريات أحداث كان لها شأن فى تاريخ

الإسلام فالاحتفال بها إحياء لوعى ما تضمنته من إرشاد وتوجيه وإقدار على الخير وسعى لبناء مجتمع فاضل يقوم على أساس من الإيمان الصحيح والعقيدة الحقة، وهى دروس تاريخية فالهجرة ترينا وتذكرنا بهجرة الباطل وأهله إلى الحق ونصرائه وأن أرباب الحق لا بد أن يهجروا الباطل والإسراء يذكرنا بفضل الله على نبيه وقدرته على إيوائه وإكرامه. وليلة القدر تذكرنا بأكبر نعم الله على عباده وهو إنزال القرآن الذى به هداية المسلمين وسعادة الناس أجمعين وكذلك الاحتفال بميلاد الرسول صلى الله عليه وسلم.

أما الاحتفال بالعيدين فهو يذكرنا بتوفيق الله المسلمين على صوم رمضان وتوفيقهم لأداء نعمة الحج بالنسبة لعيد الأضحى، أما عن عاشوراء ونصف شعبان فلم يرد فى الاحتفال بهما شيء يعتد به.

وإن الأهمية فى هذه الأعياد أنها من باب الذكريات. والذكريات تحى الأمم وليس لها طقوس خاصة إذ الاحتفال إنما هو الاقتداء بالرسول صلى الله عليه وسلم وبما كان يفعله أصحابه.

وأخيرا فإن الاحتفالات التى انتشرت بين المسلمين يجب النظر فيها من جهات:

أولا: من جهة بعدها عن المحرمات وخلوها من الإسراف والتبذير وينبغى أن يعنى أهل العلم بشرح آثارها التى ترتبت على أحداثها وتوجيه المسلمين إلى أهدافها.

وعلى العلماء جميعا أن يبينوا للناس ما هو مشروع من هذه الأشياء وما هو غير مشروع نسأل الله أن يجمع الجميع على ما فيه خير الإسلام والمسلمين.

وإنى أكرر شكرى للسيد الوزير وللشعب الفيليبين وأحمله تحياتنا إلى هذا الشعب أسأل الله التوفيق وأن يطهر بلادنا من الاستعمار وأن يحميها من الجهلة والمبتدعين

وليس للصدقات أوقات معينة وإنما وقتها وقت ظهور الحاجة إليها من الفقير والمسكين، وأما أرواح الموتى فشأن غيبى لا يعلمه إلا الله لا ندرى متى تحضر ولا متى تغيب.

ولا ينبغى تلقيب الرسول صلى الله عليه وسلم بالمقدس وكما ورد فى سؤالكم، بإنه صلى الله عليه وسلم بشر وعبد من عباد الله اصطفاه الله بالوحى وكرمه بالمنزلة العالية والمقام المحمود وأما الصدقة على روحه صلى الله عليه وسلم فتقول إنها لا تختص بإنسان دون الآخر وإنما هى مال ينفق فى سبيل الله ويسد حاجة الفقير والمسكين. والله المستعان «يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم»، «وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله».

الكتب

نقد وتعريف

عرض لكتاب « اللغة الشاعرة »

للكاتب الكبير الأستاذ عباس العقاد

الناشر مكتبة الانجلو المصرية فى ١٦٠ صحيفة قطع متوسط

كتاب « اللغة الشاعرة » دراسة عميقة ، وبحث واف مركز ، عن لغتنا العربية .

والكتاب يتناول إجمالا ناحيتين هامتين تشبع الأولى منهما نهم الباحث اللغوى ، الذى يحلل المشكلات اللغوية من وجهة نظر علم اللغة Linguistics كما تحقق الثانية رغبة الناقد الأدبى الذى يعنى بالفكرة فى إطار العبارة والأسلوب .

وينتظم القسم الأول من الكتاب الموضوعات الآتية :

الحروف ، المفردات ، الإعراب ، العروض ، أوزان الشعر ، المجاز والشعر ، الفصاحة العلمية .

أما القسم الثانى فموضوعاته هى :

لغة التعبير ، الزمن فى اللغة العربية . الشعر ديوان العرب ، نقد الشعر العربى ، النقد العلمى .

الشعر العربى والمذاهب العربية الحديثة :

فموضوعات صدر الكتاب تبين أهمية لغتنا العربية بما خصت به من مزايا لاتوجد فى غيرها ، وقد فصل فيه القول دبألة علمية موضوعية تعتمد على اللغة نفسها ، فحروفها واضحة المخارج ومفرداتها موسيقية المقاطع فهى لغة تندرج كل كلمة فيها ضمن نوع معين من موسيقى التركيب اللغوى « الأوزان الصرفية » كما أن الإعراب قد خلق فيها حرية التركيب والبناء ، فلا يلتزم الفعل والاسم فيها موضعا معينا كما فى غيرها من اللغات بل البناء من حيث يرتبط فهم المعنى بالإعراب فى أواخر الكلمات .

ومن أجل هذا جعلها علماء اللغات فى القمة بين اللغات الكاملة التصريف .

أما العروض فأوزانه التى تعتمد على المقاطع المركبة من توالى الحركات والسكنات بوضع خاص ، فهو قمة الموسيقى الفنية فى لغتنا العربية وقد وضح الأستاذ العقاد كيف أن فن الوزن فى العروض يحمل فى طياته الجمال الموسيقى ، وهذه خاصة من خصائص الشعر العربى ، بخلاف الشعر فى اللغات الأوربية التى نعرفها ، فإن اعتماده على ما يصاحبه من رقص أو توقيع أو غناء أو موسيقى أو إنشاد ، وغيرها من الأمور التى بدونها يصعب تمييز الشعر عن النثر .

وقد أكد الأستاذ العقاد أن هذا الفن ليس أثراً من آثار المزاج السامى السريع الاستجابة للمؤثرات ، ولكنه قد اعتمد فى نشأته على الحداء ، والحداء غناء منفرد موقع على نغمة ثابتة ، ولا بد للغناء المنفرد من القافية ، لأنها هى التى تنبه السامع إلى المقاطع والنهايات ، خلافا للغناء المجتمع الذى يشترك فيه الكثيرون فيعرفون من سياقه أين يكون الوقوف وأين يكون الاسترسال ... ولا بد للغناء اللازم لحركة واحدة من الحداء لمسايرة الحركة ومجاراتها فى إيقاعها » .

وقد نعى الأستاذ العقاد على ما يسمى « بالشعر الحر » فهو فى نظره قصور وإفلاس وسوء نية ، لأن الدعوة إلى إلغاء الأوزان ذات البحور والقوافى لا تأتى من جانب سليم ولا تؤدى إلى غاية سليمة ، فلا يدعو إليه غير عاجز عن النظم ... وقد استطاع الشاعر العامى نظم القصص التاريخية والملاحم فى بحور الشعر العربى ، دون أن يعرف العروض » .

ولكن الأستاذ العقاد لا يرى مانعا من قرض الشعر على أوزان أساسها التفعيلة العروضية العربية ، فقد أشاد ببحث الأستاذ « خليل اللاوردى » الذى انتهى من بحثه إلى إمكان التنويع فى الأوزان العروضية ... فمقاطع العروض وتفاعيله « أشبه بحدود الكلمات التى تتألف من الحروف الأبجدية ، على حين أن الحروف الأبجدية قلما تزيد على الثلاثين » .

ويعقب الأستاذ العقاد فى هذا الموضوع على الأستاذ « خليل » فيقول « فمهما يكن من تيسير الأوزان بالتنويع والتوفيق ، فلا مناص بينها وبين الكلام المرسل فى سهولة الأداء ... ولا بد فى هذا السياق من تفرقة أخرى ، هى التفرقة بين القواعد والقيود فى كل فن من الفنون ... ومن تجاربنا فى الشعر العربى يتبين لنا أن قواعد النظم عندنا مؤاتية للشاعر فى كل تصرف يلجئه إليه تطور المعانى والتعبيرات فى مختلف البيئات والأزمنة » .

أما المجاز فقد فند فى هذا الفصل الأستاذ العقاد فكرة بعض المستشرقين التى تزعم أن الصناعة اللفظية - من التشبيه والاستعارة والكناية وغيرها - هى موضع العناية الكبرى فى الأدب العربى ، وأوضح سبباً لذلك انعدام التذوق اللغوى لدى المستشرقين ، هذا التذوق الذى يجعل العربى بفطرته لا يفهم من المجاز أو التشبيه إلا المعنى المباشر ، دون نظر فى التفصيلات .

أما الفصاحة العلمية فقد حدد المؤلف فى هذا الموضوع السمات والمظاهر التى تكون فصاحة الكلمات العربية المتركبة من حروف « أصوات لغوية » ، وكيف أن هذا وغيره كان السبيل لتوحيد اللهجات العربية المتفرقة فى لهجة واحدة « لغة مشتركة » ينظم بها الشعر وتستعمل فى المهم الجاد من القول ، وبلغت أوجها حين نزل بها القرآن الكريم .

أما القسم الثانى من الكتاب الذى يعنى الناقد الأدبى ، فقد أوضح فيه المؤلف كثيراً من القضايا التى يحاول البعض أن يقحمها على لغتنا العربية مما هو مختص ببعض اللغات الأوربية .

فمثلا بين لنا الأستاذ العقاد فى موضوع « الزمن فى اللغة العربية » أن لغة الضاد ليست عاجزة ، وأن أجروميتها ليست ناقصة حين جعلت الزمن « النحوى » ثلاثة أنواع ، على حين أن هذا الزمن يبلغ ضعف ذلك أو يزيد فى بعض اللغات الأوربية . فليس هذا عن إهمال لشأن الزمن فى لغتنا ، بل إن اللغة العربية تذهب إلى العناية بالزمان مذهبا بعيدا فقد جعلت لكل فترة من فترات اليوم اسما خاصا ، فهناك الهزيع والفجر والشروق ، والضحى والظهيرة ، والقيلولة والعصر ، والأصيل والغروب والعشاء والعتمة وغيرها .

ونضيف من جانبنا أن بعض الأفعال فى العربية يدل بصيغته على الزمن النحوى ، وباشتقاقه على وقته من اليوم الفلكى . ويتضح هذا جليا فى بعض أخوات « كان » مثل أصبح وأمسى وأضحى وأظلّ وبات .

فمن ناحية الأفكار والمعانى نجد العربية أدق وأوفى . أما الأجرومية فتختص بتركيب وبناء المفردات فى الجملة ، فلكل لغة أسلوبها الخاص وقواعدها الخاصة . ويجب ألا يقحم نظام الأجرومية فى لغة على نظامها فى لغة أخرى ، ولا وجه حينئذ للمقارنة أو المفاضلة .

فيظهر أن كتاب « اللغة الشاعرة » برمته كان مجموع مقالات وأبحاث أعدها الأستاذ العقاد سلفا ، إذ كثيراً ما يشير إلى أنه فصل ذلك فى مقال سابق . كما أن بحثه القيم « الزمن » كان قد ألقى كمحاضرة باسم المجمع اللغوى . وهـذا تقليد حميد لو تبعه الباحثون حين يكتبون فى هدوء وروية بحوثهم ، ثم يجمعونها فى كتاب خاص لتعم الفائدة .

هذا ولم تخش المطبعة مقام الأستاذ العقاد، فغيرت بعض الكلمات تغييرا قد يعده من يتقصى الهفوات خطأ مقصودا . فقد ذكر المؤلف فى ص ٣٣ - ٣٤ بعض آيات من القرآن الكريم وأن موسيقاها وافقت بعض أوزان الشعر . وقـــد ذكر هذه الآيات كنماذج للبحور : الطويل والمديد والبسيط والكامل والخفيف والرمل ، على التوالى — وهذا هو الترتيب الطبيعى للأنواع الأولى من البحور العروضية . وقد ساق الآية الثانية مثالا لبحر المديد وهى : « إن قارون كان من قوم موسى » على حين أنها من بحر الخفيف وتقطيعها : إن قارو — فاعلاتن . ن كان من — متفع لن . قوم موسى — فاعلاتن . فيكون هذا المثال مكرراً كنموذج للخفيف مع هذه الآية : « وتوكل على العزيز الرحيم » .

وبعد : فالكتاب قد أنار السبيل أمام الباحثين فى الثقافة العربية الأصيلة العميقة ، وأمدهم بأسلحة علمية ، ونظرات صائبة حين يتعرضون للرد على « دعاة الهدم المستترين وراء كلمات التقدم والتجديد ... ولا خير فى دعوة يتولاها العجز العقيم والضغينة النكراء .

دكتور عبد الله درويش

١ - الرد على ابن النغريلة اليهودى

لابن حزم ونشر دار العروبة بالقاهرة .

يحتوى هذا الكتاب الذى قام بتحقيقه الدكتور إحسان عباس الأستاذ بجامعة الخرطوم ، على أربع رسائل لابن حزم :

الأولى فى الرد على ابن النغريلة اليهودى فى افتراءاته على الإسلام ، والثانية فى مناقشة فقهاء المالكية ومجادلتهم ، والثالثة أسماها : التلخيص لوجوه التخليص ، وهى رد على أسئلة متفرقة والرابعة فى الرد على الكندى الفيلسوف .

وفى الرسالة الأولى لم يكتف ابن حزم - كما يقول المحقق بالرد على مفتريات اليهودى ، الذى ألف كتابا فى نقض القرآن ، ووصل فى الأندلس إلى مرتبة الوزير فى عهد ملوك الطوائف ، ومات قتيلا من جراء تسلطه على الإسلام ، لم يكتف ابن حزم بالرد على أضاليله ، وإنما كان يشفع كل رد بنقد لاذع لإحدى مسائل التوراة لافتا نظر اليهودى إلى أن بيته من زجاج . وفى القسم الثانى من الرسالة ناقش ابن حزم بعنف جانبا مما أسماه « الطوام » التى وردت فى كتب يهود

وفى الرسالة الثانية : ناقش ابن حزم فقهاء المالكية ، والخصومة بينهم وبينه كانت قائمة على أشدها فطالبة ابن حزم بإلغاء : القياس والرأى والتقليد ، لم تكن تعنى سوى إشعال حرب شعواء لا هوادة فيها — كما يقول الأستاذ المحقق .

وفى الرسالة الثالثة : التلخيص لوجوه التخليص، فهى «خلاصة للاستقصاء فى البحث والقدرة على الوضوح والوعى والدقة وفهم أحوال الدين والدنيا»وجاءت دراسة لمسائل على جانب من الأهمية . تناولت الكبائر وهل تتفاضل ، ومتى تكفر ، ومتى ترجى النجاة للإنسان ، وهل هناك شفاعة ؟ كما تناولت قضيتين أخريين : الأولى قضية تنزل الخالق إلى سماء الدنيا — كما ورد فى الحديث المشهور - ومناجاته لعباده أن يطلبوا منه سبحانه الغفران ، وأقر ابن حزم هذا الحديث .

والقضية الأخرى : قضية الفتنة التى عمت بلاد الأندلس الإسلامية يومئذ من جراء مطامع الحكام وشهواتهم ، واعتبر ابن حزم هؤلاء محاربين لله ورسوله وساعين فى الأرض فسادا .

أما فى الرسالة الرابعة ، فقد تولى ابن حزم مناقشة الكندى الفيلسوف فى كتابه «التوحيد» وهى الرسالة التى كتبها الكندى فى الفلسفة إلى المعتصم بالله العباسى ، وهذه الرسالة المنسوبة إلى ابن حزم مضطربة السند إلى درجة أن المحقق استبعد نسبتها إلى ابن حزم ، وغلب نسبتها إلى أستاذ ابن حزم «محمد ابن الحسن المذحجى» إلا أن ابن حزم قرأها وزاد عليها بعض تعليقات من لدنه .

هذا عرض موجز لرسائل ابن حزم الأربع قام بتحقيقها الدكتور إحسان عباس ، وقدم لها بمقدمة تمهيدية بلغت أكثر من أربعين صفحة ودلت على سعة علم الدكتور وعنايته العناية التامة بما التزم تحقيقه ، والحق يقال : إن هذه المقدمة تقديرها لدى كل مثقف مطلع ، وقد بذل المحقق جهداً مشكوراً عليه ، واستطاع أن يقدم لنا عقلية إسلامية ناضجة .

إلا أن الدكتور ، لم يعن بتحقيق الأعلام التى ورد فى الكتاب ، ولهذا أهميته كما هو معروف ، كما لم يعن بتوضيح معان وردت كما عنى بتفسير قليل من الألفاظ العسيرة ، وكنا نود بعد ذلك أن تنال الرسائل الثلاث الأخيرة ما نالته الرسالة الأولى من العناية فى تحقيقها .

* * *

٢ - شعراء نجد المعاصرون :

للأستاذ عبد الله بن إدريس :

المؤلف من خيرة أدباء المملكة العربية السعودية ، وممن يحتلون مكاناً قيما بين أدباء الطليعة هناك ، وكتابه هذا والذى يقع فى أكثر من ثلثمائة صفحة من القطع الكبير ، كتاب جديد فى فكرته ، وأعتقد أنه الكتاب الأول من نوعه .

قدم له ببحث تمهيدى مسهب ، عرض فيه

للشعر ونشأته وتطوره ومركز نجد فى الشعر، ووضع نجد تجاه النهضة العربية، كما عرض للشعر المعاصر واتجاهاته فى نجد، لا سيما الاتجاهان: الرومانتيكى والواقعى.

واحتل بقية الكتاب وهو القسم الأكبر منه، تراجم للشعراء المعاصرين، ونماذج من أشعارهم، وإلقاء أضواء لتحليل شعرهم، وفى مقدمة هؤلاء: ابن عثمين، وخالد الفرج، والأمير عبد الله الفيصل، وناصر أبو أحيمد، ومحمد الفهد العيس.. وغيرهم.

ذكر المؤلف فى المقدمة أنه حين فكر فى الكتاب وضع نصب عينيه: أن الشعر المعاصر فى منطقة نجد يكاد يكون مجهولا كل الجهالة، ومطموراً فى متاهات النسيان من قبل القراء والمثقفين فى العالم العربى، وأنه مضطر «إلى أن يسلك هـذا الدرب شبه المغلق عسى أن يهتدى فيه إلى ميدان التجمع العربى - فكريا - ومن ثم يعبر الطريق رواد آخرون ...».

وهذا قول صدق، وقد بذل المؤلف جهداً كبيراً مضنياً، حيث لم تكن هناك مراجع ذات أهمية يمكنه الاعتماد عليها ويعتبرها مصادر لبحوثه.

إلا أن المؤلف وعد فى المقدمة نفسها، بدراسة مايقدمه من نماذج للشعراء المعاصرين، على نحو جديد من البحث «السيكولوجى» للعوامل الاجتماعية والأحداث، والمؤثرات الإنسانية التى ساعدت على تطور الشعر فى نجد ...

ونحن نقف مع المؤلف وقفة سريعة هنا:

فالأستاذ عبد الله بن إدريس ترجم لأكثر من عشرين شاعراً معاصراً، وقدم مجرد دراسة سريعة خاطفة لشعرهم من الجانب النفسى للشاعر، ولكنه لم يقدم لنا نقداً فنياً متكامل البناء لهذا الشعر، وبذلك تأتى الدراسة كاملة ناضجة..

كما أن المؤلف الأديب فى معظم القصائد لم يعن بشرح الألفاظ العسرة، كما لم يوضح اتجاهات الشاعر فى ماقصد من المعانى.

والإلفاتة الأخيرة، أنه قدم نماذج لبعض الشعراء جاءت كلها مديحا مصطنعا، وتزلفا رخيصا، وقد يعتذر، بأنه لم يحصل على إنتاج لهم سوى هذا، وهو عذر مقبول..

وبعد: فالكتاب مع هـذا وذاك سفر له قيمته، وحسبه من التقدير أن يكون مرجعا يتيما فى هـذا الموضوع، إلا أننا كنا نود أن يسبق هذا الكتاب كتاب عن شعراء نجد منذ العصر الجاهلى إلى ما قبل العصر الحديث، فيصبح لدينا مرجع متكامل له أهميته..

* * *

٣ — الفقه والتصوف :

للعلامة : عبد الحميد الزهراوى

هذه الرسالة هى العدد الرابع والعشرون من سلسلة الثقافة الإسلامية التى تصدر بالقاهرة . والعلامة الزهراوى ليس مجهولا ، فهو من زعماء النهضة السياسية والفكرية فى سوريا فى أوائل هذا القرن ، وكانت معارضته العنيفة للسياسة الديكتاتورية هى التى وضعت حبل المشنقة حول عنقه فى دمشق . .

وعقلية العلامة الزهراوى من أنضج العقليات الإسلامية ، وأشدها قسوة على الجمود الفكرى والتزمت الدينى ، والأضاليل التى ألصقت بالإسلام زوراً وبهتاناً .

وهذه الرسالة الموجزة قسمان :

قسم تناول فيه قضية التقليد ومحصها تمحيصا دقيقا . فعرض التقليد هزيلا مهلهل الثياب ، وأعلن عليه حملة شعواء أتت عليه .. ولم تذره إلا هشيما .

وقسم تناول التصوف ، ناقش فيه ماهية التصوف ، وأوضح أن هناك فى مجال التصوف صادقين وكاذبين ، والصادقون من المتصوفين هم من التزموا آداب الشرع ووقفوا عند حدوده .

وكان فى كلا القسمين : عالما متعمقا جريئا فى الحق ، وليس هناك من مأخذ على أسلوب الرسالة إلا المبالغة فى العنف والإسراف فى التهكم . وربما كان العصر الذى كتب فيه هذه المناقشات العنيفة أهلا للمبالغة فى العنف ، والإسراف فى التهكم ، ويخفف من وطأة هذا المأخذ ـ إن عد مأخذاً ـ أن العلامة المؤلف رحمه الله ، لم يكن فى مناقشته خطيبا أو واعظا . وإنما كان عالما فاضلا وأستاذاً جليلا .

* * *

٤ — المستقبل للإسلام :

للأستاذ أحمد عبد الجواد الدومى

فى هذا الكتاب تحدث فضيلة المؤلف عن بشارة التوراة والإنجيل برسالة محمد صلوات الله عليه ، وعن مكة وموقعها الجغرافى الذى أهلها لأن تكون مصدر الإشعاع والنور للعالم كله ، وعن زحف الإسلام المقدس فى شكل زهاء ستين غزوة وسرية ، ورسائل إلى ملوك العالم من رسول الله تحمل فى طياتها الهداية والنور .

ثم حدثنا المؤلف عن أسباب تخلفنا وأبرزها : الكيد للإسلام ، والترف والاستبداد ، وكذلك حدثنا عن تربع حضارة الغرب على عرش العالم بعد غروب شمس الإسلام وتخلف قطاره عن خطه الحديدى المرسوم له ، وفى نهاية الكتاب حدثنا عن حال المسلمين اليوم وما صارت إليه ، ثم دعا إلى ثورة على ما نحن فيه من جمود . .

هذا ملخص سريع لكتاب الأستاذ الدومي :
ونحن مع المؤلف بتحفظ فى معظم ما تعرض له من موضوعات تلمس عواطف القارئ ، ولكن الذى أود أن أتساءل عنه :

هل هناك أدنى صلة لهذه الموضوعات بمستقبل الإسلام وهو عنوان الكتاب ؟.

نحن لا نرى أى مانع من أن يتعرض المؤلف لماضى الإسلام وحاضره ولكن فى إيجاز وتركيز ؛ ليكون ذلك أساساً يعتمد عليه فى تخطيط منهج لمستقبل الإسلام .

أما الكتابات الثائرة الملتقطة من هنا وهناك ، ثم اختيار عنوان عاطفى مثير ، ثم بعد ذلك يلتئم شمل الموضوعات على هذا العنوان فيصبحان معا كتابا ، فهذا ما لا يرضاه الكاتب نفسه ، ومع ثقتنا بغيرته المخلصة للإسلام ودعوة الإسلام ...

* * *

٥ — قضايا الفكر فى الأدب المعاصر :

للأستاذ الأديب وديع فلسطين

المؤلف أديب لامع واسع الثقافة ، تعرفه سائر الصحف العربية . ظل أمداً أستاذاً بالجامعة الأمريكية وله دراسات شتى فى الأدب وقضاياه .

وكتابه هذا إسهام منه فى معارك الرأى التى يراها : « معارك سليمة العاقبة تفضى فى ختام الأمر إلى نفع الأدب ودفعه » .

وقد دفع المؤلف إلى وضع هذا الكتاب « منازعات أدبية شتى انقسم فيها الكتاب إلى شيع وأحزاب » .

أما ما أسهم فيه المؤلف من هذه المنازعات فهى قضايا : العامية والفصحى وكان أن وقف بجانب الفصحى بكل ما أوتى من قوة ، ثم قضية الشعر : الحر والموزون ، وكان أن وقف بجانب الشعر الموزون أيضا ، ورد على القائلين بالتجديد ، فالتجديد يجب أن يتناول القالب لا الجوهر ، ثم قضية المصطلحات العلمية ، ويرى المؤلف « أن هذه المصطلحات من القضايا التى يحلها الزمن فهو الكفيل بإقرارها ليأخذ منها السمين وينبذ الغث . ثم قضية قواعد اللغة ودعا إلى الأخذ بيدها لتحتل مكانها فى أدبنا وصحافتنا وإذاعتنا ، وتناول الكتاب بعد ذلك قضايا أخرى : كالحروف اللاتينية ، والالتزام فى الأدب ، والأدب الواقعى ، وانحراف رسالة النقد والترجمة والمسرح .. وما إلى ذلك .

والحق : أن الكتاب دراسة عميقة لها قيمتها ، وقد أثار بالطبع كثيراً من الأقلام ، إلا أننا كنا نود : أن لا تخلو بعض دراسات هذا الكتاب من تقديم نماذج مما نال منه قلم المؤلف ، كما كنا نود أيضا أن يكون واضحا جليا رأى المؤلف فى كل موضوعات الكتاب التى تعرض لها ، لا فى بعضها كما حدث .

محمد عبد الله السمان

أنباء الأزهر

الرئيس يشكر شيخ الجامع الأزهر:

تلقى فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر برقية من السيد الرئيس جمال عبد الناصر ردا على برقيته بمناسبة عودته من السودان هذا نصها :

فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت

شيخ الجامع الأزهر :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته – وبعد :

فقد كان لبرقيتكم المتضمنة أجمل المشاعر وأصدق التهانى بمناسبة عودتنا من رحلة السودان أحسن الوقع ، وإنا لنرجو أن يوفقنا الله جميعا إلى ما فيه جمع كلمة العرب ورفع راية العروبة حتى يتحقق ما نرجوه لها من عزة ومجد .

ويسرنى أن أعرب لكم عن أخلص الشكر مقرونا بأطيب تمنيات الصحة والهناء .

جمال عبد الناصر

إسلام صحفى فى المكسيك :

واستقبل فضيلة الأستاذ الأكبر بمكتبه السيد / توماس باريو جبرائيل الكاتب الصحفى المكسيكى الذى طلب أن ينطق بالشهادتين أمام فضيلته . ولما سأله فضيلته عن سبب رغبته فى اعتناق الإسلام أجاب بأنه يرغب فى ذلك لأنه تبين له أن الإسلام دين المساواة والعدل والحرية وذلك بعد دراسة وافية لمبادئ الإسلام وتعاليمه . وإزاء ذلك سمع منه فضيلة الأستاذ الأكبر الشهادتين ، وصار بذلك مسلما ، وغير اسمه إلى : عبد الكريم باريو جبرائيل .

الأستاذ الأكبر يستقبل وكيل همرشولد :

استقبل فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر بمكتبه مستر هرنان تفارس دى سا — وكيل الأمن العام للأمم المتحدة للإعلام ، ومستر أولاف ريتر مدير مكتب الأمم المتحدة للإعلام بالقاهرة والأستاذ على خليل نائب مدير مكتب الأمم المتحدة لهذا المكتب .

وبعد أن رحب بهم فضيلته قال : إننا لنشكركم على هذه الزيارة وأحب أن أؤكد أن الناس يفضلون الحديث فى شئون الاقتصاد أو الاجتماع أو غير ذلك

ولكنى أفضل الحديث فى شئون إسعاد البشرية . فمهمة الأمم المتحدة إنقاذ الضعفاء وإعطاؤهم حقوقهم ، ولقد أوتيت الأمم المتحدة القوة لذلك ، وواجبها أن تعمل فى أسرع وقت ممكن لرد حقوق الجزائريين والفلسطينيين إليهم ، وأن تعمل على وضع الأمور فى نصابها أينما كانت « إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها » .

فرد السيد الزائر قائلا : إننى لأشكركم أعمق الشكر أن أتحتم لنا هذه الزيارة التى تؤكد مدى قوة الحكمة التى تنبع من الأزهر وعلى رأسه فضيلتكم . ثم أضاف : وسيسرنى أن أبلغ ما ذكرتم للسيد الأمين العام للأمم المتحدة وهى مهمة عظيمة . ويسعدنى أن أستمد الوحى والتوجيه من المعانى التى أفضتم بها لنا ، لنخدم بها الإنسانية .

فقال فضيلة الأستاذ الأكبر : إنى لأعتقد أن رسالة الأمم المتحدة مستمدة من رسالة الأديان جميعا ، وقد عرض القرآن الكريم لمبدأ الأمم المتحدة فقال : « وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما ، فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء إلى أمر الله » .

فقال الزائر : إن الأمم المتحدة تحاول أن تحقق هذا المبدأ الإسلامى النبيل ، وستعمل على تحقيق ما صورتم للإنسانية من مبادىء إسلامية سامية .

فقال الأستاذ الأكبر : كما أن على الأمم المتحدة ألا تعمل من أجل دولة معينة أو من أجل صالح الدول الكبرى فحسب ، بل يجب أن تعمل لصالح الدول الصغرى قبل الكبرى ، وهذا ما تقرره المبادىء الإسلامية .

فقال الزائر : إن هذه المبادىء هى بالفعل مبادىء الأمم المتحدة التى تحاول أن تضع الأمور فى نصابها كما قلتم فضيلتكم ، ولقد كان الأمين العام للأمم المتحدة يبحث موضوع الدول المتطلعة إلى الحرية منذ وقت قصير

فقال فضيلة الأستاذ الأكبر : إن الأزهر لينتظر منكم نتائج طيبة تعود على العالم أجمع بالخير والرخاء . وعندما تحقق الأمم المتحدة ما وعدتم به وما تعد به الأمم المتحدة فإنها تستحق الشكر من الله والناس .

فقال السيد الزائر . إنه ليسرنى أن أسمع هذا الحديث الذى يعبر عن شعوركم وشعور الأزهر نحو الإنسانية . وقد تحقق لى أن الأزهر أقدم جامعات العالم يفيض بالتوجيه والإرشاد .

ومما هو جدير بالذكر أنى قد تعلمت فى جامعة أنشئت فى القرن الرابع عشر ، وكنت أظنها أقدم الجامعات ، فإذا بى أجد الأزهر أقدم منها بمراحل .

وقد أهدى الأستاذ على خليل نائب مدير مكتب الأمم المتحدة للإعلام — فضيلة الأستاذ الأكبر ثلاث مصاحف باللغات العربية والانجليزية والأسبانية .

الأستاذ الأكبر ووزير تجارة الصومال:

استقبل فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر فى مكتبه السيد دكتور شيخ عبد الله محمود وزير تجارة الصومال يرافقه السادة الحاج عبديو وحسين عمر وياسين عبد الرحمن ومحمد على فارح أعضاء فى البرلمان الصومالى والسيد محمد حاج حسين والسيد على محمد فارح . كما يرافق الوفد السيد عبدالحميدالشوربجى . المستشار التجارى بالصومال والسيد صفوت أباظة بالشئون العامة بوزارة الاقتصاد .

وقد رحب بهم فضيلة الأستاذ الأكبر قائلا . إنا ليسرنا أن نستقبل إخواننا الصوماليين فى الأزهر مركز الإشعاع الروحى الذى يشع على المسلمين فى جميع أنحاء العالم بالعلم والهداية ونرحب بأعضاء الوفد الكريم لا باعتبارهم ضيوفا بل باعتبارهم منا ونحن منهم ، يجمعنا الدين الإسلامى الحنيف واللغة العربيـــة ، والكفاح من أجل الحرية والاستقلال . فالمؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا ،وكاليدين تغسل إحداهما الأخرى ، فنحن معكم كاليدين تغسل ما بكم وأنتم تغسلون ما بنا .

إننا نرحب بكم والأزهر جميعه يرحب بكم فلقد اتصل الأزهر بالصومال اتصالا وثيقاً من زمن بعيد ، فالأزهر يوفد العلماء ليعلموا أبناء الصومال ويرشدونهم إلى خير دينهم ودنياهم ، والصومال يرسل أبناءه إلى الأزهر ليتعلموا ولينهلوا من منهله ليعودوا وقد تفقهوا فى الدين يحملون رسالة الأزهر السامية وينشرون الثقافة الدينية بين مواطنيهم فيلتقى بذلك العلم والتعليم ويرتبط البلدان ارتباطاً وثيقا يجمع بين القلوب والأهداف .

ويسرنى أن أعلن لكم أن عدد الأساتذة الموفدين إلى الصومال الآن ثلاثون وعدد الطلاب الصوماليين الذين يدرسون فى الأزهر واحد وستون طالبا فى مختلف كلياته ومعاهده ويقيم هؤلاء الطلاب بمدينة البعوث الإسلامية بجانب إخوانهم طلاب هذه البعوث الذين يمثلون أكثر من خمسين جنسية يفدون من جميع أنحاء العالم الإسلامى ويعاملهم الأزهر بعناية فائقة عناية أبوية كريمة لا يفرق بين إقليم وإقليم ولا بين طائفة وطائفة ، وإنما الكل سواء عماده فى ذلك قوله تعالى : « واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا » ، « واتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون » .

فهذا رباط مقدس يربط بين البلدين الشقيقين برباط قوى بجانب الرباط الإسلامى الوثيق الذى يجمع بين القلوب على تباعدها .

« فرد السيد الزائر قائلا » : إننى باسم

الوفد الصومالى وباسم الحكومة الصومالية وباسم الشعب الصومالى أجمع نقدم للأزهر الشريف وشيخه خالص تحياتنا وتقديرنا .

فالأزهر هو الذى يمثل الإسلام فى جميع أنحاء العالم وإننا لمسرورون أن تزداد الروابط بين الأزهر والعالم الإسلامى وخاصة الصومال.

ونحن إذ نشكر لفضيلتكم هذه الحفاوة والتكريم ليسرنى أن أحمل لفضيلتكم تحيات مواطنى الصوماليين شاكرين لكم جهودكم فى سبيل نشر الثقافة بين أبنائهم .

ومما هو جدير بالذكر أن بعثة الأزهر الدينية قد اتجهت إلى الإقليم الشمالى بالصومال - ذلك الإقليم الذى كان يحتله الانجليز - اتجهت البعثة لتثقيف أبناء الصومال هناك ولإيجاد روابط ثقافية متينة معه .

هذا وقد زار الوفد خلال إقامته بالقاهرة مدينة البعوث الإسلامية والمكتبة الأزهرية والجامعة الأزهرية وقاعة المحاضرات .

* * *

وزير التربية والتعليم فى الملايو :

واستقبل فضيلة الأستاذ الأكبر بمكتبه السيد / أنشى عبد الرحمن بن حاجى طالب وزير التربية والتعليم بالملايو يرافقه السيد / سفير الملايو بالقاهرة .

وقد دار الحديث حول النواحى الثقافية التى تتعلق بطلاب الملايو الذين يدرسون بالأزهر . والطلاب الذين يستقبلهم الأزهر للدراسة فى جامعته ومعاهده .

وقد شكر السيد / الوزير فضيلة الأستاذ الأكبر على عناية الأزهر بطلاب الملايو ، وعلى سعة صدره لاستقبال كل من يوفد لتلقى العلم بالأزهر .

فقال الأستاذ الأكبر : إن الأزهر يهتم اهتماما كبيراً بجميع الوافدين من الطلاب ليدرسوا فى الأزهر وهو لا يميز بين جنسية وجنسية بل الكل سواء . ثم شكر الوزير على زيارته للأزهر . ودار الحديث فى جو ودى خالص . ثم أهدى كلا منهما مؤلفاته .

* * *

الوحدة الطبية تكرم مديرها السابق :

أقام أطباء وموظفو الوحدة الطبية بالأزهر حفل تكريم فى فندق شبرد للسيد الدكتور حسن أبو السعود مدير الوحدة السابق .

وحضر الحفل نيابة عن فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر ، الأستاذ الدكتور محمد ماضى المدير العام للأزهر .

وألقى كلمة الأطباء وموظفى الوحدة السيد / الدكتور يوسف عيد مدير الوحدة .

ثم ألقى الدكتور حسن أبو السعود كلمة تحدث فيها عن فكرة الوحدة وتاريخ إنشائها ومراحل تقدمها فقال :

فى الأسبوع الأول من إسناد المشيخة إلى فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر المرحوم الشيخ مصطفى عبد الرازق - عليه رحمة الله - أمرنى بإنشاء دار لعلاج طلاب الأزهر الشريف .

فكان هـذا الأمر أحب إلى من كل متاع فى الدنيا . إذ وافق ما كانت تصبو إليه نفسى ؛ لاعتقادى أنها أشرف رسالة أسندت إلىّ لخدمة طلاب الجامعة الأزهرية .

وبعـد أن ذكر مراحل التطور والتوسع التى مرت بها الوحدة بفضل إخلاص القائمين عليها وتعاونهم قال :

ولن أنسى تلك اليد الكريمة والأريحية الممتازة والتضحية التى لا تقـدر التى مـدت إلينا من أساتذة طب جامعة القاهرة وأساتذة طب جامعة عين شمس . فبأيديهم جميعا ويد الله معنا أمكننى أن أقوم بهذه الرسالة ولولاكم لتعثرت فيها .

فهذه الوحـــدة الطبية هى بحق مستشفى الجامعة الأزهرية أتركها أمانة فى أعناقكم وقد شرحت طريقى فى السير بها وبموظفيها فسيروا على بركة الله إلى الأمام وظل قائد ثورتنا جمـال عبدالناصر وفقه الله ، وفى رعاية صديق والدى وصديقى الذى أعتز بصداقته والفخر بمحبته فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر .

والسلام عليكم ورحمة الله »

دكتور

حسن أبو السعود

مهندس سنغالى :

شكلت لجنة لاختيار الطالب المهندس عبد الله ديون السنغالى الذى وفد من السنغال للدراسة فى الأزهر ، وبعد اختباره ومعرفة مستواه العلمى .

قررت اللجنة أن الطالب المذكور عنده استعداد خصب وعناية ملحوظة بالدراسات الإسلامية على وجه يمكنه من نفع المسلمين فى بلاده وزيادة معارفهم الإسلامية .

وقـد هنأه فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر بالدرجة العلمية التى تضمنها تقرير اللجنة المذكورة . وأصـدر فضيلته شهادة بذلك هذا نصها :

« رفع إلينا السيد الأستاذ الدكتور محمد البهى - مدير الإدارة العامة للثقافة الإسلامية تقريراً يتضمن رأى اللجنة التى كونتها المشيخة لاختيار الطالب المهنـدس عبـد الله ديون السنغالى الجنسية ، ومعرفة مدى مستواه العلمى وفهمه للإسلام وقدرته على إرشاد

المسلمين إلى أحكام دينهم عن طريق التعبير باللغة العربية .

وبناء على ما تضمنه ذلك التقرير من أن اللجنة تقرر أن الطالب عنده استعداد خصب وعناية ملحوظة بالدراسات الإسلامية على وجه يمكنه من نفع المسلمين فى بلاده وزيادة معارفهم الإسلامية - بناء على هذا كله نهنئ الطالب المذكور بالدرجة العلمية التى تضمنها تقرير اللجنة المذكورة ونبارك له فيها .

داعين المولى سبحانه أن يشد أزره بما لديه من معلومات فى الإسلام وتعريف إخوانه المسلمين بأحكامه .

ونسأل الله له التوفيق » .

ثم استقبل فضيلة الأستاذ الأكبر السيد أحمد ألنتو مرة أخرى بمناسبة مغادرته القاهرة ليشكر فضيلة الأستاذ الأكبر على حديثه على أبناء الفيلبين وإندونيسيا وتايلاند والملايو .

ثم شكر الأستاذ الأكبر على عناية الأزهر بطلاب الفيلبين الذى قبلهم الأزهر للدراسة فيه والذين يربو عددهم على المائة . ثم أشاد سيادته بجهود وزارتى الأوقاف والخارجية على ما قدمته كل منهما من عون وجهد أثناء إقامته بالقاهرة وأضاف أنه يدعو لفضيلته بالصحة وطول العمر حتى يتم رسالته كشيخ للأزهر يجمع المسلمين على رباط الدين والوحدة الإسلامية المكينة بنشر الثقافة الإسلامية وتعاليم الإسلام .

ثم خص سيادته بالشكر سيادة الرئيس جمال عبد الناصر على كرم ضيافته ، مشيداً بما يبذله سيادته للإسلام والمسلمين من جهود موفقة ، مؤكداً بأن الرئيس جمال عبد الناصر هو المثل الأعلى لقواد العالم بما حققه للجمهورية العربية المتحدة خاصة والعروبة والإسلام عامة من وحدة وقوة .

فقال فضيلة الأستاذ الأكبر : إننى بالأصالة عن نفسى وبالنيابة عن الأزهر الشريف هذا المعهد العتيد الذى يحمل تعاليم الإسلام وينشرها فى آفاق العالم الإسلامى - نشكركم على روحكم الطيب وحبكم للدين والمسلمين عامة وعلى جهودكم التى لا تدخرونها فى سبيل الأخذ بيد المسلمين بالفيلبين ، وندعو الله أن يكثر من أمثالكم ليكونوا خير قدوة لبلادهم ولدينهم كما ندعوه أن يشد أزر المسلمين جميعا ليحولوا دون أعمال المستعمرين لبذر بذور الفتن بين أبناء الإسلام الذين هم فى حاجة إلى مثل هذا الغيرة على الدين .

ثم أضاف فضيلته : ولو أن زعماء المسلمين تنبهوا إلى ما يفعله السيد/أحمد ألنتو لنضجت بذلك أفكارهم وفاض وعيهم القومى بالقوة المانعة من الانحلال والتفكك .

الإسلام والحياة وحقوق الإنسان :

ثم قال فضيلته : إن الأزهر له ما يزيد على عشرة قرون ينشر تعاليم الإسلام ، ومن المؤسف أن يقال : إن الإسلام ليس فيه إلا الصلاة والصوم ، ولكن الإسلام يتصل بكل مقتضيات الحياة . لقد عرض القرآن للثروة النباتية ، والثروة الحيوانيـــة ، والثروة الجبلية والثروة البحرية وهذا كله يحتاج إلى فهم وتمحيص وتأمل . لقد زعم المستعمرون أنهم أصحاب فكرة « حقوق الإنسان » ولكن الإسلام جاء بها منذ أربعة عشر قرنا ، أما حقوق الإنسان عندهم فتبدو فى الجزائر وفلسطين والكونغو وغيرها .

وأعتقد أننا لو اتجهنا للقرآن وما فيه من أحكام فإنا نستغنى بذلك عن معونة الغربيين، وغيرهم ، كما أعتقد أنه إذا صلحت رءوس الزعماء فى كل مكان وقادوا الشعوب إلى الحق فلا بد أن ينبض الإسلام ويكون كما كان فى زمن محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام .

فقال السيد الزائر : هذا هو الإلهام الذى تلهمون به شعب الفيليبين والذى يدفع المسلمين هناك لدعوتكم لزيارتهم فى أقرب فرصة ، وسترون بأعينكم مدى لهفتهم إليكم وشوقهم إلى اللقاء بكم . وإنى لأدعو الله أن يمنحكم الصحة والقوة لتحقيق هذه الزيارة المرتقبة .

ثم تطرق الحديث إلى دور الجمهورية العربية المتحدة وقائدها جمال عبد الناصر فى نشر الوعى القومى بين جميع الشعوب وخاصة الشعوب المكافحة المتطلعة إلى الحرية - فقال السيد أحمد ألنتو : إن الجمهورية العربية المتحدة منذ قيام ثورتها العظيمة وهى تكشف قناع الاستعمار وتفضح ألاعيبه فى كل مكان .

فقال الأستاذ الأكبر : إنها ثورة طيبة بيضاء ، قامت دون إراقة دماء ، فهى لم تهدم وإنما بنت . إنها حدث عظيم وما قام بعدها من أحداث عظيمة فى العالم أجمع إنما هو امتداد لها وسير على نهجها .

ثم أضاف أن الفضل فى ذلك يرجع إلى الإخلاص والإيمان الذى يتمتع به الرئيس جمال عبد الناصر فهو غيور على وطنه ومواطنيه ، بل غيور على الحرية فى جميع أنحاء العالم . وهو على استعداد للتضحية فى سبيل إيمانه وغيرته . ونرجو أن يقتدى به قواد العالم فى كل مكان وبصفتى شيخ الأزهر أعاهد الله على التضحية فى سبيل الدين ونصرته كما أعاهدكم على ذلك أيضا ، هذا هو عهد الله بينى وبينكم ، ثم وضع يده فى يد السيد الزائر قائلا: إن أرواح الرسول وأصحابه الآن ترفرف فوق رءوسنا تبارك عهدنا وجهودنا - ثم تلا

قوله تعالى « والعصر إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر» ثم قال بلغ إلى إخوانى فى الفيلبين تحياتى إلى أن أراهم بنفسى .

مدير مكتب الأمم المتحدة :

كما استقبل فضيلته مستر أولاف ريتر مدير مكتب الأمم المتحدة للأعلام فى القاهرة والذى طلب من فضيلته أن يذيع حديثا على العالم بمناسبة يوم الأمم المتحدة يوم ١٠/١٢/١٩٦٠ - وذلك لما عهده من فضيلته من حرص على نشر السلام فى أنحاء الأرض .

وقد رحب به فضيلته ثم قال : إننا نرجو أن تعمل الأمم المتحدة على إراحة الشعوب من الأنين الذى نسمعه من الشعوب التى يجثم على صدورها الاستعمار .

ثم أضاف أن الإسلام يهتم بحقوق الإنسان ويدعو إلى التراحم وتعميم السلام فى جميع أرجاء العالم وأن يطمئن كل إنسان على حقه فى الحياة الحرة الكريمة كما يدعو إلى إنصاف الضعفاء من الأقوياء ، وأنا بدورى أريد أن أطمئن إلى أن كل ذلك تهتم به الأمم المتحدة وأحب أن أسمع أنها قد أخذت بيد الشعوب المتطلعة إلى الحرية وآتت لأهل الجزائر وفلسطين والكونغو بحقوقهم كاملة غير منقوصة .

إن الدماء تسيل بغير وجه حق ، بينما ممثلو الأمم المتحدة واقفون صامتين . لمصلحة من هذا الصمت . إنهم إخوانكم فى الإنسانية فخذوا بأيديهم والله معكم .

ثم وعد فضيلته الزائر بأن يسجل حديثا بمناسبة يوم الأمم المتحدة .

هذا ـ وقد شكره السيد الزائر على ذلك ، ثم قال : إن الأمم المتحدة تعلم جهودكم فى سبيل السلام ولذا فإنى قد أتيت اليوم تلبية لرغبة الأمم المتحدة فى أن تذيعوا هذا الحديث الهام لأبعثه بدورى إلى السيد السكرتير العام للأمم المتحدة .

ثم انصرف شاكراً لفضيلته حسن استقباله على أن يعود لأخذ الحديث المذكور .

بريد المجلة

فى ذكرى ابن تيمية :

كتب الأستاذ طاهر الطناحى كلمة بهذا العنوان فى عدد شهر ديسمبر من مجلة الهلال عارض فيها إقامة مهرجان على لشيخ الإسلام ابن تيميه و بنى معارضته هذه على الأسس الآتية : —

(١) أنه كان يقول فى الله بالتجسيم مستشهداً برواية ابن بطوطه فى رحلته .

(٢) أنه كان يطعن فى الصحابة بنسبة الخطأ إليهم .

(٣) أنه كان ينتسب لمذهب الإمام أحمد مع تحلله من هذا المذهب .

(٤) أنه كان يعتبر المحلل ممنوعا شرعا والطلاق الثلاث بلفظ واحد طلقة واحدة .

(٥) سجن عدة مرات لاتهامه بالزندقة كمعارضته تفسير القدر وأسماء الله الحسنى .

(٦) وهناك فلاسفة مسلمون أولى منه بهذا المهرجان وهم أسبق منه ولم يطعن أحد عليهم ،

ونقول فى الرد على الأول :

إن ابن بطوطة كاذب فى روايته كما كذب فى كثير من فصول رحلاته أو وهم . أو روى إشاعات يزعم أنه رآها . وليس ابن بطوطة بالحجة فى هذا المقام للطعن فى إمام ملأت رسائله وفتاواه أقطار الدنيا ، وكلها تنادى بعكس ما يزعمه ابن بطوطة . وكلام ابن تيمية فى كتبه ورسائله المخطوط منها والمطبوع أقوى حجة وأولى بالأخذ به فى تزييف إشاعات موهومة يرددها أمثال ابن بطوطة وابن حجر الهيثمى وزاهد الكوثرى وأمثالهم ممن نصبوا أنفسهم وأوقفوها لحربه والتشهير به وحسب الكاتب الفاضل أن يرجع إلى رسالة ابن تيمية فى تفسير (قل هو الله أحد) وكتابه فى (فضل قل هو الله أحد) . وفتاواه الكبرى المطبوعة فى الهند وهى فى دار الكتب المصرية وفى مكتبة بلدية الإسكندرية فى عدة مجلدات ضخام . ومجموعة الرسائل والمسائل فى مجلد واحد طبعة دار المنار ومجموعة الرسائل الكبرى فى عدة مجلدات طبعة القاهرة وكتابا تلميذه الأول وصنو حياته وثمرة علمه الإمام الفقيه شمس الدين ابن قيم الجوزيه «الصواعق المرسلة فى الرد على الجهمية والمجسمة والمعطلة »

و « اجتماع الجيوش الإسلامية فى الرد على — المجسمة والمعطلة والجهمية — والجهمية هم أتباع جهم بن صفوان القائلون بالحلول والمجسمة هم القائلون بما ينسب زوراً لابن تيمية ، الأمر الذى نصب رضى الله عنه نفسه لمحاربته . والمعطلة هم القائلون بتأويل الصفات وعدم اتباع السلف فى فهمها والتسليم بمدلولها والمراد من الله تبارك وتعالى . لأن الأسماء لها مسميات تختلف عن مسمياتها بالنسبة للمخلوقات ، فكلمة عالم وحكيم وقادر ألفاظ يشترك فيها المخلوق مع خالقه ولكن مسمياتها بالنسبة للخالق تبارك وتعالى تختلف عن مسمياتها بالنسبة للمخلوق لأنها بالنسبة للمخلوق مقيدة محدودة متناهية ولكنها بالنسبة للخالق جل وعلا مطلقة لا متناهية ولا يمكن تأويلها أو تفسيرها تفسيراً يبعدها عن حقيقة معناها الذى أراده الله تعالى .

ونقول فى الرد على الثانى :

إن ابن تيمية كان يحارب البدع والضلالات والأوهام التى دخلت فى الإسلام على يد من ترجموا خزعبلات الفرس ووثنيات اليونان وهرطقات الهنود وكان يذود عن الإسلام ويحض الناس على اتباع الصحابة ورجال الصدر الأول وكان يحث على إجلال الصحابة وتوقيرهم وكان يجد أمامه قوما يؤمنون بعصمة مشايخهم ويقلدونهم تقليداً أعمى بلا دليل أو برهان من كتاب محكم أو سنة متبعة فكان يرد عليهم بأن كل إنسان يؤخذ من قوله ويرد عليه إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن الصحابة غير معصومين فما بالك بمن بعدهم ممن هم أقل درجة وعلما منهم وأن عمر بن الخطاب أخطأ فى كذا وكذا . . . وأن عليا أخطأ فى كذا وكذا وليس معنى ذلك أن ابن تيمية يغض من مقام عمر أو على أو يوهن من شأنهما رضى الله عنهما وإنما يضع كل امرئ فى المقام الذى ينبغى أن يوضع فيه بلا تقديس ولا كهنوتية ولا ادعاء العصمة إلا لصاحب الرسالة العظمى صلى الله عليه وسلم .

ونقول فى الرد على الثالث :

إن ابن تيمية لم يكن حنبليا بمعنى أنه أحد أئمة المذهب وإنما كان مذهب أحمد هو المدرسة الأولى التى تخرج على يد أئمتها وعلمائها وليس ملزما بأن يتبع حرفية ذلك المذهب . ومذهب أحمد باعتباره آخر المذاهب الأربعة فهو أقرب إلى استيعاب أكثر الأحاديث التى رويت عن الأئمة الذين سبقوه ومن هنا كان أقرب المذاهب إلى السنة والدليل النقلى . ولكن ابن تيمية ينادى بعدم التقليد والأخذ من الكتاب والسنة مباشرة (وطبعا هذا موجه للعلماء ممن أوتوا وسائل الأخذ المباشر من الكتاب والسنة) ويقول بالرجوع إلى الدليل وتحرى الحق فى النص ويخالف

مذهبه إذا كان الدليل مع غيره ، وينظر إليه بعين التقدير والإكبار لسمو غايته وحرصه واجتهاده .

ونقول فى الرد على الرابع :

من الذى قال إن هذا المحلل جائز فى الإسلام ، إن الأحاديث الواردة فى تحريمه لا تحصى وحسبك ما ورد فى السنة عن النبى صلى الله عليه وسلم « لعن الله المحلل والمحلل له » « وما ورد من وصفه بـ « الديوث المستعار »

أما الطلاق ثلاثا بلفظ واحد فإنه طلقة واحدة عند جمهور العلماء وهو المفهوم من نصوص القرآن والسنة وهو المأخوذ به فى قانون الأحوال الشخصية عندنا اليوم ويكاد الإجماع ينعقد على ذلك ، فليس هذا برأى تفرد به ابن تيمية وليس هذا بعيب فى مذهبه حتى يعد صارفا عن إقامة المهرجان المزمع له .

أما سجنه وامتحانه واضطهاده فليس ذلك بالأمر الذى يعاب عليه ، وإنما هذا عيب عصره المتأخر الضارب فى ظلمات الجهالة بحكامه وقادته . ومفخرة ابن تيمية أنه ظهر فى عصور المماليك وعصور الانحلال والجمود والتأخر والجهل فكان ثائراً بمعنى الكلمة وكان جريئا لا يخشى لومة لائم فيما يؤمن به ويعتقد أنه الحق . ولكى تعرف مبلغ أثره فى عصره والثورة التى أحدثها اقرأ كتاب « الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة لشيخ الاسلام الحافظ المعاصر لابن تيمية ابن حجر العسقلانى » ، وهو طبعا غير ابن حجر الهيثمى .

أما معارضته تفسير القدر وتفسير الأسماء الحسنى فهو كلام مردود لأنه لا يقوم على سليم من الاطلاع على كتب الشيخ ومؤلفاته وهى طافحة بالتفسير المعقول الواعى لآيات القضاء والقدر وفى ذلك من فلسفة الإسلام ما يجعل ابن تيمية أعظم درجة وعلما من أولئك الفلاسفة الذين استعاروا الفلسفة من علوم اليونان والهند أما ابن تيمية ففلسفته من صميم الإسلام ، على أنه ينبغى فى هذا المقام التفرقة بين الفلسفة الإسلامية وفلسفة الإسلام لأن الأولى هى كل ما قام به علماء وفلاسفة المسلمين من نشاط فى ترجمة ونقل واعتقاد ما رددوه عن أرسطو وأفلاطون وجورجياس وبيدبا وغيرهم ، أما فلسفة الإسلام فإن إمامها الأول أحمد بن حنبل الذى امتحن فى معركة خلق القرآن على عهد المأمون وأكبر أتباعه هو أبو العباس بن تيمية الحرانى الدمشقى الذى قال فيه الحافظ الذهبى : « فى ميزان الاعتدال فى نقد الرجال » « كل حديث لا يعرفه ابن تيمية فليس بحديث » ، « والذى قال فيه طه حسين ما مؤداه » « كان ابن تيمية إذا إذا تكلم فى فن يظن أنه لا يعرف غيره من عمقه وطول باعه ومع ذلك كان يعرف كل شىء »

وأخيراً ينبغى قراءة كتاب « شفاء العليل

فى القضاء والقدر والحكمة والتعليل ، لابن قيم الجوزية وهو صورة حية من عقيدة أستاذه شيخ الإسلام المجدد المصلح أبو العباس تقى الدين ابن تيمية ، وكتبه ؟

محمد نجيب المطيعى

* * *

تعقيب على مقال :

١ — ذكر الأستاذ الدكتور أحمد بدوى أن لابن مالك منظومة واوية فى المقصور والممدود .

وقصيدة ابن مالك فى المقصور والممدود قصيدة همزية من بحر الطويل بدأها بقوله .

بدأت بحمد الله فهو سناء
وللنطق منه بهجة وبهاء

وختمها بقوله :

وأسأل لى عفوا ونيل جوارهم
غدا فإلى ذا سارع السعداء

وهى مطبوعة بالقاهرة سنة ١٣٢٩ ﻫ .

٢ — قال الأستاذ عن لامية الأفعال : وهى منظومة لامية من بحر البسيط فى أربعة عشر بيتاً .

وأبيات اللامية ١١٤ — أربعة عشر ومائة بيت .

٣ — عرف الأستاذ كتاب نظم الفوائد بقوله :

وهو ضوابط وقواعد منظومة ليست على روى واحد ولعلها فى اللغة والنحو .

ونظم الفوائد رجز فى النحو ، نثره ابن مالك فى كتابه الفوائد فهو أصل للفوائد كما أن الفوائد أصل للتسهيل .

فى حاشية الخضرى ١ — ١١ قال ابن رشد ونظم رجزا فى النحو عظيم الفائدة تستعمله المشارقة ثم نثره فى كتابه المسمى بالفوائد النحوية والمقاصد المحوية ثم صنف كتابه المسمى بتسهيل الفوائد وتكميل المقاصد تسهيلا لذلك الكتاب وتكميلا .

٤ — ذكر الأستاذ أن الكتب الآتية من المخطوطات وهى من المطبوعات فالكافية الشافية طبعت بمطبعة الهلال بالفجالة سنة ١٩١٤ وشرحها لابن مالك طبع مع حاشية ياسين بفاس سنة ١٣٢٨ ﻫ فى جزئين كبيرين .

وكتاب الإعلام فى مثلث الكلام طبع فى القاهرة سنة ١٣٢٩ ﻫ . مع تحفة المودود فى مجلد واحد .

وذكر الأستاذ أن كتاب شواهد التوضيح والتصحيح طبع بالهند سنة ١٣١٩ ﻫ وأقول إنه طبع بمصر أيضا بتحقيق الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقى سنة ١٩٥٧ م .

محمد عبد الخالق عضيمة

مجلة راية الإسلام والشيعة :

نشرت مجلة راية الإسلام التى تصدر عن مدينة الرياض مقالا شديدا عن الشيعة وجهه كاتبه ابراهيم الجبهان إلى فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر باعتباره داعيا إلى التقريب بين المذاهب الإسلامية ، ولم يراع الكاتب فيما كتب آداب البحث ولا أخلاق العلماء ولا مصلحة المسلمين وأثار عاصفة من الغضب والاستنكار بين علماء الشيعة فردوا عليه فى مجلة (العرفان) واحتجوا على الحكومة السعودية أن سمحت بنشر هذا المقال المفرق فكان من أثر هذا الاحتجاج أن جاءنا هذا التصريح :

صرح مصدر سعودى كبير لفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر بأن ما نشر فى العدد الخامس من مجلة راية الإسلام التى تصدر فى الرياض حول الشيعة بقلم ابراهيم الجبهان لا يمثل رأى الحكومة أو جهة ما فى المملكة السعودية . وأن كاتبه ليس سعوديا ، والمجلة لا تمثل رأى الحكومة ولا غيرها فيما تكتب وأنه قد لفت نظر القائمين على تحرير المجلة فى حينه وعدم تكرار مثل هذا ووجوب الحرص على ما يجمع كلمة المسلمين .

ابن يعيش وديكارت :

نعلم كيف أثبت ديكارت وجود نفسه فقد قال : « أنا أفكر فأنا إذن موجود » .

وبالأمس كنت أقرأ فى شرح ابن يعيش على مفصل الزمخشرى فوقفت فيه على قوله « ألا ترى أنك إذا قلت :(عـدمتنى) فمعناه علمتنى غـير موجود . ومحالَ أن تعلم شيئا وأنت غير موجود ، لأنك إذا علمت كنت موجودا وصحته على الاستعارة ص٨٨ ج ٧ فأنت ترى أن ابن يعيش المتوفى سنة ٦٤٣ هـ سبق ديكارت الذى عاش سنة ١٥٩٦ - ١٦٥٠م إلى الشعور بالفكرة التى قام عليها عمود من أعمدة الفلسفة الحديثة .

بغداد ـ ماهر مصطفى

والفرق أن ديكارت فيلسوف بنى على فكرته مذهبا وابن يعيش نحوى كان يناقش تركيبا بعينه . ولكن الفيلسوف والنحوى وقعا على فكرة واحدة وهى أن علم الإنسان الشىء أو التفكير فيه دليل على وجوده .

إلى الأستاذ محمد على النجار :

١ ـ تقول كتب النحو من صغيرها إلى كبيرها أن تميز العدد من ثلاثة إلى عشرة حقه أن يكون جمعا مثل سبع ليال وثمانية أيام وخمسة آلاف ، فما بالنا نقول : ثلثمائة وخمسمائة بإفراد لفظ مائة وهو تمييز العدد ولم نقل ثلثمئات وخمسمئات كنص القاعدة وكما تقولها فى الألف وما وجه العلة فى جمع الألف دون المائة .

٢ ـ وتقولون إن ألفاظ العدد من ثلاثة

إلى عشرة تكون على عكس المعـــدود فى التذكير والتأنيث ، فما قولكم فى قوله تعالى : من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها حذف التاء من عشرة مع إضافتها إلى الأمثال واحدها مذكر وما تعليل ذلك ؟

٣ – وقلتم إن لن حرف وضـــع للنفى المؤبد ، فإذا كان ما قيل صحيحا فما لى اقرأ فى كتاب الله قوله « فلن أكلم اليوم أنسيا » فأرى كلمة اليوم فى الآية جاءت بعد النفى بلن فأفسدت القاعدة ، ولو كانت لن لتأبيد النفى لما كان هناك موجب لتقييد هذا النفى باليوم . وكذلك أقرأ قوله تعالى « ولن يتمنوه أبدا » فأرانى متحيرا فى إيراد لفظ أبداً بعد لن ، ولو صح ما قالوه من تأبيد النفى بلن لكان لفظه أبدا تكرارا لا داعى له . وحاشا لكلام الله أن يخضع لأحكامكم .

محمد ابراهيم
مدرس لغة عربية

اليوم الذى يساوى خمسين ألف سنة :

قال تعالى « تعرج الملائكة والروح إليه فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة » .

أراد الله سبحانه وتعالى أن يبين فى هذه الآية الكريمة أن المسافة التى يمكن للإنسان أن يقطعها فى مدة خمسين ألف سنة (إذا ما سار بسرعة معلومة) تعادل المسافة التى تقطعها التموجات الأثيرية عند ما تسير مدة يوم واحد .

لقد أثبت العلماء منذ زمن ليس بالقريب أن هناك كمية ثابتة طبيعية لا تتغير بتغير الأزمان وهذه الكمية الثابتة هى سرعة الضوء والتى يبلغ مقدارها ...... ٣٠٠٠٠٠ كيلو مترا فى الثانية وهى سرعة التموجات الأثيرية بكافة أنواعها سواء أكانت تلك تموجات ضوئية أو تموجات حرارية أو تموجات كهربائية أو غير ذلك مما وصل إليه العلم الحديث .

والآن نحسب المسافة التى تقطعها هذه التموجات ذات السرعة الثابتة (٣٠٠٠٠٠ كيلو مترا فى الثانية) إذا ما سارت مدة يوم واحد .

اليوم = ٨٦٤٠٠ ثانية .

∴ المسافة التى تقطعها التموجات الأثيرية عندما تسير بسرعتها الثابتة لمدة يوم واحد .

= ٣٠٠٠٠٠ × ٨٦٤٠٠ كيلومترا

= ٢٥٩٢٠٠٠٠٠٠٠ كيلومترا

ومن الناحية الأخرى نحسب المسافة التى يتمكن الإنسان من قطعها فى زمن مقداره ٥٠ ألف سنة عندما يسير بسرعة معلومة .

لقد تواجدت فى حياة الإنسان سرعات مختلفة ، فهناك الحيوانات التى تمكن الإنسان من استخدامها فى ترحاله منها البطىء ومنها السريع ، وهناك المخترعات الحديثة كالسيارة

والقطار والطائرة والصاروخ وما سوف يستحدثه الإنسان من مخترعات .

ولكن السرعة التى نريد أن نعتبرها مقياسا لحسابنا يجب أن تكون كما أوضحنا سرعة معلومة ، ويجب أن تكون أيضا معروفة لدينا سواء فى زمننا الذى نحياه الآن أو فى زمن نزول القرآن الكريم ، فالقرآن الكريم صالح لكل زمان ومكان .

هذه السرعة التى نريد أن نعتبرها مقياسا لنا هى سرعة الخيل والتى كانت أقصى سرعة تمكن الإنسان من الوصول إليها أيام نزول القرآن الكريم وليس من المنطق أن نعتبر سرعة الطائرة مثلا مقياسا لحسابنا فإن الطائرات لم تكن موجودة أيام نزول القرآن الكريم علاوة على أن سرعتها غير محددة فإنها تزداد بازدياد تقدم العلم

والسرعة التى وصل إليها الإنسان باستخدام الخيل هى ٦٠ كيلو متراً فى الساعة .

ولنحسب المسافة التى يقطعها الإنسان إذا ما استخدم الخيل وسار بها لمدة خمسين ألف سنة .

وباعتبار متوسط عدد الأيام للسنة الهجرية والميلادية هو ٣٦٠ يوماً .

٥٠٠٠٠سنة = ٥٠٠٠٠ × ٣٦٠ × ٢٤ساعة

= ٤٣٢٠٠٠٠٠٠ ساعة .

وباعتبار المسافة المقطوعة فى الساعة الواحدة هى ٦٠ كيلو مترا كما أوضحنا .

* المسافة التى يقطعها الإنسان فى مدة ٥٠٠٠٠ سنة .

= ٦٠ × ٤٣٢٠٠٠٠٠٠ كيلوا مترا

= ٢٥٩٢٠٠٠٠٠٠٠ كيلو مترا

وهكذا يتضح أن المسافة التى تقطعها التموجات الأثيرية فى يوم واحد فقط تساوى المسافة التى يقطعها الإنسان بفرض أنه تمكن من السير لمدة خمسين ألف سنة بالسرعة المعلومة التى توصل إليها .

محمد عبد الرحمن سيد فهمى
مهندس بمشروعات السكة الحديد

حول كتابة المصحف :

جاءتنا ثلاث كلمات فى التعقيب على ما نشره الأستاذ محمد رجب البيومى فى العدد الأخير من مجلة الأزهر عن كتابة المصحف الكريم بالرسم الحديث : الأولى من الأستاذ حسام الدين القدسى يؤيد الفكرة ويختم قوله برأى للمرحوم الشيخ حسين والى فى كتابه (الإملاء) ص ٤٩ قال فيه : « لو كتبنا القرآن بخطنا المستعمل الآن خرجنا من العهدة وقمنا بالأمر أحسن القيام ، كمن كلف شيئا ففعل خيرا منه ؛ لأنك قد علمت أن الخط الحاضر أحسن مما كان عليه من

الطريقة القديمة التي كانت في زمن الصحابة رضي الله عنهم ».

أما الكلمتان الأخريان فتعارضانها: الأولى للأستاذ عبد الوهاب عثمان يونس من علماء الأزهر، والأخرى للشيخ محمد السباعي عامر المدرس بقسم القراءات بكلية اللغة العربية.

يقول الأستاذ عبد الوهاب عثمان يونس:

استولت على الدهشة عندما قرأت في مجلة الأزهر (جمادى الآخرة سنة ١٣٨٠ هـ) أن عالما أزهرياً يدعو إلى تغيير كتابة المصحف الإمام في وقت تعرضت فيه الديانات لهجوم عنيف تارة وهمز ولمز تارة أخرى.

وإذا كانت هذه المشكلة قديمة قدم الإسلام، ولدت معه، وعاشت معه هذه القرون الطويلة. ولم يقتصر الشعور بها على عصرنا الحاضر. فماذا فعل المدرسون السابقون مع طلابهم حتى نجحوا في حفظ القرآن على ما هو عليه، فليت شعري كيف حل المدرسون الأول من عهد عثمان إلى الآن هذه المشكلة وسهلوا لتلاميذهم حفظ كتاب الله كما أنزل.

ومع أنهم لم يخف عليهم أن صناعة الكتابة وصلت في عصور الإسلام الأولى الذروة في الإتقان. فإنهم لم يقبلوا أن يمس الرسم الذي رضيه كبار الصحابة وأئمة الصدر الأول، وهم خير رجال هذه الأمة.

أما ما ذكره الأستاذ البيومي من الأدلة على أن التغيير قد حصل فعلا في الصدر الأول، فإليك تلك الأدلة، وستري أنها في واد والدعوى في واد آخر.

يقول الأستاذ: إن المصحف الإمام لم يكن به نقط، ولا شكل، ولا فيه أسماء السور، ولا أرقام الآيات ... إلخ ونحن إذا علمنا أن أصل الموضوع إنما هو المحافظة على رسم حروف الكلمات كما كتبها كتاب الوحي الأول، وأن ما ذكره الأستاذ إنما هو من الأمور الشكلية التي لم تمس رسم تلك الحروف في شيء، نعلم أن هذا الدليل قد انهار من أساسه.

أما قوله عن ابن خلدون إنه: (أفاض إفاضة مليئة في الدعوة إلى ترك الرسم العثماني) فهو قول بعيد عن الحقيقة. لأن ابن خلدون فضلا عن أنه أشار إلى عدم المساس بالرسم العثماني حيث قال: (رسمه الصحابة بخطوطهم، ثم اقتفى التابعون من السلف رسمهم فيها تبركا بما رسمه أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم. وخير الخلق من بعده، المتلقون لوحيه من كتاب الله، اقتفى التابعون الصحابة كما يقتفى في هذا العهد خط ولى تبركا ويتبع رسمه صوابا وخطأ وأين نسبة ذلك من الصحابة فيما كتبوه؟ فاتبع ذلك). ومعنى هذه الجملة الأخيرة من كلام ابن خلدون أنه إذا كان الناس في العهد الأخير يقتفون خط الصالحين

تبركا ، ويتبعون رسمهم صوابا أو خطأ . فاتباع رسم الصحابة أولى ، لأن منزلتهم أعلى من منزلة أكبر صالح من غيرهم ، فعليك باتباع آثار الصحابة .

ثم بعد كتابة ما تقدم أرشدنى بعض إخوانى إلى ما جاء فى مقدمة تفسير القرآن الكريم لفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ عبد الجليل عيسى فوجدت فيها : لما رغب كثير من المسلمين فى كتابة القرآن على طريقة الإملاء الحديثة تصدى لمحاربة هذه الرغبة مؤمنون بصيرون بالعواقب . غيورون على قدسية الكتاب الكريم . وكان الصواب حليفهم فى محاربة هذه الرغبة ؛ لأن القرآن هو عمدة هذا الدين ، وطرق الإملاء الحديثة تختلف باختلاف أقطار المسلمين ، بل قد تختلف باختلاف جوانب القطر الواحد ، وإذا فتح باب كتابة بالإملاء الحديث ، تسرب له ما تسرب للكتب السابقة من التحريف والتغيير ونال من قدسيته ما نال من قدسيتها ، فأثر فى قيمتها الدينية والعلمية .

وقد يحسن ألا نغادر هذا المقام قبل أن نسجل لفتة نبيلة بدرت عن محكمة استئناف مصر منذ أمد ليس بالبعيد ، نقلها إلينا رجل فاضل عن الأستاذ على منصور المستشار بمجلس الدولة ، تلك هى أن المحكمة حكمت بمصادرة مصحف كتب بما يخالف إملاء المصحف الإمام ، ملاحظة فيما لاحظته أن الأمم الراقية تحافظ على آثار سلفها وتقدسها ، ومن ذلك أن الشعب الانجليزى مع تغير كثير من كلماته وطرق إملائه عن العهود فى عصر شاعرهم العظيم شكسبير ، فإنه لم يسمح لطابع ما ولا لناشر أن يكتب أشعار شكسبير بغير لغة العصر الذى عاش فيه . لأن شعره أصبح فى نظره مقدسا ، لا يجوز المساس به حتى فى طريقة إملائه ، أفلا يكون أولى بالمسلمين ، بل الواجب عليهم ، وهم يقدسون كتابهم أشد من تقديس الانجليز لشعر رجل عظيم منهم أن يحافظوا على إملائه كما هو ، لما سبق ، وللمعنى الذى أشار إليه ابن خلدون فيما تقدم . اللهم وفقنا للصواب . واحفظ كتابك من التعرض للتغيير والتبديل .

أما الأستاذ السباعى عامر فيستند فى معارضة كتابة المصحف الشريف بالإملاء الحديث إلى أمرين : الأول أن هذا الإملاء الحديث قد يتغير فى المستقبل ، فكيف يكون الحال عندئذ ... ؟ هل يتغير رسم المصحف أيضا فيصبح القرآن الكريم عرضة للتبديل والتغيير ... ؟ أم يبقى على رسمه الإملائى الحديث ـ الذى أصبح قديما ـ فنعود كما نحن الآن ... ؟ أليس من الخير أن نبقى رسم

المصحف كما كتبه الصحابة والمسلمون من عهد عثمان إلى الآن . . ؟ .

والأمر الثانى : هو إسقاط رأى ابن خلدون الذى استدل به الأستاذ البيومى . فإن ابن خلدون ليس حجة فى القراءات ولا فى علوم القرآن . وقد وضع ابن خلدون أسسا للتاريخ فى مقدمته ثم نقضها فى تاريخه . على أن رأى ابن خلدون فى إجازة رسم المصحف بالإملاء الحديث يعارضه رأى الأئمة الأعلام من كبار الصحابة والتابعين وغيرهم . وليس رأى ابن خلدون نديداً لرأى هؤلاء جميعا ، ولا هو خيرا منهم . بل هم خير منه .

ثم يقول الأستاذ السباعى – وهو كفيف – :
وقد أشرت فى كتابى « الألفية فى اللغة الانجليزية » إلى ما يوجد فى هذه اللغة من الخلاف بين ما يكتبونه وبين ما ينطقون به بقولى :

أما بنو جرجى فليس يغلب
توافق بين الذى قد يكتب
لديهم وبين ما به لفظ
بل يكثر الخلاف حسب ما حفظ
من ذاك قولهم « ونس » فحقق
فإن دى فى الخط لا فى المنطق
و « نايت » ، « ورايت » قد زيد فى
كليهما إتشا وجى فلتعرف
وربما تلقاه فى الختام
كبال وام فى الميم ثم اللام
ومثله « آر » ، « وإن » فى الراء
والنون ، هكذا يراه الرائى
والاسم قد يخلو من المسمى
كا « لإنش » فى الهاء وقيت الذما

إلى أن قلت :

وإن ترد ما شذ عما مرا
أرهقتنى من عند أمرى عسرا
وصادقا تقول ما من قاعدة
إلا وأشيا عن حماها حائدة
كثيرة مرجعها للصم
لا للقياس وصحيح الفهم

والمشكلة بعد هذه الأرجوزة الطريفة لا تحل بذكر ما قال العلماء فى هذا الموضوع فإنه معلوم ، والمهم أن نتلمس فيما قال العلماء رأيا يجيز كتابة المصحف بالإملاء الحديث تسهيلا على القارئ العادى فإن اطمأنت قلوبنا إليه أخذناه وإلا أغفلناه .

تصويب آيتين بالجزء السابق :

وردت فى مقال الأستاذ محمد رجب البيومى الذى نشر بالجزء السابق — آيتان محرفتان ونعيد كتابتهما هنا صحيحتين ، والآيتان الكريمتان بصفحة ٥٨٨ وهما : « ولا تيأسوا من روح الله » . « أفلم ييأس الذين آمنوا » .

لا تظلموا الدين :

قرأت فى عدد الجمهورية الصادر فى يوم السبت ١٢ – ١١ – ١٩٦٠ تحت عنوان :

حديث الأسبوع هذه العبارة : « ويعود توفيق الحكيم بذاكرته إلى السنوات الأولى لهذا المسرح الجديد فيقول : كانت الحركة الأدبية فى ذلك الحين : حوالى سنة ١٩٣٠ حركة منفلوطية لغوية جامدة . معظم القائمين عليها من خريجى الجامعة الأزهرية ، الذين كانوا يقرءون الأدب بالدين واللغة وقواعدها بسنن الوضوء والزكاة المقدسة التى لا تقبل النقاش أو الجدل ، وكان من المستحيل على عقلية كهذه أن تقبل أن يؤلف للمسرح ، إذ المسرح والتمثيل كانا أشياء ينظر لها على أنها وسائل وضاعة وانحلال » .

وقد حاولت أن أجد لهذه العبارة وجها حسنا أحلها عليه ، فلم أجد ، ولم أستطع أن أفهم منها إلا أمرين :

أولهما : أن الحركة الأدبية فى سنة ١٩٣٠ كانت منفلوطية لغوية جامدة .

وثانيهما : أن سبب هذا الجمود هو الدين الذى لا تصلح فرائضه ولا سننه ولا مثله وأخلاقه أن تكون مادة للأدب المتطور .

وليس من ريب فى أن هذين الأمرين يجانبان الحقيقة ، أما الأول : فلأن الأفذاذ الذين خلدوا ذكرهم بما تركوه لنا من روائع فى الشعر والنثر ، هم أساتذة سنة ١٩٣٠ وما قبلها . وكيف نستطيع أن نصف أدب شوقى وحافظ والمازنى والرافعى والبشرى وغيرهم من أعلام الأدب بالجمود .

أجل كيف نستطيع أن نرمى إنتاج الأدباء فى هذه الفترة بالجمود ، وبيننا اليوم منهم قمم لايجرؤ أحد أن يتطلع إليها أمثال : طه حسين . والعقاد . والزيات ، وغيرهم من أئمة الأدب .

ثم لو كان الدين جامدا ، لوقفت تعاليمه ، وتجمدت فى جزيرة العرب ، بل فى مكة والمدينة ، ولما استطاعت أن تنساب إلى الآفاق البعيدة فتغمرها ، أو بعبارة أخرى : لو كان الدين جامداً لما ظهرت فى رحابه حضارتنا الإسلامية بما فيها الأدب - التى سيطرت على معظم دول العالم قرونا عديدة ، وتتلمذت عليها هذه الحضارات التى نتدله بها تاركين الأصل الذى نبت فى ربوعنا .

هذا بالنسبة للدين عامة ، أما بالنسبة لما خصصته بالذكر من سنن الوضوء والزكاة المقدسة فأسفاً ومعذرة بالنيابة عن هؤلاء الأفاضل الذين درسوا اللغة وقواعدها بسنن الوضوء والزكاة المقدسة ، لقد شرفت اللغة ، وشرفت قواعدها ، إذ درست بسنن الوضوء ولو درست أيضاً بنواقضه ، لنالت من الشرف ما لا يستطيع أن يحققه لها المسرح والسينما على وضعهما الراهن .

وبعد : فالدين بما فيه من سنن الوضوء والزكاة المقدسة يمد يده بما يسهم فى تربية المواطن الصالح ، بما فى ذلك المسرح والسينما .

عبد الله محمد الفرماوى

OUR THREEFOLD REVOLUTION NEEDS A FOURTH ONE

by

AHMED HASSAN EL-ZAYAT

Editor - in - Chief

The United Arab Republic lives today in a threefold Revolution as its great agitator, Gamal Abdel Nasser truthfully said ; a political revolution to provide freedom and stabilize liberation on the basis of unity and neutrality ; a social revolution to furnish democracy and build society on the basis of equality and fraternity ; and an economic revolution to ensure socialism and establish wealth on the basis of justice and cooperation.

This threefold revolution is the center of the laborious wise power of the nation. It was initiated by a strong flexible hand which sought ruling as a means of reformation, tearing down for rebuilding and ploughing for planting. Thus, the whole nation from Aswan to Al-Qamsheli, is dynamic in its will and determination.

But this constructive revolutionary power alone, no matter how much it produces or initiates, cannot provide the suitable surroundings for the human being unless we consider him a mere animal - with just a stomach but no heart ; with just emotion but no mind - rather than human, who on the ladder of God's creation, occupies the middle range between beast and angel. His physical entity attaches man to earth, while he is connected with the sky by his spiritual attainment.

Yes, it is possible that the threefold revolution, with its physical and mental power, may soften the iron, cultivate the stone, conquer the Nile, spread knowledge, make life more comfortable for the worker and the peasant, and supply the army and the police with more powerful weapons. All this is possible, but the threefold revolution cannot fill the closed heart with piety nor can it revive the dead conscience. The evidence is that there are still amongst us the bribee, the defalcator, the thief, the forger, the loose character, the subversive, the hybocrite, the traitor,

and those selfish opportunists despite the fact that our nation has improved in the last eight years to the degree that, internationally we are heard whenever we speak, are given when we demand, find the result of our work, and harvest the fruits of our plant in the shade of a democratic regime and socialistic system both of which guarantee the individual as well as the nation the cooperation of each other. A Fourth Revolution, therefore is necessary to function as the intuitive spirit of this threefold one, serving as its guiding ray. This needed revolution is the religious one.

Perhaps the pious taste does not tolerate mentioning revolution beside religion. The connotation of revolution for a long time gave it the mean ing, of rebellion, precipitancy, tyran ny, persecution and assassination. But the Nasserite revolution - the first of its kind in human history - has changed this old connotation. It now denotes liberation, purification, construction, evolution and reformation, for it did not colour its white page with bloody spots, nor did it cover the black spots of the previous regime with anything less than good manners.

According to this new interpretation of revolution, we need a religious revolution. Religion by nature and definition is a continuous revolution against corruption and evil, and war against injustice and inequity. As long as those evils exist on earth revolution should continue and war should be declared. All that is needed is to increase the flame of religion and brighten its light in order that our general Revolution may find in its heat a source of strength and in its light the origin of guidance.

The reformer who is chosen, in the series of reformers, to revive what has been forgotten, define what has become vague, and reconstruct what collapsed, is the man who can uncover the word of God and define the message of Muhammad. Such a man realises that corruption in government and in politics, and that feudalism have weakened the religious impulse. Thus, the light of Islam became dark in the conscience of the Muslim whose religion deos not resemble that of the early Islamic generations who conquered the world.

Islam today became a strange mixture of old traditions, false sufism, handed-down myths, and alien customs which deceive the believers that Islam is not concerned about this life, and the Muslim is not concerned about material things. Such people think that their superstitious beliefs represent the spirt of religion and lead to the path of heaven and the mercy of God. They do not lack support of some false opinions or fabricated traditions.

It is a pity and plague for Islam that, when its people became weak and its sovereignity decreased, many foreign elements penetrated its body to the degree that everyone was able to interpret it to suit his desires

The religious revolution, then, as I mentioned, aims at liberating the mind from the impotent leadership and blind imitation. It also aims at purifying the traditions from the false Hadiths - after that the jurisprudence can be rewritten in the light of the original Islamic sources, Qur'an and true Hadiths to suit the conditions and circumstances of time as well as to face the problems of civilization. Finally, this purified true Islam can be Exhibited in its attractive from and straight style.

That is what should be considered by the Republic in National Planning for the net ten years; for the Constitution's declaration, that Islam is the official national religion, does not make sense unless the effect of religion can be seen in the processes of socialization, education, egislation, and morality.

To execute such a vital policy, no institution can function or perform this duty as efficiently as AL-AZHAR. AL-AZHAR, the radiating centre of Islamic thought and culture, has a unique history, position and capacity, and is the most capable institution for disseminating the great Message and orienting the big nation. This can be done if Al-Azhar is entrusted with the plan drawn by the Revolution to play the role defined by the General Conference of the National Union, "The Conference - believing in the vital role carried on by the Honourable Azhar in respect of our Holy struggle defending Arabism and our spiritual values - declares its insistence this great Islamic Institute in order that it continues to be the light - house which sends its spiritual and scientific rays to every part of the world. And as to enable it to join the evolutionary movement of our present time, the Conference recommends that AL-AZHAR should be secured the means by which it can become a useful Institute for serving our spiritual and national aims and to liberate our Arabic Nation as well as to materialize its overall unity in the frame of true national conception".

The central core of the Message of Al-Azhar is to reserve the Islamic heritage and purify it from strange beliefs, false doctrines and harmful innovations. After that, Al - Azhar should spread true Islam all over the world via education, writing, translation, and missionary work.

Its means to this end, in my opinion, is to work on collecting this

unorganized divided heritage into three sections : the first for interpretation and explaining the Glorious Quran in the light of true Traditions and real science ; the second for Traditions , collected from the trustworthy books, assisted in explanation by the sciences of history, sociology, ethics, and philosophy ; the third for jurisprudence. This last section will include the right verdicts and true doctrines. The text of this section should be articles like law being explained in legal terms in such a way that it refers to the origin and mentions the branches without interpolation or vagueness.

These three sections will be the subject of study, the reference for judicial purpose, and the source of legal decision. From these three texts, some abridged books may be written for the schools and to be spread among the public. These abridged books can also be translated along with the texts into most of the Oriental Languages as well as into the famous languages of the West and then be sent to every country that knows Islam or desires to know about it.

Except for those writings on the three sections, all the previously written books on jurisprudence, interpretations and collections of traditions should be reviewed and divided into two categories : those which contain truth may remain in the libraries as references for specialists and historians ; and those which contain false knowledge should be done away with as did Othman with every Quran except his own. For, preserving the fabricated Hadiths and false beliefs is very injurious, dangerous and misleading.

I remember that a great scholar, who passed away, presented a thesis in French to the Sorbonne on " The Status of Women in Islam ". The writer in his thesis did injustice to the Prophet's characteristics, religion and moral life. When he was disputed, the writer supported his claims by Traditions mentioned in " Tabakat Ibn Sa'ad " and in " Al - Shifa " by Al - Qadi Iyad. When his evidence was rejected because those Traditions were not true, the writer said, " How can I know that such Traditions are not true in view of the fact that I quoted respectable writers and widely read books ? ".

Every now and then people read different opinions and different books written by such scholars who are misled and deceived by such books. The critics of Traditions most likely do not have the chance to

bring their attention to the mistakes before the spread of the opinions and the books.

Had the false Traditions not been available to those who cannot distinguish between them and the true ones, the suspicion about faith could have been limited.

The Fourth Revolution, then, serves one of the Revolution's aims. It is also a necessity in the process of Reformation and in the nature of religion as well as in the responsibility of Al-Azhar.

When this Fourth Revolution matures with its sister, it can cast off the dirt and purify God's Religion from the poison of innovation and sects and congregations in order that people may imbibe it filtered. Then, such a Revolution will be apt to construct for the Arabs an ideal society which walks on God's path, guided by truth, surrounded by knowledge and conscience. When the construction of such a society is completed, you will not find any longer the evils committed in the governmental departments, nor the catastrophies taking place in the houses, nor the queer characters seen in the streets, nor the shortcomings in our transactions. Therefore the reformers will be pleased to see the harvest of the Revolution, the citizens will be proud of the Nation's status, and the believers will rejoice in the victory granted them by God.

THE POSITION OF WOMEN IN ISLAM

by

His Eminence Shaykh Mahmoud Shaltout

Rector of Al-Azhar University

Women in thc Quran

The Glorious Qur'an has dealt with Woman's affairs in more than 10 Suras (Chapters) two of which are called the major and minor suras of women, i.e. the Woman's sura and the Divorce Sura. The subject of women has been dealt with in the chapters of the Cow, The Table, The Light, The Confederates, the Woman Who pleads, the woman to be examined and the Prohibition.

This clearly indicates that Islam protects women and affords them a status whereby they enjoy rights and previleges in Islamic society. This status, however, was not accorded to any woman before the advent of Islam, in any divine law or man made society. Nevertheless the position of women in Islam has been the subject of much discussion and one of the most controversial topics. Various opinions have been expressed and some of them for instance, assume that Islam filched her rights, degraded her status and made her a trivial means of enjoyment at the disposal of men, but the Qur'an says:

" And women shall have rights similar to the rights against them, according to what is equitable"(Surah 2. Verse, 228).

In point of fact the subject has not been discussed in a just and equitable manner but rather viewed with religious bias and prejudices. In other words, it has been looked at with a jaundiced eye.

Personal Affairs :

Among the bitter consequences that resulted from foreign occupation of our land and the Imperialists, systematic inroads our institutions and beliefs has been the rejection by Muslims of the criminal and civil laws ordained by Islam. Nothing was left in the Islamic Law except certain rules governing family and women in particular. Even this remainder of Islamic legislation has not been left

without further campaigns mainly based on false pretences as a defence of women's rights. To achieve this they began to porPagate their deceptive and base methods to lure women and win them to their side. Furthermore, false doubts have been cıeated in many minds regarding this aspect and inaccurate pictures have been protrayed in many minds as to the real status of women in Islam.

The Western Woman:

Islam in fact, has given woman all good and kept her away from any evil. It has just illustrated what is meant by liberty and to what extent she is entitled to enjoy this liberty and freedom not as conceived by Western civilization. I am quite sure that the Western woman, when she realizes her human nature, would shed tears on the lost prestige, honour and happiness. Any woman, whosoever would certainly realize, sooner or later, that the only shelter to which she might restore and in which she might feel secure and honoured are the divine teachings of Islam whose antagonists are desperately endeavouring to defile or depict Islam as mere fetters enchaining women and depriving her of her natural rights.

In the following pages we shall andeavour to portray the real position enjoyed by a woman in accordance with the teachings of Islam as laid in the Holy Qur'an with a view to guide people regarding the rights, the injunctions and the status of women and the place accorded to her in society. She is considered as the foundation upon which the edifice of Islamic Society is built, and should her rightful place be in any manner be affected or weakened, then society looses its strength and its integrity.

The origin of Man.

The Holy Qur'an attributes the existence of mankind to the partnership of man and woman, and does not distinguish between them. With the passage of time mankind became grouped into clans. tribes, families and individuals. Accordingly man enjoyed a state of baternity while the woman enjoyed a state of maternity. The Glorious Qnr'an considered this as a blessing bestowed upon man and made it incumbent upon him to be thankful to his Creator and ordained him to be pious, virtuous, righteous and dutiful to God.

To illustrate this point of view, we may state that there lies no distinction between man and woman in humanity. The only distinction which elevates one another is the virtuous characteristics which either of them

acquire to realize the virtuous standard of humanity. This is more fully illustrated in the following, "Oh Manking, reverence your Guardian Lord, Who created you from a single person, created of like nature his mate, and from them twain, scattered (like seeds) are countless man and women" (Surah, 4. V, 1.). And "Oh Mankind, we created you from a single (pair) of a male and female, and made you into nations and tribes, that you may know each other (not that you may despise each other). Verily the most honoured of you in the sight of God is (he who is) the most righteous of you" (Surah, 49. Verse, 13).

The Quranic Teachings give man and woman an honoured place and enjoin their chidren to bestow kindness towards their parents; "Servv God, and join not any partners with Him! and do good to parents." (Surah, 4. Verse, 36)

The Quran goes further and demonstrates the exhaustive efforts and endeavours and the burden of the mother in bringing up her children and which the father is exempt from, and is aptly described as follows, "And we have enjoined on man (to be good) to his parents! travail upon travail did his mother bear him, an in years twain was his waning" (Surah, 31. Verse, 14.)

The mother's position is further illustrated in the answer of our Holy Prophet (O. W. B. P) when he was asked by a man, "Who deserves my good company?", the Prophet said: "Your Mother". The man repeated "Who is next?", to which the Prophet again replied "Yaur Mother". Once agatn he asked the Prophet "Who is next?" to which the Prophet again replied "Your Mother". Then the man asked again "Who is next?" to which the Prophet said "Your Father".

Legislation is in accordance with Nature :

What is really meant to be conveyed by the aforementioned paragraphs when the Quran ornained children to sho respect to their parents and in particular to bestow kindness upon the mother, is the fact that this is in conformity with the nature of creation, and the nature of women whose hearts ara filled with tenderness and sympathy. This is amply demonstrated during her period of pregnancy, and lactation, the early upbringing and care of her children till they reach the age of maturity.

If we compare the Islamic teachings with the nature of creation, we shall find that the Islamic law is based upon a logical reasoning and

is in harmony with the necessities of nature. Under Islam the mother is considered the first nurse who brings up the child and nurses him up to a stage after which the father is deemed the second nurse who is responsible for the sustenance and maintenance of his family.

Similarly it stipulutes that the money should be earned through just and lawful means and spent reasonably and neither extravagantly nor niggardly. Furthermore it stipulates that the relationship should be on the basis of amity and cooperation without exploitation or subjugaiton.

Response to the Call of Life.

We note that Islam is the comprehensive answer to the Call of Life and it is the straight path to those who understand it and relate it to its original sources.

Those critics who state that Islam is no longer adaptable to the present needs fall into the following tow categories :

(i) Men who received the Islamic teachings from persons who misunderstood it and who strayed from the straight path, and held what they believed in as religion.

(ii) Men who know Islam well and its values, but who would not accept it due to their inherent prejudices and their bitter antagonism towards it. These persons indulged in unwarranted and fallacious criticism and attributed to Islam a false notion to suit their vicious whims.

It is incumbent upon zealous Muslims to adhere to their old Traditions and to convey the Divine Message to the world. They have to abandon and disregard the age of immitation and to adopt the attitude to progress rather than stagnation. Thay must re-read the Book of God and the Traditions of the Holy Propht in ordnr to get a clear perspective and proper understandidg of the religion.

Woman is responsible.

Islam holds the woman responsible for her actions; she is considered independent and responsible for her own actions, her religiaus duties, her family and her society She enjoys a much responsibility as man and is rewarded for her meritorious deeds as well as punished for her misdeeds. Man's obedience does not accrue to her benefit so long as she deviates from the correct path and similarly his disobedience does not affect her so long as she leads a virtuous, pious and righteous life. In this connection the following words of Almighty God is worthy of note, "If any do deeds of righteousness, be they male or

female and have faith, they will enter Heaven, and not the least injustice will be done to them". (Surah, 17. Verse, 124).

and He also says "And their Lord accepted of them, and answered them. Never will I suffer to be lost the work of any of you, be male or female: you are members, one of another" (Surah, 32. Verse, 195).

Let us Pause here for a moment and consider what was contemplated by God in the aforegoing verse "You are members, one of another" and how he restrains the superiority of man by making him a part of the waman. Nothing whatsoever could illustrate the sense of equality between man and woman better than the said verse which demnostrates the nature of both of them without any distinction. The Holy Quran refers to that notion in the following words: "To men is allotted what they earn, and to women what they earn". (Surah, 4 Verse, 32).

This is the Islamic Law as ordained by God; the woman is responsible for what she dose and the man is responsible for what he does; and neither of them is responsible for the other's sins. God, Glorious be He, says, "God sets forth, for an example to the unbelievers, the wife of Noah and the wife of Lutt: they were (respectively) under two of our righteous servants, but they were false to them (husbands), and they profited nothing before God on their account, but were told, "Enter you the Fire along with (others) that enter". And God sets forth as an example to those who believe, the wife of Pharoah: Behold she said, "Oh My Lord! build for me in nearness to You, a mansion in the Garden, and save me from Pharoah and his doings, and save me from those who do wrong".

Woman's responsibility is common and comprehensive.

Thus we have already seen that woman has personal responsibilities towards har religious duties and herself. Yet Islam considers her as having general responsibilities as regards enjoining good, the exhortation to justice, the guidance to virtues and the forbiddance of vices. The Qur'an has openly declared these responsibilities and made the woman similar to man therein. It says, "The believers, men and women protectors, one of another; they enjoin what is just, and forbid what is evil; they observe regular, prayer practise regular charity and obey God and his Apostle. On them will God pour His mercy: for God is exalted in Power, Wise". (Surah, 9 V. 71).

And goes further to state, " The

Hypocrites, men and women, (have undarstanding) with each other. They enjoin evil and forbid what is just, and are close with their hands. They have forgotten God; so He has forgotten them. Verily the hypocrite are rebellious and perverse. God has promised the hypocrites, men and women, and the rejectors of faith, the Fire of Hell: therein shall thay dwell; sufficient is it for them ; for them is the curse of God, and an enduring punishment ". (Surah, 9 V. 67 - 68 .) .

It is of paramount importance to note that the enjoining of good and the forbiddance of evil is one of the most important responsibilities in Islam in which man and woman are equal. Therefore the teaching of Islam stipulates that the woman should be passive and leave the enjoining of good and the forbidding of evil to man only under the pretext that it is a matter for him alone as he is stronger than her. This is attributed to the fact that man has his own circle and woman has her own, and life can by no means be prosperous unless both of them coordinate and cooperate. If either of them becomes egoist or takes a passive attitude, then life would inevitably deviate from the straight path.

Woman's views in Islam :

Furthermore Islam has raised the status of women and decreed that in return of her responsibilities, her views, like those of men should be respected so long as they are valid and sound. If Islam attested the views of some men, it also chose some views pertaining to women.

The Chapter of AL MUGADALAH (the woman who pleads) started with four verses which were revealed on the occasion of an event that occured between a man called AWS son of AL-SAMET and his wife KAWLA daughter of THAALAB. AWS said to his wife, " You are to me like my mother" - it was the habit of the Arabs in the pre-Islamic era that if a man addressed his wife in the said manner, he was not permitted to have sexual reletions with her - and then he invited her to have sexual intercourse but she refused him and said, "By God's name, I would not allow you to contact me sexually, after wat you have said, until God and His Messenger judge between both of us". Then she come to the Messnger of God, on whom be peace, and said, "O' messenger of God, I tell you that AWS married me while I was a desired girl but when I became old and ugly he made me like his mother ; and if you have any solution, O' messenger of God, to this Problem, please say it to me ". The Messenger, peace and mercy of God be on him, said, " I have no solution to your problem

up to this moment but I think you are no longer his wife". she said "But he has not uttered the divorce formula". The woman continued her discussion with the Prophet which was protracted, until she said " I have little children who would starve if I took them and would be lost if he took them". Then she raised her hands upwards and turned her face towards heaven and said, "O' God : I am pleading to you, I beg of you to reveal a verse concerning my case at the tongue of your Messenger". No sooner had she finished her Petition when the four verses tackling this problem were revealed. In this connection the Quran says.

"God has indeed heard (and accepted) the statement of the woman who pleads with you concerning her husband and carries her complaint (in prayer to God); and God (always) hears the arguments between both Parties amongst you; for God hear and sees (all things)". (Surah, 58. Verse, 1).

These verse are meant to denounce these who address their wives in such terms, to put an end to these fallacies and lies and to declare that AL-ZIHAR (the assimilation of one's wife to his mother) is neither divorce not a cause for separation.

"Nor has He made your wives whom you divore by ZIHAR your mother" (Surah, 33. Verse, 4) and "If any men among you divorce their wives by ZIHAR (calling them, mother), they cannot be their mothers; none can be their mothers except those who gave them birth. And in fact they use words (both) iniquitous and false". (Surah, 58. Verse, 2).

Moreover, you could see in the first verse of the chapter of AL-MUGADALAH how God actually elevates the sratus of women, how he appreciates and respects her opinion, how he makes her an interlocution to the Prophet when He equalizes both of them in his saying, "And God (always) hears the arguments between both sides amongest you", (Surah, 58. V, 1.) and how He legalizes her opinions and makes it an article of the comprehensive and eternal Muslim Law. You would certainly realize that the verses concerning AL-ZIHAR and its injunctions in the Islamic Law as well as in the Glorious Quran, and that the chapter of AL-MUGADALAH are not but natural consequences emanating from women's thought, a divine eternal decree in which we observe throughout a handsome picture of a waman's position in Islam. A woman is not a mere flower whose sweetness a man enjoys but on the contrary she is considered a rational being capable

of sound thinking and capable of expressin a considered opinion and wellfonded views.

Teaching of Women.

Thereis no doubt thot the responsibilities which rest oo the shoulders of a woman affords her an apportunity and a right to ascertain and study everything that would enable her to perform her obligations that arise from the responsibilities which she is called upon to undertake. She is called upon in the light of these responsibilities, te enjonin justice and forbid evil, and lead a life of piety, righteousness and virtue.

Therefore. Islam has tacked the woman with the knowledge of creeds and worship as well as with the knowledge of the permissible and the forbidden regarding diet, drinks and other activities of life.

We do not recognize any religious distinction whatsoever between man and woman regarding their capacity in performing their religious duties except that the woman is requested to Perform her religious obligations prior to the man due to the fact that she reaches the age of puberty before him.

In some instances Islam has exempted women from performing certain religious duties, but this does not mean that she is incapable of performing these duties but it is rather an indication that Islam aims at mere mitigation to afford her an opportunity to rest calm and pay attention to her household duties and the upbringing of her children. These duties are the performance of the Friday Prayer and the participation in AL-JIHAD (the religious defence) respectively, but if she prefers to attend the congregational prayer or to take part in the war, there will be no restrictions against her doing so.

Participation of Women in War:

This is a caption laid down by the AL-BUKHARI, the Traditionist, in his book which deals with the Prophetic Traditions wherein he narrates that a woman in the age of the Prophet said, "We have fought with the Messenger of God, peace and mercy of God be upon him, we had been giving hand to the warriors, supplying them with water, nursing the wounded and burying the dead martyrs" .

Another woman narrates, "I have participated with the Messenger of God in seven battles, looking after their goods, serving their meals, nursing the wounded and the sick". ANAS, one of the companions of the

Prophet, says, "It was the habit of the Prophet to take some women with him in times of war to supply the warriors with water and to nurse the wounded".

However, nursing the sick, healing the wounded and serving the army had been a primitive and easy matter during the reign of the Prophet, but now it has become an intricate and difficult task which requires certain preparation and training. Women, therefore, in order to perform this noble duty would have to study the various methods pertaining to such duties.

In this connection certain Jurists have expressed the opinion that if the nation is attacked, then participation in times of war would be the task of every individual, whether man or woman, in society. The burden of the defence of the nation rests on all irrespective of the fact whether they be man, woman or boy. The following linse will clearly illustrate this Point, "God Ye forth, (whether equipped) lightly or heavily, strive and struggle with your goods and your persons, in the cause of God" (Surah, 9. Verse, 41).

This is the first and foremost field in which we find that Islam has decreed that women should participate and cooperate with man. This principle has been drawn up since the Call of Islam and since the Muslims began to defend their faith. But the present word is experiencing a period of diversity and transition which directly influence all conditions and institutions. Therefore, in order to maintain the dignity of women, if it becomes necessary for her to make her contribution towards the common struggle, we must put her in the proper place which will protect her from any indecency or frivolity, and also from the evil intentions of ill-hearted people who may be members of the army or of the society to which she belongs.

This is a matter which could be easily organised by leaders with foresight and wisdom and who have a sense of honour and who believe that the moral virtues and the immaculate conceptions are the path to prosperity, success and victory.

Woman in the Pre-Islamic Era:

The attitude previously mentioned has been representative of the Islamic view which destroyed the foundations upon which the heathen Arabs had built and adopted their policy of depriving the woman of her right of inheritance under the pretext that she could not defend her motherland. But Islam has annulled this rule and given her the right to

inherit her legal portion on the ground that it has afforded her an opportunity of volunteering in war.

It is a well attested fact that the Prophet (O. W. B. P.) had granted women the same rights as men, with regard to their share of the spoils and held that it was justified in killing any woman who was in the ranks of the enemy's ranks.

Therefore Islam has fixed a portion from the inheritance for women, whether she be a mother, wife, daughter or sister, and detailed their portion according to their cases. In this regard the Quran says: "From what is left by the parents and those nearest related there is a share for men and for women, whether the property be small or large, - a detremined share" (Surah, 4. Verse, 7).

It has blamed the heathens for their shameful attitude towards women as follows :"And they assign daughters for God ! Glory be to Him And for themselves (sons, the issue) they desire. When news is brought to one of them, of (the birth of) a femal (child), his face darknes, and he is filled with inward grief. With shame does he hide himself from his people, because of the bad news he has had ! Shall he retain it on sufferance and contempt, or bury it in the dust ? Ah ! what an evil (choice) they decide on" (Surah,16. Verse, 57—59).

The Quran openly declares that both male and femal are a blessing bestowed by God upon His bondmen which ordains them to be thankful : "And God had made for you mates (and companions) of your own nature, and made for you, out of them, sons and daughters and grandchildren, and provided for you sustenance of the best" (Surah, 16. Verse, 72).

Islam thereafter granted every woman the right to enter into contracts and other transactions such as the buying and selling of goods etc. It must be categorically stated that Islam has not in any way violated nor affected the contractual capacity of a woman in the exercise of such transactions after she has shouldered both personal and common responsibilities.

Islam therefore permits her to exercise the right of ownership and possession, and to deal with freely whatever she possesses, to appoint an attorney to act on her behalf in legal proceedings and she exercised the right to guarantee others transactions and enjoyed the right to be guaranteed in her transaction. It is

apparent therefore that the position of the contractual capacity of the woman has been quite lucidly stated by Islam and the woman is treated in the same manner as the man in all contractual relations. We are not aware of any Muslim jurist who has contradicted this attitude in Islam who has conceded that the texts in Islam on this subject relate purly to man and not to a woman.

In conferring this contractual capacity on a woman, Islam has considered as a human being both capable and competent to manage her own contractual obligations since the Western woman in the present civilization and the alleged man's rights have not yet reached the standard of women in Islam and has not enjoyed this human right.

Woman's right in entering into matrimonial contracts:

The subject of the woman's right in entering into matrimonial contracts has been discussed at various times and many opinions have been expressed. One could imagine certain voices that would arise from certain quarters and seek to ask: How could it be said that Islam gives the right to a woman to enter into civil contracts while together with some Islamic Schools, it deprives the right to enter into a marriage contract for herself or for somebody else? The other question is how does one reconcile this position with that of the right of the guardian of a virgin female to enforce her to marry another without her consent and whom she does not like. There is no doubt that the woman's self is dearer to her that any other material possession, then one is inclined to ask the question as to what would one feel with regard to the deprivation of her right to express her opinion in a matter which concerns her and which is vital to her whole existence in life.

The answer to these question is that in reviewing the position of women in Islam, we have adhered to the Teachings of the Quran which is the foremost and primary source of Islamic legislation. The Quran grants the woman to make her marriage contract and express her opinion regarding the man she is to be married; and at the same time it warns men from infringing the woman's right in this regard. The following verses will clearly and lucidly give an illustration of the true position.

"If a husband divorce his wife (irrevocably), he cannot, thereafter remarry her until after she has married another husband" (Surah, 2. Verse, 230).

"When you divorce women and they fulfil their term of IDDAT (a limited Period of seclusion upon termination of a marriage whether by death or by divorce) do not prevent them from marrying their (former) husbands, if they mutually agree on equitable terms" (Surah, 2 Verse, 232).

"There is no blame on you if they dispose of themselves in a just and reasonable manner" (Surah, 2 Verse, 234).

The genuine Prophetic Traditions have stipulated that a woman's endorsement and consent should be obtained for her marriage. Such Traditions made it incumbent for the previously married woman to declare her consent openly while in the case of the virgin girl, it would suffice to express her consent and approval by means such as tacit silence or assent by means of an insinuation, because she is comparatively timid. The Messenger (O. W. B. P.) says : "The previously married woman is more responsible of herself than her guardian but the virgin should be asked opinion and her tacit silence or consent is interpreted as her tacit acceptance".

It is not reasonable or customary that the consent of an individual is considered in the validity of some actions.

As long as the virgin is similar to the previously married woman with regard to her judgment and puberty, it is then illogical to differentiate between both of them such as to enforce the virgin to marry one whom she does not like or to consider her exercise of the marital contract as invalid and void.

Furthermore we find in some books of theH anafi Sect that the woman has the right to make her marriage contract because she is deemed capable as long as she is sound and mature. Therefore she enjoys an absolute liberty to deal with her money and to choose her husb and likewise. Similarly Al-Bukhari and Muslim, the Traditionists narrate that previously married woman called Khansaa daughter of Gozam was unwillingly married and her father made the marital contract. She came to the Prophet complaining and the Prophet dissolved her marriage.

Abdullah son of Abbas also narrated that a woman slave belonging to Abu Bakr had come to the Messenger of God and told him that her father had forced her to marry aganist her will; then the Messenger informed her that she was at liberty either to continue her marital fife or to divorce her husband. She said : " I have approved what mother had done to me but I only wanted to show women that their marriage is

not their fathers'affair".

Nevertheless Islam empowers the father and the guardians the right to raise any objection to a marriage if the woman deviates in choosing her husband, or to prevent the marriage when they are absolutely sure of her unwise decision and wrong choice and that she is about to mary a man who is incapable of maintaining her. This is simply because a marriage contract has an affinity with the family affairs; therefore guardians should have some interest in it in order to maintain the dignity and prestige of the family. Thus they are permitted to interfere whether it be by an objection or by prevention, only in so far as the dignity and the prestige are at stake if the contract of marriage was to be performed.

In this respect Ibn El Kayyem has said: "A woman's consent to marriage is ordained by God in Whose religion we believe, and is in conformity with the Hadiths and the Traditions of the Messengers of God and also withe his commandments, the principles of the Law and with the welfare of his people. The father has no right to deal with the possessions of his daughter who is mature and sound' no matter how few these possessions may be, unless she appeases; and he is not allowed to enforce her to spend any trifle amount therefrom unless she acquiesces. Then how could he be said to impose his will and power to foist a marriage on her? It is a well established fact that spending all her possessions is far more easier than imposing the man on her and whom she does not like".

This is the right of the woman in entering into contracts and in dealing with all civil and personal sanctions as laid down by the Quran, the Prophetic Traditions and the origins of Islamic Law.

Man and woman are partners in Life:

In Islam, therefore, we notice that women are obliged to study everything that comes in useful in life for the reason that she is not only held responsible to her self, but also to her family and the society in which she lives. Consequently as a direct result of this urge to seek knowledge, we find that there are in societytoday amongst women, the scientist, the medical practitioner, the writer; jurist and the devout. This has been attributed to her partnership with man in life and her effect on this partnership has obviously manifested itself in many aspects of Islamic Legislation. It must be noted that she is criminally responsible

to the same degree as the man as for instance, the following sura says:

"We ordained there in for them life for life" (Surah, 4. V, 48) and "O' you who believe; the law of equality is prescribed for you in cases for murder" (Surah, 2. V, 178).

Therefore the punishment in the Hereafter, for murder, on a woman is the same as that meted to a man.

"If a man kills a believer intentionally, his recompense is Hell, to abide therein (for ever); and the wrath and the curse of God are upon him, and a dreadful penalty is proposed for him" (Surah, 4. V, 93).

In this verse, God, the Almighty has ordained such penalty or punishment according to the quality of faith in which man and woman are undoubtedly partners. The Islamic Legislators, however, agreed amongst each other that this is applicable to men and women alike.

"O' you who believe; the law of equality is prescribed for you in cases of murder; the free for the free, the slave for the slave, the woman for the woman" (Surah, 32. V, 178).

Some readers who have read of the above, perhaps may assume the idea that a man should not be punished by way of the penalty of death for the murder of a woman and vice versa. There is no doubt that such a misunderstanding would certainly cause an increase of crimes of murder resulting in the extermination of the human being and a serious threat to human society and endanger the existence of the two principal elements, i.e. the male and the female.

In fact the verse is meant to eradicate the custom of the pre-Islamic Arabs who indulged in murder as a mode of revenge or retaliation for the slain and not to build their punishment on the principles of "AL-QUISSAS". It was their custom not only to take revenge against the murderer himself but also against one superior than him. If for example a slave had murdered another slave, apart from the murderer himself, the master of the slave would also face death as a result. If a woman had been murdered by another of the same sex, the revenge will not be limited to the woman who murdered but will be extended to the killing of a man of the tribe to which the woman murderer belonged.

Therefore the revenge will not be limited to the women who actually committed the murder, but would be extended to the killing of a man of the tribe to which the woman belonged.

This pre-Islamic custom has been

dealt with in the said verse by prescribing the law of equality and by recommending mercy.

Man and Woman are equal in compensation.

As long as man and woman are partners in life, sharing the same blood; shouldering the same responsibilities and subject to the same punishments or rewards tn similar cases, it has been said that the verses concerning the unintentional killing of man should be applied to the unintentional killing of a woman. This is because whoever purposefully kills a man or woman, he shall forever abide in Hellfire in addition to incurring the wrath of God.

However if we refer this case to the Qur'an the Constitution of the Muslims, we will find that the verse dealing with compensation for killing is the same in respect of man and woman. For example the following verse states.

"Never should a believer kill a believer but (if it so happens) by mistake, compensation is due: if one slave kills a believer it is ordained that the he should free a believing slave, and pay compensation to the deceased's family". (Surah, 4. V, 93.)

This verse obviously declares that compensation should be paid, in case of an unintentional killing of a man or woman, to the deceased's family without any distinction between male or female in this respect. However there was a difference of opinion among religious authorities as regards the quantum of compensation payable. The question that was in issue was whether compensation was payable in equal manner to both males and females alike or whether compensation for females was only half of what was payable to males. This question has been reviewed by Imam Al-Razi and he has referred to both views on this matter in his comprehensive interpretation of the Holy Qur'an wherein he says as follows "Many jurists see that woman's compensation is half of what is payable to man". Other Jurists have expressed the opinion that compensation payable to a woman is the same as that payable to man.

The grounds on which those who advocate the payment of half to a woman are that Omar, Ali and Ibn Masaaud had considered and applied this; further the woman's share of inheritance being half of what man inherited so must it be in the case of compensation which should be payable in the same manner. Those who argue that compensation is payable in equal terms with man state that this was manifest in the Quranic verse previously mentioned and cite

the following in support of their contention,

" And who kills a believer by mistake, it is ordainedithat he should free a believing slave and shouid pay compensation to the deceased's family". (Surah, 4. V, 92).

It is unanimously agreed amongst all that this verse is both applicable to man and woman alike and hence the compensation payable to a woman must necessarily be the same as that payable to man.

Woman's Inheritance.

There are still many who hold and the opinion that the position of a woman is less than that of the man consequently she is given half of the share alotted to a man in an inheritance. They argue that this share was laid down in the Holy Quran and cite the following in this connection.

"As regards your children's inheritance : to the male a portion equal to that of two females" Sura 4 Verse ll and "And if there are not two men, then a man and two women" Sura 2 Verse 282.

In fact the share of a woman in an inheritance is not based on the said argument but rather on another basis relevant to the nature of woman and her function in society. The nature of a woman is such that it necessitates that man should provide the sustenance of his wife, children and poor relatives; that he should also pay the woman's dowry as an expression of his desire to marry her and that the woman should take care of the house, and attend to her requirements such as pregnaancy, laying and nursing the children.

In the light of these cricumstances it can be noted that it is obvious that the woman is more fortunate than the man when compared to him. Islam prescribes to her an unlimited dowry.

"Even if you had given the latter a whole treasure for dower, take not the least bit of it back" Sura 4 Verse 20.

It shoulders man with her sustenance, including lodging, clothes, servants and all that she unlavishly needs. After being divorced, it ordains man to support her in a manner similar to her Previous marital life during the period of "AL-IDDAH" (a period of three months of seclusion upon dissolution of a marriage whether by death or divorce to determine the question of any issues being born to her so as to determine the Paternity of the child if born after a dissolution of a marriage). Islam further entitles a divorced woman to a certain sum of money payable by the man in addition to

the previous sustenance to maintain her dignity and prestige. The Quran says.

"For divorced women maintenance (should be provided) on a reasonable scale. This is the duty of the righteous".

As regards the man he is burdened with responsibilities of a great magnitude; he should manage his own life, maintain his children and wife, and should undergo the difficulties and hardships of life. In addition he is responsible for the maintenance of his parendts and his poor relatives.

After all, what is man's superiority over woman ? He is shouldering the greatest responsibilities from which the woman is He is shouldering the greatest responsibilities from which the woman is exempt. How fortunate the woman has been placed and how unfortunate man is ! This is the foundation upon which Islam has dealt the distribution of shares in respect of inheritance of which the woman is entitled to a half share while the man is allotted a full share. However these considerations are of no relevancy and have no affinity with their partnership in life.

Woman's testimony.

The Quranic verse which says, "And if there are not two men, then a man and two women" Sura 2 Verse 282, has not been revealed to show the way of giving testimony but rather to guide along the straight and certain way whereby the dealers are sure of their preservation of their rights. In this connection the Quran says, "O' you who believe; when you deal with each other in transactions involving future obligations in a fixed period of time, reduce them to writing. Let a scribe write down faithfully as between the parties. Let not the scribe refuse to write : as God has taught him so let him write. . . And get two witnesses, out of your own men and if there are not two men, then a man and two women, such as you choose for witnesses so that if one of them errs, the other can remind her "Sura 2 Verse 282.

The above verse provides the best guarantee and assurance whereby the rights would be maintained. This does not mean that the testimony of a single woman or of many women backed by no man would be disregarded; because the ultimate aim of the law is clear evidence. IbnEl Qayyem, the great scholar, declared that evidence is legally of a wider sense than testimony and that all what leads to truth or reveals secrets is evidence recognised by judges. Therefore the judge considers the unequivocal proof and the testimony of the

non- Muslim as long as he makes ssure of it.

When we consider the two women as one man in the conrse of certainiy, it does not mean that she is weak in mind. Shaykh Muhammed Abdou says, "Woman has no bearing on Fiscal treatments and commercial exchange. Therefore she is not considered an authority in this field ; as for domestic affairs she is more active and mindful than man because such business is suitable to her nature and abilities ".

The abovementioned verse was sent in accordance with the nature of women who mostly do not attend buying or selling occasions and who have no interest in commercial businesses. Conversely so long as the verse has been sent as a rule of certainly, then it would be valid and applicable in an environment in which women work in commercial and financial businesses. In such environment judges should consider women on the same footing as men in ascertaining and assuming facts.

Besides. Jurists have stipulated that in some cases, testimony of of women only is accepted, and generally these instances are not customarily within man's purview, such as laying, virginity and other affaires relating to the knowledge of women, while at the same time there are other instances in which the testimony of man alone is accepted.

Further more we do not need to wander in the realms of thought and fantasy when the Quran declares that woman's testimony is like that of the man in the case of any charge of adultery launched by one of the spouses against the other. In this connection it says : "And for those who launch a charge against their spouses, and have (in support) no evidence but their own, their solitary evidence (can be received) if they bear witness four times (on oath) by God that they are solemnly telling the truth. And the fifth oath (should be) that they solemnly invoke the curse of God on themselves if they tell a lie. But it would avert the punishment from the wife, if she bears witness four times (on oath) by God that he (her husband) is telling a lie. And the fifth should be that she solemnly invokes the wrath of God on herself if he (her accuser) is telling the truth" (Sura, 29. Verse, 6 — 9).

This is justice in Islam in distributing the common rights between man and woman, which proves and emphasizes that they are partners in life and humanity in general.

VIRTUES FROM THE QUR'AN

BY

Dr. Gamal Addin Arramadi

Amongst the high Virtues which the Qur'an includes is the Virtue of moderation. The Qur'an incited us to avoid extravagancy, extravagance, parsimony and stinginess.

The Qur'an invokes a curse on the extravagant, and disdains the avaricious. The Qur'an asks the people to be equinox and take the moderate side.

God says " And let not thy hand be tied up to they neck, not yet open it with all openness, lest thou sit thee down in rebuke, in beggary. (Surah the night journey V. 29).

No doubt that the extravagant person will fall abruptly in a catastrophe, and will be unable to stand up again. The person who expends his money in follies, voluptuousness, corporal desires, will complain soon bankruptcy, poverty, and need,

Extravagnt countries are exposed to economic colapses, and corruption.

Not only the miser is liable to lead a miserable life, and prevents himself from enjoying life, and having its acute necessities, but also he is contemptible everywhere, for his rough aspect, and disdainful attitude.

The Qor'an prohibited the Muslims from giving authority to the foolish to spend money, because they spend it blindly. and without any atom of reason, but with insavity.

The Qur'an considers the money of the foolish among the income of the government, because one who loses one's reason is liable to give the money to the wicked who stop at nothing to use this money for nasty purposes.

For this reason the Muslim government does not hesitate to interdicate these people, put an end to thir silliness and stupidity, and only gives them what is essential to afford their lives.

The Qur'an prohibits to lay hands on the money of the sane without any right for fear of breaking the civil law, and arousing controversies, and alcrations which lead to vehement litigations.

God says " Consume not your wealth among yourselves in vain things, nor present it to judges that ye may consume a part of other men's wealth unjustly, while ye know the sin which ye commit Surah " The cow " V. 188 ".

The Qur'an orders the Muslims to take always permission when they enter other houses, and exhorts them to ornament themselves with this virtue because the act of entering a house without permission annoies its tenants, and enable the coming from knowing what the tenants are not ready to appear.

God says " ye who believe ! enter not into other houses than your own untill ye have ashed leave, and have saluted its inmates. This will be best for you, haply you will hear this in mind" Surah "the light". V. 27 "

The Qur'an incites the people to co-operate with one another, because dispute leads to failure and disappointment.

Contest always scatters the power with which the country can face all obstacles in its way, and soon can get rid of them all. It can remove with the power emerged from co-operation all the difficulties which hinder its progress.

By means of co-operation the country can attain its patriotic aims, and national hopes. We can extract many examples from the Arab countries strife. Whenever the Arab nations co-operate with one another they are ready to overwhelm thier foes, attain victory and crown their efforts with success.

God orders the Muslims to take the neccssary steps, and precautions against their enemies.

God says " Make ready then against them what force ye can, and strong squadrons wherely ye may strike terror into the enemy of God and your enemy, and into others beside them whom ye know not, but whom God knoweth. All that you shall expend for the cause of God shall be repaid you, and ye shall not be wronged " Surah " The Spoils V. 60 ".

Thus the Qur'an advises to spend on that purpose without hesitation, or avarice. The Qur'an gives pledges to those who spend to reward them on the day of judgement.

Whenever the country achieve this policy it is held in high respect amongst all the world. whenever the country delay to protect its self, and enables the worms of dispute to gnaw at its bones, its efforts go

with the wind and become unalbe to proceed in the field of civilization, and progress.

The Koran advises the people to take the opinion of one another. It considers counsel the foundation of any prosperous country. The Qur'an asks the Muslims not to bethink one self but be zealous to one's opinion.

God Says " And who hearken to their lord and observe prayer, and whose affairs are guided by mutual counsel, and who give alms of that whith which we have enriched them" " Surah The counsel V. 38 ".

In this way the people can pick up the threads of a happy life free from personal aim, and individual gluttonies.

The Koran advises the people to fulfil their promises, whether they consern financial debts, or spiritual pledges, or any thing else.

It is a matter of fact that faithless damage friendly relations among the people. Perfidy drags away confidence from the hearts. Treachery creates hatred, abhorrence, and strong aversion instead of amity and friendship.

This vice leads to shatter the means of treatment amongst the people and removes the roots of security and tranguillity.

God says " Verily God enjoineth justice and the good and gifts to kindred, and be forbiddeth wickedness, and wrong, and oppression. He warneth you that haply ye may be mindful.

Be faithful in the convenant of God when ye have convenanted, and break not your oathes after ye have pledged them, for now have ye made God to stand surety for you. Veri ly God hath knowledge of what ye do " Surah The Bee V. 90 - 91 "

The Qur'an advises us to deal with our parents kindly, and to feel mercy towards them because they enduce to the extreme without camplaint for our sake.

This virtue is an universal one which leads the society to happiness and progress, and held in high respect in all the holy books.

God says " Thy Lord has ordinated that ye worship none but him, and kindness to our parents whethr one or both of them attain the old age with thee, and say not to them Fie, neither reproach them, but speak to them both with respectful speech, and defer humbly to them out of tenderness and say Lord have compassion on them both, even as they reared me when I was little " Surah "The night journey. V. 22 and others".

The Qur'an advises to behave politely and to hold high characters. God specifies his prophet Mohamed with these qualities. God says : "For thou art of a noble nature. But thou shalt see and they shall see" (Surah, The pen V. 4).

No quality equals this quality in the Qur'an.

It was told in "Hadith" by means of Mohamed Ibn Nasr Al-Marwazy that a man made for the prophet, and stood infront of his face, and then asked him "Oh messenger of God" What is the best quality ? Mohamed answered "God temper". Then the man turned to the prophet's right and repeated his question but the prophet gave the same answer, then the man turned to the prophet's left and asked him the same question but the prophet gave the same answer. Then the man stood behind the prophet, and adressed him the same question. Mohamed the prophet, insisted on the same reply turned his face to him and said Don't You understand Good temper !

Then, good temper, according to the Qur'an is the key of many Problems. Ill-natured people fail to succeed in life. They are exposed to failure due to their insolence, foul mouthedness, and ribaldry.

Some interpreters of the Qur'an consider good temper includnig great bashfulness, piety, favour patience, mercy, cheerfulness, and gratitude. The good natured person is one who avoides slander, avarice envy, and grudge. He hates for God's sake, and loves for God's sake· He becomes angry for God, and becomes contented for God.

The Qur'an advises the people to give the trusts to their owners, and not to delay to accomplish this task.

For this purpose God says, "Verily God enjoineth you to give back your trusts to their owners, and when ye judge, between men, to judge with fairness. Excellent is the practice to which God exhorteth you. God heareth, beholds" Surah "The women". V. 58 and others.

In this way the Qur'an is a sacred book above suspicion. That this verily is the word of an apostle worthy of all honour ! And that it is not the word of a poet, how little do ye believe ! Neither is it the word of a soothsayer how little do ye receive warning ! It is a missive from the Lord of the worlds.

الفهرس